تعنى مجلة الدرعيّة بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.. ومنهج النشر لديها، وفق ما يلي:

- أن يكون البحث في إطار ما تعنى به المجلة.
- أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والمنهجية العلمية.
- أن يكون البحث صحيح اللغة، سليم الأسلوب.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره أو أرسل إلى دورية أخرى.
- أن ترقم هوامش كل صفحة على حدَة.
- تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكّيم العلمي.
- يُشعَر صاحب البحث بقبوله للنشر أو عدمه.
- يقدّم الباحث مع بحثه نبذة عن حياته منصوصًا فيها على المؤهلات العلمية من الجامعة فما فوق وتاريخ ومكان الحصول عليها والعمل الآن.
- ترتب البحوث داخل العدد وفق اعتبارات فنية.
- يمنح صاحب البحث المنشور مكافأة رمزية.

المراسلات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة التالي:

المملكة العربية السعودية

ص. ب: ١٥١٨٥٨ – الرياض: ١١٧٧٥

هاتف: ٤٢٦٤٦٩٢ – فاكس: ٤٢٦٤٦٩٢

البريد الإلكتروني : info@addiriyah.org

موقع الإنترنت : www.addiriyah.org

ثمن المجلة

في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية ١٥ ريالاً أو ما يعادلها.

في خارج الوطن العربي ما يعادل ٤ دولارات.

الاشتراكات السنوية

للأفراد (٨٠ ريالاً) - للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية (١٢٠ ريالاً).

ترسل الاشتراكات بشيك بنكي باسم مجلة الدرعية.

رقم الإيداع

١٨/٤٠٧٩ – ردمد: ISSN: 1319 - 7444

الدرعية

السنة السادسة
العدد الثالث والعشرون

رمضان ١٤٢٤هـ
نوفمبر ٢٠٠٣م

محتويات العدد

الافتتاحية :

الدكـــتـــور عـبـداللطيف ابن مـحـمـد الحـمـيـد*

* نـائـب رئـيـس التحرير.
- بـكـالـوريـوس تاريخ وحضـارة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامـيـة ١٣٩٨هـ، الرياض.
- مـاجستير في تخصص التاريخ الحـديـث من الجامعة نفسها عام ١٤٠٥هـ .
- دكـتـوراه في تخصص تاريخ الجزيرة العربية الحـديث من جامعة (إسكس في بريطانيـا عام ١٤١٠هـ) .
- يعمل الآن أستاذاً مشاركاً في قسم التاريخ والحضارة بكليـة العلوم الاجتماعيـة - جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد :

فمنذ انطلاقة المجلة المباركة في عام ١٤١٩هـ (وهو العام الذي شهد احتفالات بلادنا بمرور مئة عام على مسيرة المملكة العربية السعودية التي أسس قواعدها وبناها الملك الراحل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله امتداداً للدولة السعودية في دوريها الأول والثاني) .. أقول : إن المجلة منذ تلك الانطلاقة وهي تدرك أهمية الدور العلمي الذي تضطلع به في خدمة تاريخ المملكة والجزيرة العربية وتراث العرب الذي هو ثمرة إنتاج الحضارة العربية الإسلامية في شتى العلوم والفنون .. وفي ضوء ذلك جاءت أعداد المجلة الثلاثة والعشرون - حتى الآن - مزيجاً متناغماً لهذه المحاور الثلاثة .. ويعود الفضل بعد الله جلّ وعلا إلى ثقة

الباحثين الأكاديميين في الجامعات السعودية والعربية والمراكز العلمية وذوي الكفاءة من الباحثين المتميزين .

ولما رأت هيئة التحرير الموقرة تزامن ورود أبحاث علمية أصيلة في مجال علوم القرآن الكريم : فقد رأت أن تفرد لها عدداً مستقلاً يخدم الباحثين في هذا المجال . وكفى شرفاً للمجلة ومنسوبيها أن تكون البداية فيما له علاقة مباشرة بخدمة كتاب الله الكريم الذي أنزله الرحمن على سيد البشرية محمد بن عبدالله عليه وعلى أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة والسلام إلى يوم الدين .

وسيرى القارئ الكريم تنوعاً فريداً لبحوث هذا العدد : تراثاً محققاً، أو دراسات نقدية في مجال ترجمة القرآن الكريم ، أو إبرازاً لأثر الأوقاف الخيرية في نشر كتاب الله وتعليمه ، أو بيان جهود بلادنا بحمد الله وسعيها الدؤوب في خدمة القرآن الكريم وعلومه .

ومن المعلوم أن لأمتنا ثوابت كيانية : أولها الوحيان (القرآن والسنة) وما أحالا إليه من مصادر ، وثانيها اللغة العربية التي نزل بها الوحي ليبلغ المسلمون دين ربهم بمقتضى لغة العرب التي نزل بها .. كما أن اللغة لكل أمة هوية تميزها ، فهي ضرورية من هذا الجانب أيضاً ، وثالثها موروث الأمة من الرقعة في أرجاء المعمورة ؛ وبكل هذا تكون مباحث هذا العدد في صميم تخصص المجلة ؛ لأن الدرعية (المدينة) بموروثها التاريخي رمز للدرعية (المجلة) ؛ ذلك أن تلك الحركة التاريخية الوحدوية المباركة جاءت

لإحياء واقع الأمة بما جاء به الوحيان صافياً من الكدر وأوشاب الوثنية والبدعة .. وكذلك فإن الدراسات القرآنية تمسك ومحافظة على لغة الخطاب الشرعي ، وخدمة لتاريخ الأمة العربية التي تحولت بالقرآن الكريم من العشائرية إلى أمة إجابة ، ومن الأمية إلى العلم والتدوين .. كما هو خدمة لتاريخ الأمة الإسلامية التي ترهف السمع للبلاغ الشرعي بالمفهوم العربي والله المستعان .

واللهَ نسأل أن يوفقنا جميعاً لأداء الأمانة ، وأن يسدد الخطى ويعفو عن الزلل .

والحمد لله أولاً وآخراً .

سكتات حفص في القرآن الكريم

من (طريق الشاطبيّة) وتوجيهها

الدكتور : عبدالعزيز ابن علي الحربي*

* ليسانس من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ماجستير في القراءات من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- دكتوراه في التفسير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- له عدد من المؤلفات في علوم القرآن واللغة والعقيدة وغيرها.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً بمعهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى .

توطئة

هذا البحث يجمع السكتات التي انفرد بها حفص بن سليمان عن الإمام عاصم بن أبي النجود، وهي أربع سكتات، عرضت فيه قضاياه على النحو الآتي :

- التعريف بالإمامين حفصٍ وعاصم
- التعريف بالسكت وبيان أنواعه
- بيان المواضع الأربعة مجملة
- ثم بيان كل موضع وبيان موضع السكت فيه
- بيان الحجة التي من أجلها اختار السكت وذكر أقوال العلماء ، وترجيح ما هو راجح .
- ذكرت في آخر البحث تنبيهين :

أحدهما : في سكتتين اشترك فيهما مع حفص غيره .

الثاني : في الإشارة إلى السكت الوارد عنه من طريق طيبة النشر مثل السكت على الساكن قبل الهمز .

التعريف بحفص

هو حفص بن سليمان الأسدي . كنيته أبو عُمر. صاحبُ عاصم وابن زوجه . كان مولده سنة تسعين من الهجرة.

قرأ عليه عرضًا وسماعاً : عمرو بن الصَّبّاح ، وأخوه عبيد بن الصباح وحمزة ابن القاسم ، وأبو شعيب القواس ، وغيرهم .

وكان أعلم الناس بقراءة عاصم . تنتهي قراءته عنه إلى علي بن أبي طالب .

كان في القراءة حافظاً ضابطاً . أتقن من أبي بكر بن عياش (شعبة) ، وهو الراوي الآخر للإمام عاصم .

وإلى هذا المعنى أشار الشاطبي في منظومته بقوله(1):

وحفصٌ وبالإتقان كانَ مُفضَّلاً

توفي سنة ثمانين ومئة(2) .

التعريف بالإمام عاصم

عاصم بن أبي النَّجود، ويقال : ابن بَهْدلة (اسم أمّه) وقيل : هو اسم أبي النَّجود ، الكوفيّ الضرير ، جمع بين الإتقان والتحرير والفصاحة .

كنيته: أبو بكر .

أخذ القراءة عرضاً عن زرّ بن حبيش ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وأبي عمرو الشيباني . وروى عنه حفص بن سليمان ، وأبان تغلب ، وأبوبكر بن عياش (شعبة) وحماد بن زيد ، وآخرون .

---

(1) حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي : ٥ .

(2) الترجمة من معرفة القراء الكبار للذهبي : ١/١٤٠ ـ ١٤١ ، رقم الترجمة : ٥٢ ، وانظر غاية النهاية لابن الجزري : ١/ ٢٤ ـ ٢٥٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد : ١/ ٢٩٣ .

كان أحمد بن حنبل لا يفضل على قراءة عاصم إلا قراءة أهل المدينة .

توفي سنة عشرين ومئة ، وقيل : سنة سبع وعشرين ، وقيل : غير ذلك[1]:

تعريف السكت

السكت : مصدر (سكت) ، وهو ترك الكلام ، وكذلك السُّكون، وأكثر مصادر اللغة تعبر عن معناه بلفظ السكوت .

قال الراغب الأصفهاني : « السكوت مختص بترك الكلام»[2] .

ومن المحققين من قال : السكوت ترك الكلام مع القدرة عليه ، والفرق بينه وبين الصمت : أنّ القدرة على الكلام ليست شرطاً فيه، والصمت أوسع معنىً من السكوت ؛ لأنه يسند إلى ما لا نطق له، ويوصف به ، فيقال : صامت ومصمت[3] .

وبهذا ومثله يدرك المحقِّق أن الترادف الحقيقي للألفاظ في لغة العرب لا وجود له، وأن تعريف السكت بالصمت . والمعرفون به كثير . يذكر على سبيل التقريب بقصد الإيجاز والتيسير ، أو التساهل . وإلا فالفرق واضح وكبير .

ويطلق السكت عرفًا على سكون النفس في الغِناء .

وعبارة الراغب تفيد أنه لا معنى للسكت غير هذا[4] .

وقد أطلق الاختصاص المذكور من غير تقييد بعرف ولا حقيقة ، وفيه نظر .

---

(١) الترجمة من **الإقناع** لابن الباذش : ٦٨ ، و**معرفة القراء الكبار** : ١/٨٨ رقم الترجمة : ٣٥، و**غاية النهاية** : ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٩ ، وانظر ترجمته في **ميزان الاعتدال** للذهبي : ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨، و**شذرات الذهب** : ١ / ١٧٥ .

(٢) **المفردات** للراغب الأصفهاني : ٤٢٧ .

(٣) انظر : **تاج العروس** ، للزبيدي : ١ / ٥٥٣.

(٤) **المفردات** : ٤٢٧ .

ومنهم من خص «السكوت» بالكلام و «السكت» بالحال، فيقال : سكت الرجل سكوتًا، أي : عن الكلام ، وسكت سكتًا إذا سكَن[1] .

والصّواب: أن السكوت مختص بالكلام، والسكت يشمل الكلام وغيره .

قال الزجاج: « يقال : سكت يسكت سكتًا : إذا هو سكن، وسكت يسكت سكوتا وسكْتا : إذا قطع الكلام»[2].

وأما في اصطلاح القراء فهو : « عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»[3] .

ويمكن تعريفه بأسهل من هذا بأن يقال: الوقف بين حرفين زمناً يسيراً من غير تنفس .

والقيد بعدم التنفس احتراز من الوقف ؛ لأنه يكون بتنفس .

أنواع السكت :

جاء السكت في القرآن لكل من له سكتة من القراء على أنواع :

١ - سكت بين سورتين كالسكت الذي ذكره القراء المتأخرون بين آخر سورة «الأنفال» وأول سورة « التوبة » .

٢ - سكت بين آيتين، كالسكت الذي بين الهاءين في قوله تعالى: ﴿ مَالِيَهْ * هَلَكَ ﴾[4] وسكتة حفص في ﴿ عِوَجًا * قَيِّمًا ﴾[5] ، وكذلك سكتات حمزة في الآيات الموصولة بما بعدها مما له فيها السكت نحو ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾[6] .

---

(١) انظر : **تاج العروس** : ١ / ٥٥٤ .

(٢) **معاني القران وإعرابه** : ٣٧٩/٢، ونقله أبوحيان في تفسيره ، ٣٩٦/٤ .

(٣) **النشر** لابن الجزري : ١ / ٢٤٠ .

(٤) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سورة الكهف ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٥٧ .

٣ - سكت بين كلمتين كباقي سكتات حفص ، وكذلك سكتات حمزة في مثل ﴿عذاب أليم﴾ ، وسكته على ﴿ال﴾ قبل الهمز، نحو ﴿الإنسان﴾ و ﴿الأبرار﴾ .

٤ - سكت بين حرفين كسكتة في ﴿شيء﴾ و ﴿شيئاً﴾ .

وكل هذه الأنواع يصدق عليها قولنا: الوقف بين حرفين، وفي التفصيل ما يطويه الإجمال .

المواضع التي ورد فيها السكت عن حفص أربعة مواضع

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾[١].

موضع السكت في ألف ﴿عِوَجًا﴾ .

الموضع الثاني :

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[٢] .

موضع السكت على ألف «مرقدنا» .

الموضع الثالث :

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [٣] .

محل السكت فيه على نون «مَن» .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة القيامة ، الآية : ٢٧ .

الموضع الرابع :

﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

محل السكت فيه على لام « بل» .

كيفية السكت في هذه المواضع : لا خلاف بين كلّ من روى السكت أو حكاه في أن السكت في هذه الألفاظ يكون على الحروف المسكوت عليها بمعاملتها معاملة الكلمة الموقوف عليها إلاّ الموضع الأول ﴿ عِوَجًا ﴾ فقد اختلف في كيفية السكت عنده على قولين :

الأوّل : السكت عليه بالتنوين كحاله عند الوصل ، لأن السكت ليس بقطع ولا وقف وهو أقرب إلى الوصل فقال «عِوَجاً» بَلا . وممن مال إلى هذا أبو شامة[2].

الثاني : السكت على الألف المنقلب عن تنوين إجراء للسكت مُجرى الوقف، وهو المفهوم من كلام الشاطبي حينما قال :

وسكتُة حفصٍ دون قطع لطيفةٌ ... على ألفِ التنوين في «عوجًا» بَلا[3]

قوله : «على ألفِ التنوين» فيه تنبيه إلى أن السكت على الألف . وأكثر القرّاء والشراح ومصنفي التفاسير ينصّ على هذا الوجه[4] وهو الذي تلقيته وسمعته وقرأت به وأقرئ ، وأقدِّم الوقف على السكت ، والوجه الأول من حيث القياس وحمل النظير على مثله هو الأقوى لوجهين:

١ - لأن السكت أقرب إلى الوصل وحمله عليه أولى .

---

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٤ .

(٢، ٣) انظر : إبراز المعاني ، لأبي شامة : ٣ / ٣٢٧ ، وانظر : الدرر المصون للسَّمين الحلبي : ٧/ ٤٣٥.

(٤) انظر : الموضح : ٢ / ٧٧٢ ، والإقناع لابن الباذش : ٤٢١ ، والدر المصون : ٧/٤٢١.

- ولأن نظيره مما جاء فيه السكت عن حمزة، نحو ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] ونحو ﴿وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[2] هذه يسكت فيها على نون ساكنة في جميع ذلك في القرآن الكريم سواء أكان آخر الآية أم لا .

فإن كان هذا مما لا مدخل للقياس فيه في القراءة - وهو الأصل - فالترجيح بالنقل والتلقي المردود إلى أصله هو المتعين ، إلاّ أن يقال : إنه من باب التفسير وإيضاح المعنى لا أنه قراءة ، كما قال أبو حيان[3] فلا يأخذ حكم الرفع .

توجيه السّكت في الموضع الأول

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾[4] :

في هذا الموضع تفصيل وبسط ، سأذكر ذلك بعد أن أبين - بإيجاز - الوجه الظاهر المتبادر في علّة السكت .

العِوج – في اللغة: الميل – وكلمة ﴿قَيِّمًا﴾ تعني الاعتدال والاستقامة، والعِوج في الشيء والاستقامة ضدان لا يجتمعان ، وكلاهما منصوبٌ في الآيتين، وكلاهما منكّر، ولو تقارب معناهما لصحّ إعراب الثاني بدلا من الأول .. ولأجل ذلك جاء السكت بين اللفظين في الوصل تخليصاً لهما، وإيضاحاً للمعنى، ودفعاً لتوهم الاتباع.

وأما تفصيل الكلام في إعرابهما ومعناهما اللّذين ينكشف بهما وجه السكت فعلى هذا النحو :

كلمة «قيما» فيها إعرابات لا يتم إيضاحها إلا بالكلام عن ما قبلها، ولهذا

---

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٣١ .

(٢) سورة النساء ، الآيتان : ١٦٨ – ١٦٩ .

(٣) البحر المحيط ، لأبي حيان : ٦ /٩٤ .

(٤) سورة الكهف ، الآيتان : ١ – ٢ .

سوف أذكر ما قيل في إعراب ومعنى ما قبلها ، ثم أخلص إلى الخاتمة المفيدة في بيان علة السكت :

أولاً : جملة ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ قيل : إنها جملة اعتراضية بين ما قبلها وما بعدها، كأنَّ أصل الكلام : الحمد لله الذي أنزل الكتاب قيما . وعلى هذا فكلمة «قيما» حال من «الكتاب»[1] ورده الزمخشري[2]، وضعفه أبو البقاء العكبري ؛ لأنه يلزم منه التفريق بين بعض الصلة وبعض .

ومن المعربين من قال : إنه حالٌ من الضمير في «له»[3] ؛ على معنى : ولم يجعل له - وهو قيّم - عوجاً .

قال ابن جرير : «ولا خلاف أيضاً بين أهل العربية» في أن معنى قوله ﴿ قَيِّمًا ﴾ - وإن كان مؤخرًا - التقديم إلى جنب «الكتاب»[4] .

ثانياً : قوله ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ جملة حالية ، لا اعتراضية ، ولفظ «قيما» حال ثانية[5] .

ومعلوم أن الحال يجوز أن تتعدّد سواء كان صاحبها مفردا أومتعدِّداً، قال ابن مالك:

والحال قد يجيء ذا تعدُّدِ لمفردٍ فاعلم وغير مفردِ[6]

وصاحب الحال - هنا - هو « الكتاب - وهو مفرد

---

(١) انظر : **معاني القرآن وإعرابه للزجاج** : ٣ / ٢٦٧ ، وتفسير السمرقندي : ٢ / ٢٨٨ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٦٧٥/٢ ، **التبيان في إعراب القرآن** : ٢ / ٨٣٧ ، لأن قوله «أنزل على عبده» إلى قوله «عوجا» كلمة من الصلة ، فلو قلنا إن «قيما» فاصل بين الجملتين لكان ذلك مشتتا لأجزاء لا تنفصل .

(٣) **التبيان للعكبري** : ٢ / ٨٣٧ .

(٤) **تفسير الطبري** : ١٥ /١٩١ .

(٥) **الدر المصون** : ٧ / ٤٣٤ .

(٦) **الألفية مع الشرح الميسر للباحث** : ٩٩ .

ثالثا : جملة « ولم يجعل له عوجاً» حال ، وقوله : «قيماً» بدل مما قبله ؛ على معنى : جعله مستقيما قيما ، فيكون بدل مفرد من جملة ، وهو سائغ إذا كانت الجملة بمعنى المفرد[1].

رابعاً : أن هذه الجملة - أعني ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ - معطوفة على ﴿ أَنزَلَ الْكِتَابَ ﴾ فهي من ضمن صلة الموصول، ويترتب على هذا نصب «قيماً» على الحال ، كما سبق ، أو على تقدير فعل محذوف، من العلماء من قدَّره: جعله قيما[2] . وحذف العامل المعلوم تقديرهُ جائز .كما قال ابن مالك :

ويحذف النَّاصبها إن علما وقد يكون حذفُها مُلتزما[3] .

خامساً : من أهل العلم من ذهب إلى أن الضمير في «له» عائد على «عبده»[4].

وهو بعيد الاعتبار ، لوجهين :

١ - لأنه خلاف المتبادر .

٢ - ولأن نظائر هذا المعنى بهذا التفصيل في القرآن ثابتة للكتاب ، كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[6] .

---

(١) **البحر المحيط** : ٦ / ٩٤ ، **والدر المصون** : ٧ / ٤٣٤ .

(٢) كالزمخشري في **الكشاف** ٢ / ٦٧٥ .

(٣) **الألفية** بالشرح الميسر ١٦٢ .

(٤) ذكره أبو حيان في **البحر** (٦ / ٩٤) وسكت عنه ، وقال السمين في **الدر** (٧/ ٤٣٤) : «ليس بواضح» .

(٥) سورة الإسراء ، الآيتان : ٩ - ١٠ .

(٦) سورة الزمر ، الآية : ٢٨ .

الترجيح :

الأقوال في إعراب « قيِّماً» متقاربة ولكلٍّ وجه وحظٌّ من النظر، وهي دائرة بين الحالية والبدلية .. وأظهرها قول من أعربها حالا من «الكتاب» وما قبلها اعتراض، والعامل في الحال لفظ «أنزل» ، وعليه أكثر العلماء من أهل الاحتجاج والإعراب والتفسير.

وقد استحسن مكي ابن أبي طالب أن يُختار السكت في هذا الموضع وموضع «يس» لجميع القرّاء ؛ لأنه يفرق به بين المعاني المنفصلة(1).

توجيه السكت في الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾(2) .

موضع السكت في هذه الآية على ألف ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ (3) .

مجمل التوجيه مثل الموضع السابق ، فالعلّة فيهما إرادة زوال اللبس الذي يقع عند الوصل .

بيان ذلك :

هذه الآية مكونة من جملتين بعد القول ، إحداهما إنشائية وهي ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ والثانية خبرية ، وهي ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ ولفظ «ما» اسم موصول ، أو مصدرية؛ على معنى: هذا الذي وعد الرحمن، أو : هذا وَعْدُ الرحمن .

ولا يصح أن تكون نافية. ومن أجل هذا اختار حفص السكت على ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ لأنه لو وصل بكلمة «هذا» ووقف عليه القارئ لظن غيرالمتدبِّر أو من لم يفهم - صحّةَ معناه، وهو غير مراد ، بل هو ممتنع .

(1) انظر : الكشف : ٢ / ٥٦ .

(2) سورة يس ، الآية : ٥٢ .

(3) انظر : التلخيص : ٣٨٠ .

وإليك ما قاله أهل العلم فيه، فقد وجدت في كتب التفسير ما هو غيرمدرك في الظاهر ، ولا مشهور .

قال العكبري: «﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ الخبر» ثم ذكر في (ما) ثلاثة أوجه.

الأول : أن يكون بمعنى الذي ، والمعنى : هو الذي وعدُ الرحمن .

الثاني أن يكون نكرة موصوفة ، على معنى : هذا شيء وعده الرحمن .

الثالث : أن تكون مصدرية ، والمعنى : هذا وعد الرحمن[١] .

والوجه البعيد عن الظاهر : أن يكون «هـذا» بدلاً أو صفة لـ «مرقدنـا» و «ما» مبتدأ ، والمعنى : الذي وعد الرحمن حق[٢] أو تكون « ما» خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : بعثكم ما وعد الرحمن ، أي : أي الذي وعد الرحمن[٣] .

وعلى هذه الأعاريب يكون محل الوقف على لفظ «هذا» ، واختيارحفص السكت على ما قبله ينبئ عن رفضه لهذا القول وبُعده ، وأهل التفسير واللغة على المراد الذي اختار الإمام حفص السكت من أجله . قال الزجاج : «والقول الأول - أعني ابتداء ﴿هَٰذَا﴾ - عليه التفسير ، وهو قول أهل اللغة»[٤] .

بقي ههنا مسألتان :

الأولى : جملة « هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ » اختلف في قائلها فقيل المؤمنون[٥]،

---

(١) انظر : **التبيان** : ٢ / ١٠٨٤ ، وما ذكرته هو تفصيل لما أجمله ، وانظر : **منار الهدى** للأشموني : ٣٢١.٢٠ .

(٢) تفسيرابن جرير : ٢٢ / ١٦ .

(٣) انظر : **البيان في غريب إعراب القرآن** : ٢ / ٢٩٨ .

(٤) **معاني القرآن وإعرابه** : ٤ / ٢٩١ .

(٥) حكاه ابن جرير عن مجاهد وقتادة ، انظر تفسيره : ٢٣/ ١٦ ، وحكاه الماوردي في تفسيره : ٣٩٦/٣ عن قتادة .

وقيل الملائكة[١] ، وقيل الكافرون ، وهم القائلون : من بعثنا من مرقدنا[٢] . ورجح ابن جرير القول الأول[٣] .

ومن غريب ما ذكر هنا أن الكلام من قوله : ﴿مَنْ بَعَثَنَا ..﴾ إلى آخر الآية كله من كلام المؤمنين[٤]، ولا يخفى بُعده .

الثانية : في القرآن الكريم ما يسميه أهل البلاغة التَّجاذب، وهو: أن يكون في الكلام كلمة أو أكثر صالحة لأن تضم إلى ما قبلها مع الوقوف عليها، أو الوقوف على ما قبلها وربطها بما بعدها، مع صحة المعنى على كلا الوجهين .. ونحن – معشر القرّاء – نسميه التعانق في الوقف، ويرمز له في ضبط المصحف هكذا (∴ ∴) ، وأول مثال له في القرآن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٥] .

فلفظ «فيه» صالح للوقوف عليه أو الوقوف على ما قبله .

ويعدونه من باب الوقف الجائز .. غير أن هذا المثال مما غُلِّط فيه من اختاره على الوجه المذكور[٦]؛ لأنّ لفظ «لا ريب» ملازم للفظ «فيه» في نظائره من القرآن[٧]، وخير ما يفسِّر القرآنَ القرآنُ . وموضع سورة « يس » الذي نحن بصدده مما لم أجد من نبّه على إدراجه في هذا النوع من الوقف في كتب الوقف، ولا من رمز له بعلامته في شيء من المصاحف التي اطلعت عليها، ومعلوم أن الوقوف مردّها إلى التفسير، وفي كتب التفسير من الآراء والاختلاف النوعي واحتمال الوجوه ما لا يستطيع الإحاطة به أحد من الخلق.

---

(١) المصدر السابق ، وحكاه عن الحسن .

(٢) انظر تفسير ابن جرير : ٢٣ / ١٧ .

(٣) المصدر السابق ، وانظر أضواء البيان : ٦ / ٤٩٠ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي : ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ، وحكاه عن ابن عيسى .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢ .

(٦) وممن رأى قبح الوقوف على « لا ريب » الإمام ابن الجزري في النشر : ١ / ٢٣٢ .

(٧) كقوله تعالى : ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة : ٢] .

ووجه التعانق في الآية ظاهر من خلال اختلاف المفسرين في كلمة «هذا» هل هي بدل من «مرقدنا» فتلحق بما قبلها ويوقف عليها، أو يبتدأ بها فتلحق بما بعدها.

ولعلّ من نافلة القول الإشارة إلى أن المصاحف المكتوبة برواية حفص غير قابلة للإشارة إلى مثل هذا الوقف في هذه الآية؛ لأن حفصاً يختار المعنى المشهور، وعليه بنى سكوته فيه.

ولا يبعد أن يكون السكت المختار من باب الأداء المتعلق بالوقف الذي لا نستطيع الجزم برفعه إلى النبي ﷺ. والله أعلم.

توجيه السكت في الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[1].

الخطب سهل في توجيه السكت في هذا الموضع وإن كان من أهل التوجيه من اعتبرها من المعضلات التي أشكلت على كثيرمن العلماء[2].

وقد يستشكل العالم ما لا يُستشكل إذا لم يعتبرالوجه الظاهر القريب صالحاً للحجة والتوجيه.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى تعليل يبعد أن يخطر بالبال، أو أن يسوِّغه ذوق.. وسوف أعرض إلى ذكره بعد بيان الوجه المشهور المتبادر بلا تكلف.

وهو أن النون إذا لم يُسكت عليها أدغمت في الراء، فأصبحت كالكلمة الواحدة، والغرض من القراءة الإيضاح والبيان المعين على الفهم والتدبر، ومع الإظهار والسكت يتضح اللفظ والمراد على أحسن وجه[3].

قال ابن زنجلة: «قرأ حفص ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ بإظهار النون إعلاماً أن

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

(٢) ابن أبي مريم في كتابه الموضح: ٣ / ١٣١٨.

(٣) انظر: المصدر السابق، والكشف: ٢ / ٥٦.

﴿مَنْ﴾ مفصولة من الراء »[١] .

وقال المهدويُّ : «فأما سكوته على النون من قوله : ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ .. فإنه - والله أعلم - فرَّ من الإدغام ، وكان يلزمه ذلك فيما شاكلها ، وهو لا يفعله ، فليس لقراءته وجه من الاحتجاج إلاّ اتّباع الرواية»[٢] .

وأما أبو علي الفارسي فقال : «لا أعرف وجه ذلك»[٣] .

ونقل أبو حيان كلامه بمعناه ولم يذكر وجهاً ولا تعليلاً[٤].

وأما التعليل البعيد فهو ما علَّل به القرطبي في تفسيره حين قال : «لئلاّ يشبه مرَّاق وهو بائع المرَقَة»[٥] .

وما أبعده من توجيه ؛ فإنه لا مرق ثَمَّ ولا لحم ، ولعل المصنف - رحمه الله - نُقل إليه هذا التوجيه عن بعض القَرَأَةِ الذين يشطح بهم الحرص على سلامة القراءة واستقلال الألفاظ بمعانيها إلى مثل هذا .. ويشبهه من يدقّق في النطق بلفظ ﴿فقست﴾ ولفظ ﴿وَعَلَى﴾ ولفظ ﴿فقعوا﴾ نطقاً مبالغاً فيه ، حتى لا يكون الأوّل من الفَقْس ، والثاني من الوُعولة ، والثالث من الفقع .

وتا الله إني لم يخطر ببالي هذه المعاني إلا لمّا سمعت التنبيه عليها من بعض مشايخنا ، فأصبح ملازماً لذهني كلما مررت بمواضعه .. وأما مسألة الوعولة فهو وسواس مركَّب سمعت من نقله عن بعض المعتنين بالقراءة ... وما جاوز القراءة فليس بقراءة .

---

(١) حجة القراءات : ٧٣٧ .

(٢) شرح الهداية : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٥ / ٣٤٦ .

(٤) انظر : البحر المحيط : ٨ / ٣١٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١١٢ .

وذكر الآلوسي تعليلاً ظنّيا ، وهو أن حفصاً لما أفرط في إظهار الإظهار صار إظهار النون كالسكت اللطيف عليه[1] .

توجيه السكت في الموضع الرابع :

قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

وموضع السكت فيه على اللاّم من «بلْ» .

التوجيه :

توجيه السكت - هنا - كالتوجيه في ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ في أن الوجه فيه إرادة الإيضاح بتخليص الحرفين بإظهار اللام والسكت اللطيف .

والإظهار والإدغام في مثله هذا - من حيث اللغة - وجهان حسنان . قال سيبويه «والإدغام أحسن»[3] .

ولم أجد تعليلاً سائغاً غير هذا، مع اعتراض أبي شامة عليه وعلى الموضع الذي قبله حين قال: «ولو لزمَ الوقف على اللام والنون ليظهرا للزم ذلك في كل مدغم»[4].

ومن احتج بالتوقيف لا يلزمه ما ألزم به أبو شامة .

وأما القرطبي فقد جاء بتوجيه غريب غرابة التوجيه في ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ .

وهو خشية الالتباس بـ «برّان» تثنية « بَرّ» .

وكأنه لم يعجبه التعليل الذي ظنّه فقال إثره: «والصحيح ترك الإظهار»[5].

والأظهر هو ما قدَّمته من الحجّة؛ لتبادره وبعده عن التكلّف. وبهذا ينتهي الكلام

---

(١) انظر تفسيره روح المعاني : ١٥ / ١٨٥ .

(٢) سورة المطففين ، الآية : ١٤ .

(٣) كتاب سيبويه : ٤ / ٤٥٢ .

(٤) إبراز المعاني ٣ / ٣٢٨ .

(٥) تفسيره : ١٩ / ١٢ .

على توجيه المواضع الأربعة توجيهاً قرَّبت فيه أقوال أهل العلم بوجيز العبارة، وأومأت فيه إلى الأقرب منها بلطيف الإشارة بعد النظر في كتب التفسير والاحتجاج واللُّغة .

تنبيهان :

الأول : ثَمّ سكتتان في القرآن يشترك فيهما مع حفص غيره ، وهما :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] مع أول سورة التوبة ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ . . . ﴾ .

والسكت فيه على الميم الساكنة من ﴿ عَلِيمٌ ﴾ وقبل الباء من : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ . . . ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[3] .

والسكت فيه على الهاء من ﴿ مَالِيَهْ ﴾ حين وصله بما بعده عند من يثبت الهاء ، وهم جميع القراء العشرة ما عدا حمزة ويعقوب[4] .

الثاني : للإمام حفص من طرق أخرى السكت على الساكن قبل الهمز فيما كان من كلمة أو كلمتين غير المد[5] ، وهذا النوع من السكت مما لم ينفرد به ، بل يشترك معه آخرون، كحمزة وابن ذكوان عن ابن عامر وخلف العاشر من رواية إدريس ، وليس له من توجيه إلاّ إرادة التخفيف وإيضاح الهمز ، وهو من نوع الأصول لا من باب فرش الحروف ، والله أعلم .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ .

(٢) وهو أحد ثلاثة أوجه ، والوجهان الآخران هما : الوقف ، والوصل كما قال السَّمنوديّ :

وبين أنفالِ وبين التوبةِ قفْ واسكتَنْ وصل بلا بسملةِ .

(٣) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

(٤) انظر : **النشر** : ٢ / ١٤٢ ، **والإتحاف** : ٢ / ٥٥٨ .

(٥) انظر : **الإتحاف** : ٢ / ٢٢٢ .

المصـــادروالمراجــع

١ - **إبراز المعـاني من حـرز المعـاني في القـراءات السـبع** ، (لأبي شـامـة) المتوفى سنة ٦٦٥هـ ؛ تحقيق محمود جادو ٠- المدينة المنورة : مطبعة الجامعة الإسلامية ، ١٤١٣هـ .

٢ - **أضواء البيان** ، للشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ٠- ط ٢ ، ١٤٠٠هـ .

٣ - **الإقناع** ، لابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) ؛ تحقيق د . عبد المجيد قطامش ٠- ط١، جامعة أم القرى .

٤ - **البحـر المحيط** ، لأبي حيـان (ت ٧٤٥هـ) ؛ تحـقيق عـادل أحـمـد وآخـرين ٠- ط١٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .

٥ - **تاج العروس** ، للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ط ، المطبعة الميرية بالقاهرة.

٦ - **التبيـان في إعراب القـرآن**، للعكبري (ت٦١٦هـ) ؛ تحـقيق البجـاوي ، مطبعـة عيسى البابي الحلبي.

٧ - **تفسـيـر السـمـرقندي** (٣٧٥هـ) ؛ تحـقـيق : علي مـعـوض ٠- ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .

٨ - **تفسـيـر الطبـري** (ت١٣١٠هـ) ٠- ط٣ ، مطبعـة مـصطفى البـابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ.

٩ - **تفسير الماوردي** (ت ٤٥٠هـ) خضر محمد خضر ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

١٠ - **التيسيـر** ، لأبي عـمـرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ٠- ط١ ، دار الكتب العلميـة ، ١٤١٦هـ .

١١- **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي (ت ٦٧١ هـ) ٠- بيروت : دار إحيار التراث العربي ٠

١٢- **الحجة في القراءات السبع** ، لأبي علي الفارسي ؛ تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاني ٠- ط١ ٠- دار المأمون ، ١٤١١هـ .

١٣- **حجة القراءات** ، لابن زنجلة ؛ تحقيق: سعيد الأفغاني ٠- ط٢ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ .

١٤- **حرز الأماني** ، للشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) ؛ ضبط وتصحيح محمد الضباع ٠- مصر : مطبعة الحلبي ، ١٣٨٥هـ .

١٥- **الدر المصون** للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ؛ تحقيق د . أحمد الخراط ٠- ط١٠- دمشق : دار القلم ، ١٤٠٨ هـ .

١٦- **روح المعاني** ، للألوسي . ت ١٢٧٠هـ ٠- دار الفكر ، ١٣٩٨هـ .

١٧- **شذرات الذهب** ، لابن العماد الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ) ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤ هـ .

١٨- **الشرح الميسّر على ألفية بن مالك** ، للباحث رهن الطباعة .

١٩- **شرح الهداية** ، للمهدوي (ت٤٤٠هـ) ؛ تحقيق د . حازم حيدر ٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة الرشد ، ١٦١٦هـ .

٢٠- **غاية النهاية في طبقات القراء** ، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ٠- ط٢ ، دار الكتب ، ١٤٠٠هـ .

٢١- **الكتاب** (كتاب سيبويه ، ت ١٨٠ هـ) ؛ تحقيق عبد السلام هارون ٠- ط٢ ٠- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٣هـ .

٢٢- **الكشاف للزمخشري** (ت ٥٣٨ هـ) ؛ ترتيب وضبط محمد عبد السلام شاهين٠- ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

٢٣- **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ؛ تحقيق د. محيى الدين رمضان ٠- دمشق : مطبوعات مجمع اللغة عام ١٣٩٤هـ .

٢٤- **المفردات في غريب القرآن** ، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) .

٢٥- **معاني القرآن وإعرابه** ، للزجاج (ت ٣١١ هـ) ؛ تحقيق عبد الجليل شلبي ٠- ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ .

٢٦- **معرفة القراء الكبار** ، للذهبي ت ٧٤٨ ؛ تحقيق بشار عواد ٠- ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ .

٢٧- **الموضح في وجوه القراءات وعللها** ، لابن أبي مريم (ت ٥٦٥ هـ) ؛ تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي الجماعة الخيرية بجدة، ط ١ / ١٤١٤هـ .

٢٨- **النشر في القراءات العشر** ، لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ٠- دار الفكر.

دراسة لوحة مخطوطة للقرآن الكريم في القرن الأول الهجري

إعداد: بشير ابن حسن الحميري*

* دبلوم الدراسات المتوسطة - كلية التربية - جامعة صنعاء .
- بكالوريوس دراسات إسلامية من الجامعة نفسها - كلية التربية .
- يحضر لنيل درجة الماجستير.
- له بعض الأبحاث العلمية والمراجعات النقدية.

أولا : المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

إن مما أنعم الله به على هذا البلد المبارك، وجود عدد كبير من المصاحف الكاملة التي تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، سواء الموجودة منها في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء أو في غيرها من المكتبات العامة في أنحاء اليمن، وكذلك ما تحويه خزائن المكتبات الخاصة، إلى جانب الكثير من الرقوق القرآنية الموجودة الآن في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء التي تعود في تاريخها للقرون الثلاثة الأولى.

وكم يتمنى الباحث المهتم لو أُخرج كتاب أشمل وأعم من كتاب (مصاحف صنعاء) يضم نماذج من الرقوق القرآنية لقرون مختلفة مع دراسات لها، بل لو ركز الجهد أولا على إخراج فهرسة كاملة لها، تشمل جميع الموجودات منها في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الشرقية والغربية).

وإن تضافر الجهود المخلصة والنيات الصادقة لهذا العمل المبارك، سيثري الساحة العلمية بعمل رائع وبناء في سبيل إكمال الدراسات المتعلقة بالمخطوطات القديمة للقرآن الكريم، بل إن المشاركة في هذا العمل ستكون من المآثر الخالدة في خدمة كتاب الله تعالى، فلو كلف أحد المختصين[١] لهذا العمل الجليل لكانت خدمة يسديها القائمون بأمر المكتبة للأمة الإسلامية جمعاء، مع استحقاقهم للإشادة والثناء[٢].

- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣] .

والحمد لله رب العالمين.

ثانيا: نشأة الخط العربي:

انقسمت آراء الباحثين في هذا الموضوع إلى:

١ - قال محمد فريد وجدي[٤] : «أما العرب الذين كانوا مجاورين للفرس والرومان وبنو حمير في اليمن والأنباط في شمال جزيرة العرب ، فقد تعلموا الخط من زمان مديد، على أن بعض أهل الحجاز ممن رحلوا إلى العراق أو الشام تعلموا الخط النبطي والعبري والسرياني، وكتبوا به الكلام العربي، ثم لما جاء الإسلام تولد عن الخط النبطي النسخ، وعن السرياني الخط الكوفي..»[٥].

---

(١) والأستاذ / يوسف ذنون ممن له باع طويل في هذا المجال، كما هي كتابته وأعماله.

(٢) لا ننسى في هذا المجال ما يقدمه الأستاذ الفاضل / عبد الملك المقحفي من خدمة للباحثين، وتسهيل عملهم.

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥ .

(٤) محمد فريد بن مصطفى وجدي (١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ) من الكتاب الفضلاء الباحثين، أقام في دمياط . كان متفرداً . توفي في القاهرة. **الأعلام للزركلي** ج٦ ص٣٢٩.

(٥) دائرة معارف القرن العشرين، ٣/ ٧٢١ -٠ ط٣ -٠ بيروت - لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.

٢ - ويرى بعض الباحثين أن الأصل في نشأة الخط العربي هو حين «اتصل العرب الشماليون بالآراميين والكلدان ومنهم السريان، فاقتبسوا من معارفهم الكتابة السريانية، ثم اتخذوا منها الشكل العربي ... والذي عليه المحققون اليوم، أن الخط العربي المعروف اليوم ومثله الكوفي أخذا من الخط السرياني ...»[١].

٣ - قال ابن خلدون[٢]: «فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة، ولقنها الحيرة من التبابعة وحِمْيَر هو الأليق من الأقوال»[٣].

٤ - قال الدكتور غسان حمدون: «الكتابة العربية التي وصلت للصحابة نسبت إلى ثلاثة نفر من طيئ ببقة، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار، ثم جاء الصحابة رضوان الله عليهم فتعلموا الكتابة من أهل الحيرة، فعن عامر الشعبي رضي الله عنه قال: «سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار»[٤].

والمعول عليه هو ما ذكره أستاذي الفاضل الدكتور / غسان حمدون في كتابة المصاحف للأدلة في ذلك .

---

(١) رسالة الخط العربي ص٥٣ وص: ٥٥، تأليف أحمد رضا ؛ تحقيق د. نزار أحمد رضا -ط١- بيروت - لبنان : دار الرائد العربي ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) الفيلسوف المؤرخ، والعالم الاجتماعي البحاثة . أصله من أشبيلية. توفي في القاهرة . **الأعلام** للزركلي ج٣ ص٣٣٠.

(٣) **مقدمة ابن خلدون** ص٤١٨، لم تذكر الطبعة- بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي .

(٤) **مجلة كلية الآداب** - جامعة صنعاء، بحث الدكتور/ غسان حمدون بعنوان: دراسة لوحة مخطوطة من القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري، العدد ٢٢، ص٣٤٠. وانظر: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** د. جواد علي، ج٨ ص١٧٠. ١٧١، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ساعدت جامعة بغداد على نشره. **تاريخ اللغات السامية**، تأليف: أ. ولفنسون، ص١٧٦، لم تذكر الطبعة، دار القلم. فتوح البلدان، لأبي الحسن البلاذري ص٤٥٢، ٤٥٣، طبعة: ١٩٨٨م، دار ومكتبة الهلال.

اللوحة رقم (١) : لوحة الدراسة

سورة لقمان من قوله تعالى ﴿عذاب غليظ﴾ .. الآية رقم: ٢٤، إلى آخر السورة ، ومن أول سورة السجدة إلى قوله تعالى: ﴿خلق﴾ ... الآية رقم : ٤ ،

المصدر : مصاحف صنعاء : اللوحة رقم (٤) ، ص : ٤٤ .

والمحقق تحقيقاً علمياً من كل ما سبق هو ما ذكرته سهيلة الجبوري في رسالتها بناء على النقوش التي وجدت، فتقول: «والواقع أن الأصل النبطي له كان معروفاً عند بعض العلماء أمثال «كلير» الذي أدرك بشكل عام العلاقة بين القلم النبطي والسرياني من جهة، والخط العربي بالخط النبطي من جهة أخرى»[1] .

ثالثاً: أوصاف اللوحة العامة:

اللوحة مصورة في كتاب «مصاحف صنعاء» طبعة متحف الكويت الوطني، وأوصافها كما يأتي:

١ - كتب بجانب اللوحة البيانات التالية:

«١ - سورة لقمان من الآية: ٢٤ إلى سورة السجدة الآية: ٤ .

٢ - طول اللوحة: ٣٧,١ سم وعرضها: ٢٨سم»[2].

---

(١) **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي**، ص١٥، ساعدت في نشره جامعة بغداد ١٩٧٧م. **المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري** د. عبد الستار الحلوجي، ص١٢٠- ط١٠- الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٢) ص٤٤، جمادى الآخرة - شعبان ١٤٠٥هـ. ويلاحظ أن كتابة القرآن كانت على ألواح كبيرة، ثم بدأت في الصغر في الخط الكوفي المبكر، (مصاحف صنعاء، طبعة متحف الكويت الوطني ص٥٢). ومع ذلك فقد كان الأئمة يرون أفضلية كتابة صحف القرآن على أوراق كبيرة، قال ابن القاصح: «وأما ما يفعله جهلة النساخ من كتابة الختمات الحمائلية، فمكروه لكونه فيه تصغير، وتحقير لكتاب الله تعالى». انظر: **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد**، على عقيلة أتراب القصائد لابن القاصح، ص٦١ ؛ مراجعة وتعليق الشيخ عبد الفتاح القاضي ٠- ط١ ٠- مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام جلال الدين السيوطي ج٢ ص١٧٠، طبعة دار الفكر بدون تاريخ.

٢ - وكتب في رأس اللوحة:

خط حجازي، القرن الأول الهجري مع بعض النقط للتمييز بين الحروف المتشابهة ولكن بدون شكل، وبدون عناوين للسور(١).

٣ - اللوحة: يظهر من شكلها العام خرم داخل الصفحة في الجهة اليسرى تحت نصف الصفحة أخذ أجزاء من كلمتين هي: كلمة ﴿كل﴾ من السطر الأول، وجزء من كلمة: ﴿واخشوا﴾ في السطر الذي بعده.

وفيها من الزوايا كذلك، كما تظهر فيها شقوق، وأثر لماء أصابها، وأيضاً كتابة تظهر تحت كتابة الآيات المذكورة كانت على هذه اللوحة ثم مسحت بالماء كما ذكر في تعريف اللوحة، حيث كتب: «صفحة من مصحف يمكن تأريخها بالنصف الأول من القرن الأول الهجري، إذ أعيد كتابتها بالخط الحجازي فوق ورق مغسول. يلاحظ أن النص الذي تم محوه كان أيضاً نصاً قرآنياً»(٢).

٤ - يلاحظ أن النقط على بعض الحروف دون بعض، مما قد يعطي انطباعاً أنه ربما يكون متأخراً، انظر لوحة الدراسة(٣).

---

(١) **مصاحف صنعاء**، طبعة متحف الكويت الوطني ص٤٤. وقد نبهت على أن النقط متأخر، وأما قولهم في المرجع المذكور «للتمييز بين الحروف المتشابهة» فكلام غير دقيق ؛ لأنه لم يوضع على الحرف الواحد في مواضعه المختلفة بل يوضع في مكان دون آخر، انظر موضوع: نقط الإعجام في لوحة الدراسة، من هذا البحث.

(٢) **مصاحف صنعاء**، ص ٤٤. والمحو بالغسل كان معروفاً عندهم، انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام السيوطي ج٢ ص١٧٢.. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** د. جواد علي، ج٨ ص٢٦٩ . **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين** ، الشيخ: علي محمد الضباع، ص١٣٣ -٠ ط١ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٣) انظر مبحث: **نقط الإعجام في لوحة الدراسة**.

٥ - من مميزات اللوحة أيضاً عدم وجود فاصل بين السورتين بأي كلام سوى سطر فارغ ثم البسملة متصلة ببداية السورة الثانية .

٦ - الفارق بين الآيات بعضها مع بعض هي ست نقط، ثلاث متراكبة فاثنتان فواحدة، لا تختلف هذه العملية نهاية كل آية، والملاحظ أن لها مكاناً مخصصاً أخذه كاتب اللوحة في عين الاعتبار، إلا أنها باهتة أكثر من الكتابة، بل تكاد تشبه في بهاتة اللون نقط الإعجام في النص(١).

٧ - يلاحظ في كتابة اللوحة أن الأسطر منتظمة في بداياتها ، فهي تبدأ من محل واحد متساوٍ في كل الأسطر، إلا أن نهاية الأسطر ليست متساوية ، فقد يزيد سطر وينقص آخر.

٩ - خط اللوحة ليس رفيعاً، وليس عريضاً، بل هو وسط، ويظهر عليه التناسق في رسم الحروف وجمال الخط وإحكامه(٢).

١٠- هناك تأثير للرطوبة على بعض أجزاء اللوحة فبعض الكلمات شبه مطموسة.

١١- تحتوي اللوحة على جميع حروف الهجاء، وفي أوضاعها المختلفة(٣)، عدا : الثاء والزاي والظاء ، فلا توجد في بداية الكلمة، والحاء والخاء والذال والشين

---

(١) ووضع النقط عند رأس الآية للدلالة على نهايتها من أقدم ما عرف من الزيادات في المصحف، ساق الداني بسنده «عن يحيى بن أبي كثير قال: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في هذه المصاحف، إلا هذه النقط الثلاث عند رؤوس الآيات». انظر **المحكم** ص١٧.

(٢) حيث إن العلماء أجمعوا على استحباب تحسين وتبيين وإيضاح كتابة المصحف. انظر: **موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي**، سعدي أبو جيب، ج٢ ص٨٢٣. تصوير عن الطبعة الثانية - دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٧ م .

(٣) أوضاع الحرف في الكلمة: رسمه في بداية الكلمة، في وسط الكلمة، في آخر الكلمة.

والصاد والغين والفاء ، فلا توجد في نهاية الكلمة، وأما حرف الضاد فوجد في نهاية الكلمة فقط، وحرف الطاء ليس مرسوماً وسط الكلمة، وأما بقية الحروف مع اختلاف أوضاعها فموجودة.

١٢- لا تحتوي اللوحة على زخارف - بالرغم من أنها تحتوي على بداية سورة جديدة - إلا على شكل واحد بسيط، وربما كان علامة «تعشير» : أي انتهاء عشر آيات[١].

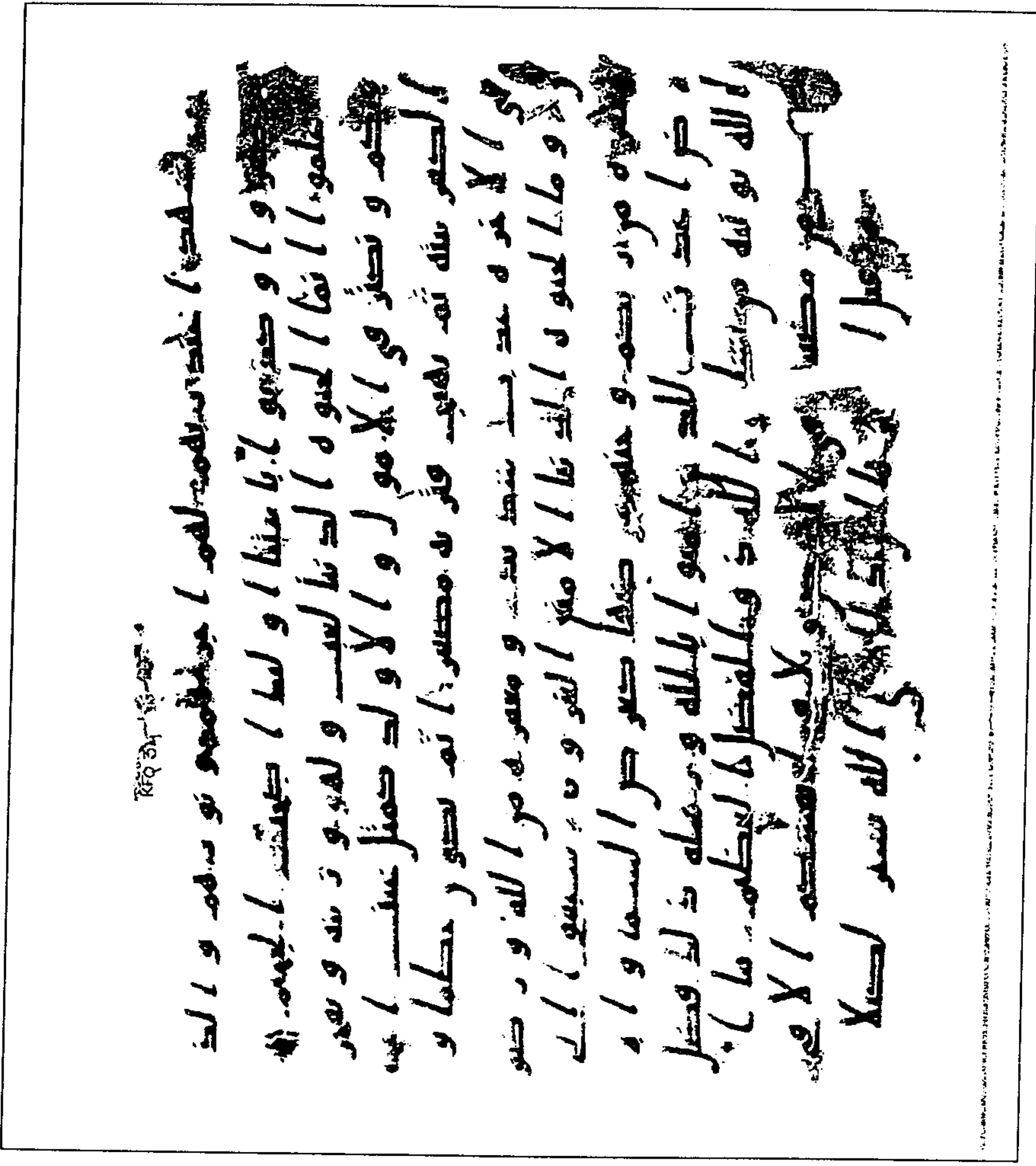
١٣- يلاحظ في اللوحة توزيع الكلمة بين سطرين، فعشرة أسطر من ثمانية عشر سطراً قُطِعَت الكلمة فيها، فبعضها في آخر السطر وبقيتها في أول السطر التالي، وقد عد القلقشندي[٢] ذلك قبيحاً جداً في الكتابة، ولكنه اعتذر عن رسم المصحف فقال: «قال صاحب «منهاج الإصابة» : وإنما وقع ذلك في المصاحف التي كتبت في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط، فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر، ويجعل باقيها في السطر الثاني»[٣]. ولا يخفى الدليل الضمني في هذا القول على قدم اللوحة.

---

(١) انظر لوحة الدراسة، السطر رقم: (١٥).

(٢) أحمد بن علي الفزاري (٧٥٦ - ٨٢١هـ) المؤرخ، الأديب، البحاثة . ولد في قلقشند، من أفضل تصانيفه «صبح الأعشى» . الأعلام للزركلي ج١ ص١٧٧. **الموسوعة العربية الميسرة** ج٢ ص١٣٩٣.

(٣) **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** لأحمد بن علي القلقشندي ؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين ج٣ ص١٤٥- ط١ ٠- بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .



اللوحة رقم (٢) : لوحة مقارنة

سورة الحديد من قوله تعالى : ﴿والشهداء عند ربهم﴾ .. الآية رقم : ١٩ إلى قوله تعالى : ﴿لكيلا﴾ .. أول الآية رقم : ٢٣.

المصدر : *DEROCHE: THE ABBASID TRADITION* ج١ ص: ٣١ ، حيث ذكر أنها من أواخر القرن الأول .

اللوحة رقم (٣) : لوحة مقارنة

سورة الأعراف من قوله تعالى : ﴿يتوفونهم قالوا﴾ .. الآية رقم : ٣٧ إلى قوله تعالى : ﴿قالوا نعم فأذن﴾.. الآية رقم : ٤٤ ، المصدر : مصاحف صنعاء : اللوحة رقم (٣) ، ص : ٤٢ ، من القرن الأول كما حددها الخبير الألماني د / جرد بوئن

رابعاً: الخط في اللوحة وتاريخه:

هناك خط يعده الباحثون أقدم نوع عرفه العرب وكتبوا به وهو خط الجزم، قال ابن النديم[١] : «قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبّه[٢] وبخطه، أخبرني قوم من علماء مضر، قالوا: الذي كتب هذا العربي[٣] الجزم رجل من بني يخلد بن النضر بن كنانة، فكتبت حينئذ العرب» [٤] ، ويؤيد هذا ما ذكره أبو بكر بن أبي داود السجستاني[٥] قال عن هشام بن محمد[٦] : «إن خطنا هذا سمي الجزم»[٧].

وقد بدأ انتشاره نوعاً ما في مكة حاضرة البوادي، أكثر من غيرها من المدن

(١) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم، أبو الفرج (... - ٤٣٨هـ) عالم، أديب، مشارك في أنواع العلوم . له كتاب الفهرست، والتشبيهات وغيرهما . من أقدم من كتب في التراجم . كان بغدادياً، معتزلياً، متشيعاً. انظر : **الأعلام** للزركلي ج٦ ص٢٩ **ومعجم المؤلفين** لعمر رضا كحالة ج٣ ص١٢٢.

(٢) عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة البصري (١٧٢ - ٢٦٢هـ) شاعر، راوية، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل البصرة . توفي بسامراء. **السير** للذهبي ج١٢ ص٣٦٩. **الوفيات** لابن خلكان ج٣ ص٤٤١. **الأعلام** للزركلي ج٥ ص٤٧، ٤٨.

(٣) لعل قبل كلمة: العربي، كلمة: الخط، فتكون الجملة: الخط العربي، والله أعلم.

(٤) كتاب الفهرست للنديم أبو الفرج بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ص٨، الطبعة ١٩٨٨م؛ تحقيق: رضا تجدد، دار المسيرة.

(٥) عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٣٠ - ٣١٦هـ)، من كبار حفاظ الحديث . إمام أهل العراق . عمي في آخر عمر . استقر وتوفي ببغداد. **سير أعلام النبلاء** ج١٣ ص٢٢١. **الأعلام** للزركلي ج٤ ص٩١.

(٦) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر (... ٢٠٤هـ) مؤرخ، عالم الأنساب وأخبار العرب. من أهل الكوفة وبها توفي . كثير التصانيف. **السير** للذهبي ج١٠ ص١٠١. **وفيات الأعيان** ج٦ ص٨٢. **الأعلام** ج٨ ص٨٨.

(٧) كتاب المصاحف، ص١٠.

أو بين رجال القبائل[١]، وقد يطلق عليه «الخط المدني والخط المكي»[٢]. وقد قال النديم الورّاق: «قال محمد بن إسحاق[٣] : فأول الخطوط العربية، الخط المكي وبعده المدني..»[٤]، ولا يؤثر في هذه التسمية ما ذكره القلقشندي أن هناك كتباً بخط الأولين ما ليس على صورة الكوفي[٥]، إذ إن معناه أن هناك ما هو على صورة الكوفي، وهذا الخط هو ما يطلق عليه الخط الكوفي[٦]، وهو خط اللوحة موضوع الدراسة، يشهد لذلك اللوحة رقم (٢) واللوحة رقم (٣)، من نفس الزمن تقريباً، واللتان تتشابهان مع لوحة الدراسة بشكل واضح، من حيث رسم الحروف في مجموع اللوحات، وإليك الأمثلة:

١ - فانظر إلى حرف القاف في لوحة الدراسة، واللوحة رقم (٣) وكيف تشكلت نهايته إلى الأسفل ثم عقف في نهايته كشكل الخطاف وهو لا يزال عموديا بانحناء قليل إلى جهة اليسار، في شكل متحد في اللوحتين هكذا ﴿ ﴾ ﴿ ﴾،

---

(١) أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، ص٣٦، ساعدت في نشره جامعة بغداد ، ١٩٧٧م.

(٢) كتاب الفهرست، ص٩. مصاحف صنعاء، متحف الكويت الوطني ص٣٢.

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار المدني: (... - ١٥١هـ) من أقدم مؤرخي العرب. كان قدرياً من حفاظ الحديث. توفي في بغداد. الأعلام للزركلي ج٦ ص٢٨.

(٤) كتاب الفهرست، ص٩.

(٥) صبح الأعشى، ج٣ ص١٦.

(٦) قديم وجديد في أصل الخط العربي، وتطوره في عصوره المختلفة. يوسف ذنون، بحث في مجلة المورد، المجلد: الخامس عشر. العدد: الرابع، شتاء: ١٩٨٦م، ص١٤. تصدرها، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية. تاريخ القرآن، د. محمد حسين الصغير، ص١٣٠ - ط١ - الدار العالمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.

ثم انظر كيف ذكره ابن مقلة[1] مطوراً [2].

٢ - ثم انظر إلى حرف الكاف تجد أن اللوحات الثلاث متفقة في رسمه على شكل واحد فقط وهو بخطين متوازيين أفقيين مغلقين من الجهة اليمنى، فإن كان الكاف في آخر الكلمة كان الخط الذي ينطلق للأعلى طويلا هكذا ﴿ ﴾، وإن كان الكاف في البداية أو الوسط فإن الخط المنطلق من الكاف للأعلى يكون قصيراً هكذا ﴿ ﴾. وإنما تفاوت طول الخط وقصره نظراً لتشابه حرفي الدال والكاف في الرسم، فقد رسما بصورة واحدة، والفرق بينهما وسط الكلمة أن الكاف يربط بما بعده والدال ليس كذلك فأمن اللبس وسط الكلمة، وأما آخر الكلمة فقد ميز الكاف بطول في الخط المنطلق منه للأعلى كما تقدم.

٣ - ثم تأمل حرف الجيم في آخر الكلمة في اللوحات الثلاث تجده على نفس الشكل يبدأ بخط من اليسار منحدراً للأسفل مع ميلانه جهة اليمين في نزوله، ثم من منتصفه يخرج خط أفقي تماماً متجهاً إلى اليسار هكذا ﴿ ﴾، ينحرف في لوحة الدراسة في آخره قليلا للأسفل هكذا ﴿ ﴾، بينما ذكرها ابن مقلة فقال: «منكب، ونصف دائرة»[3]، فإن عبارة ابن مقلة تدل على تطور في كتابة الجيم حيث أصبحت نهايته على شكل نصف دائرة كما نكتبه نحن الآن، بدلا من الخط الأفقي الذي كتبت به اللوحة.

---

(١) محمد بن علي بن الحسين، أبو علي (٢٧٢ - ٣٢٨هـ) وزير من الشعراء، يضرب بخطه المثل. ولد ببغداد. قطعت يده اليمنى فكان يشد القلم على ساعده ! . مات مسجونا. **الأعلام** للزركلي ج٦ ص٢٧٣. **السير** للذهبي ج١٥ ص٢٢٤ . **الوفيات**، لابن خلكان ج٥ ص١١٣.

(٢) **صبح الأعشى**، للقلقشندي ج٣ ص٣٥.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٣٠.

٤ – وفي حرف العين الوسطى والأخيرة، تجد أنها تشبه إلى حد بعيد الرقم (٧)[١]، هكذا ﴿ ﴾، ويؤيد ذلك بعض ما وصل إلينا من نقوش تلك الحقبة، كما في (نقش معاوية)[٢].

٥ – وأخيراً يلاحظ بشكل واضح ميلان الألف واللام إلى جهة اليمين عند رسمهما حال وجودهما في الكلمة ؛ إذ إنهما ليسا في اللوحة عموديين بل مائلين، هكذا ﴿ ﴾.

ومن خلال المقارنات التي عقدتها بالأمثلة السابقة، أرى أن لوحة الدراسة أقدم بزمن ما في القرن الأول، من اللوحتين المنسوبتين إلى نفس القرن، وذلك من خلال الآتي:

١ – انظر إلى حرف الهاء في بداية الكلمة في اللوحتين الأخريين يبدأ من الأعلى بخط واضح ثم يلتف إلى اليسار ليشكل مع تماسه بالخط الأفقي السابق دائرتين، هكذا ﴿ ﴾. وفي لوحة الدراسة تجده لا يأخذ النمط السابق ، بل يكاد يشبه دائرتين متلاصقتين هكذا ﴿ ﴾، حيث إن الشكل الأول تكون فيه حركة اليد منتظمة أكثر من الشكل الثاني، وعادة ما يحدث هذا في تحقيق كتابة الحروف، مما يعتبر قرينة لتأخره.

---

(١) *FRANCOIS DEROCHE , THE ABBASID TRADITION Qur'ans of the 8th to the 10th centuries AD, PAGE:28..* تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، جدول ص١٧٥ . الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري (٧ – ١٨م)، د. مايسة محمود داود، ص٩٤ ٠– ط١ ٠– مكتبة النهضة المصرية ، يناير ١٩٩١م ٠

(٢) انظر مصاحف صنعاء ص٣٣.

٢ - حرف الألف والذي يظهر في اللوحات الثلاث قائماً منحنياً إلى اليسار في نهايته، ففي لوحة الدراسة نجد أن حرف الألف يزاد بجرة أفقية إلى جهة اليمين، وهي طويلة هكذا ﴿ ﴾ مقارنة مع اللوحتين الأخريين في جميع الألفات حيث تقصر جرة القلم الأفقية فيها هكذا ﴿ ﴾ عدا موضع واحد في اللوحة رقم (٢) آخر السطر العاشر، حيث شابهت في رسم هذه الألف رسمها في لوحة الدراسة، مع الملاحظة لهذه الألف أنها كتبت في آخر السطر منفصلة عن كلمتها، فلعل الكاتب لما رأى بعدها عن كلمتها رسمها هكذا حتى ينتبه إليها والله أعلم، مع ملاحظة أن غالبية الألفات في اللوحة رقم (٣) تكاد الجرة في الألف أن تنعدم نهائيا إلا أثراً بسيطاً جداً، ولا شك أن قِصَرَ الجرة الأفقية طريق إلى انعدامها نهائيا بعد ذلك.

وأيضاً فإن أشكال الحروف المميزة للخط الحجازي واضحة في اللوحة من خلال:

١ - الألفات المعوجة والمائلة كما ذكر ذلك النديم الوراق: «فأما المكي والمدني، ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع، وفي شكله انضجاع يصير[١]»[٢]، حيث إن قوله (مكي) أي في العهد المكي قبل الهجرة مما يدلل على قدمها، بينما تمثلت أشكال الألفات في القرن الثاني بقلة التعويج حتى ينعدم في القرن الثالث[٣].

---

(١) صححت الكلمة في جدول الأخطاء في آخر الكتاب بأنها (يسير) وليست (يصير) الفهرست ص١٦٥.

(٢) كتاب الفهرست، ص٩.

(٣) انظر من لوحات القرن الثالث ؛ دراسة د. غسان حمدون للوحة من القرن الثالث ص٣٤٢.

٢ - ويذكر *DEROCHE* من صفاته: «وكنتيجة لما قمنا بدراسته فإن هناك فارقاً واضحاً بين الألف التي دائماً ما تميل إلى ناحية اليمين، واللام العمودية، والألف المفردة لها عودة نحو قاعدتها»(١).

٣ - كما تذكر سهيلة (٢) أيضاً عن حرف النون فتقول : «كما نجد أن شكل النون ﴿ ل ﴾ في الكلمات ﴿المهيمن﴾ ... قد اتخذ شكلاً متطوراً لما عليه في الكتابات الجاهلية والراشدية فأصبح مشابها لمثيله في النقوش الأموية»(٣)، والنون في لوحة الدراسة في الخط الحجازي لم تكتمل استدارتها.

ومن كل ما تقدم يتضح أن خط اللوحة موضوع الدراسة هو الخط الكوفي على الأرجح - وإن كانت التسمية متأخرة عن الكتابة إلا أنه مصطلح أطلق على هذه الخطوط عند بعض الباحثين - دون التفريق بين مكيه ومدنيه، وذلك من خلال دراسة أشكال الحروف في ذلك العصر ، ومن خلال مقارنة النص المدروس بلوحات مختلفة منسوبة إلى ذلك القرن ، وبالنقوش التي تم العثور عليها أيضاً.

---

(١) *FRANCOIS DEROCHE , THE ABBASID TRADITION Qur'ans of the 8th to the 10th centuries AD, PAGE:28.* كتاب الفهرست، ص٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة؛ تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، ج١ ص ٧١٠ ، لم تذكر الطبعة، دار إحياء التراث العربي. تاريخ القرآن، د. الصغير، ص١٤٤.

(٢) هي سهيلة ياسين الجبوري عراقية معاصرة . توفيت - رحمها الله - ١٩٩٠م تقريباً، مؤلفة كتاب (أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي) وهو رسالة علمية نالت بها المؤلفة درجة الماجستير من جامعة بغداد، نشرت الرسالة جامعة بغداد عام ١٩٧٧م.

(٣) أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، ص٨٦.

خامسا: الرسم:

١ - تعريف الرسم:

الرسم لغة : الأثر ، واصطلاحاً قال في دليل الحيران : والرسم التوقيفي: «علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي»(١). وعرفه الضباع بقوله: «علم تعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي»(٢).

فهو: مرسوم القرآن أعني حروفه المرسومة، ومراده بأصل الرسم ما يعتمد في كيفياته عليه، ويرجع عند اختلاف المقارئ إليه(٣).

٢ - الأصل المعتمد في الرسم:

الأصل المعتمد عليه في الرسم هي مصاحف الإمام عثمان والمصاحف المنتسخة منها . قال في دليل الحيران بعد أن شرح مضمون الجملة السابقة: «إلا أن بعض ذلك تلقوه عن المصاحف العثمانية كما تقدم، وبعضه من مصاحف الأمصار المظنون بكل واحد منها متابعة مصحف مصره كما تقدم أيضاً»(٤).

٣ - حكم اتباع الرسم :

يعتمد الحكم في اتباع الرسم على قولين :

---

(١) **دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن**، للعلامة الخراز ، والشرح للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي ص٤٠، لم تذكر تاريخ الطبعة، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) **سمير الطالبين** ، للعلامة الضباع ، ص٢٢. وانظر : **المؤنس في ضبط كلام الله المعجز** ، محمود أمين طنطاوي ص٥، عام: ١٤١١هـ، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) **دليل الحيران**، للمارغني، ص١١.

(٤) **دليل الحيران** ص٢٥.

١ - فقد قال قوم بالتوقيف في رسم المصحف[1]، وعلى هذا القول ، فإنه يحرم مخالفة الرسم العثماني سواءً في كتابة مصحف، أو استشهاد بآية، وفي هذا من المشقة ما لا يخفى، بل إن الأمر لا يصح أصلاً، لأن الرسول لم يكن يكتب حتى يعرف كيف كتب أصحابه، إنما كان يأمرهم أن يضعوا الآيات في الموضع المحدد دون التفات وتوجيه لكيفية رسمه.

٢ - وقيل هو اصطلاح الصحابة، وإلى هذا ذهب الأكثرون، وعليه، فإنه يجب التزام الرسم في كتابة المصحف كاملاً، لأن الرسول أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين من بعده، دون الاستشهاد بآية ونحوها، فإنه لا يمنع كتابة غير المصحف بإملاء الناس، وعلى ذلك فتوى الأئمة[٢].

والذي عليه العمل وجوب اتباع الرسم الاصطلاحي في كتابة المصاحف قال الخراز [٣] في منظومته:

---

(١) المصدر السابق ص٢٤. **سمير الطالبين**، للضباع، ص١٤. **مقدمة كتاب البديع في رسم مصاحف عثمان**، لأبي عبد الله محمد بن يوسف الجهني؛ تحقيق د. سعود بن عبد الله الفنيسان، ص٣٢ -٠ ط١ ، دار إشبيليا ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي؛ تحقيق: هند شلبي ص٣٠، وانظر **مقدمة التحقيق** ص١٥-٠ ط١ -٠ دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م. **موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني**، يوسف بن محمود الخوارزمي؛ تحقيق عبد الرحمن آلوجي ص١٧، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، دار المعرفة. **رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة**، د. شعبان محمد إسماعيل، ص٦٣، ٦٤ وما بعدها، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، دار السلام. **خصائص القران الكريم**، د. فهد الرومي ص١٨٣، الطبعة الرابعة: ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر **دليل الحيران** ص٤١، ٤٢. **وسمير الطالبين** ص١٤.

(٣) محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي، أبو عبد الله ، المشهور بالخراز (... - ٧١٨هـ) . عالم بالقراءات، من أهل فاس . له عدة كتب. **الأعلام** للزركلي ج٧ ص٢٣. **دليل الحيران** للمارغني ص٥، ٦.

«فواجب على ذوي الأذهان   أن يتبعوا المرسوم في القرآن
ويقتدوا بما رآه نظرا   إذ جعلوه للأنام وزرا[١]
....
وجاء آثار في الاقتداء   بصحبه الغر ذوي العلاء»[٢].

وقد قال البيهقي[٣] في شعب الإيمان: «من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا فيها المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم..» [٤]. وقد قال بذلك كثير من العلماء مثل مالك[٥] وأحمد[٦] ولا يلتفت إلى المخالف لحجج هي خارج موضوع هذا البحث. قال في دليل الحيران: «فيجب على من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني، فإن كتبه

---

(١) الوزر: بفتحتين الملجأ، وأصله الجبل. **مختار الصحاح**. محمد بن أبي بكر الرازي، مادة: وزر ص٦٤٣، طبعة مكتبة لبنان ، ١٩٨٩م .

(٢) **دليل الحيران** للمارغني، ص٢١.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) من أئمة الحديث . ولد في خسروجرد بنيسابور، وبها توفي. صنف زهاء ألف جزء. السير للذهبي ج١٨ ص١٦٣ . **الوفيات** لابن خلكان ج ١ ص٧٥. **الأعلام** للزركلي ج١ ص١٦٦.

(٤) نقلاً عن كتاب **تاريخ القرآن**، د. محمد حسين علي الصغير، ص١٤٦ - ط١ - بيروت - لبنان : الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٥) الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (٩٣ - ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، والمذهب المالكي. مولده ووفاته بالمدينة. كان صلباً في دينه. **السير**: للذهبي ج٨ ص٤٨ . **الوفيات** لابن خلكان ج٤ ص١٣٥ . **الأعلام** للزركلي ج٥ ص٢٥٧.

(٦) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله (١٦٤ - ٢٤١هـ) إمام المذهب الحنبلي، أحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو. سافر كثيراً طلباً للعلم. سجن ثم أطلق في فتنة خلق القرآن. السير للذهبي ج١١ ص١٧٧ . **الوفيات** لابن خلكان ج١ ص٦٣ . **الأعلام** للزركلي ج١ ص٢٠٣.

على مقتضى الرسم القياسي فقد خالف الأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة، وخالف ما أجمع عليه الصحابة، وخرق إجماع من بعدهم من علماء الأمة. قال أشهب[١]: سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى. رواه الداني[٢] في المقنع[٣] وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان[٤] في واو، أو ياء أو ألف أو غير ذلك. وقد نقل الجعبري[٥] وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع مرسوم المصحف العثماني..»[٦]. وقال الملا على القاري[٧]: «وإنما يتبع الرسم تعبداً، وتبركاً، واقتداءً بالصحابة الكرام، كتابة أو قراءة»[٨]، حتى أن أبا بكر حين أمر بجمع

---

(١) أشهب بن عبد العزيز القيسي، أبو عمرو (١٤٥ - ٢٠٤هـ) فقيه مصر. مالكي. توفي بمصر. **السير**: للذهبي ج٩ ص٥٠٠. **الوفيات** لابن خلكان ج١ ص٢٣٨. **الأعلام** للزركلي ج١ ص ٣٣٣.

(٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (٣٧١ - ٤٤٤هـ) أحد حفاظ الحديث، من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، من أهل دانية في الأندلس، وبها توفي. له أكثر من مئة مصنف. **السير** للذهبي ج١٨ ص ٧٧. **الأعلام** للزركلي ج٤ ص ٢٠٦.

(٣) ص٩، مع خلاف يسير في اللفظ، وقال: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة.

(٤) أمير المؤمنين:عثمان بن عفان بن أبي العاص (٤٧ ق.هـ. - ٣٥هـ) ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، أحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد بمكة. نصر الإسلام كثيراً، جمع القرآن، وكتبه وأرسل بنسخ منه إلى الأمصار الإسلامية. قتل في بيته بالمدينة.

(٥) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري أبو إسحاق (٦٤٠ - ٧٣٢هـ) عالم بالقراءات. شافعي. ولد بقلعة جبر بالفرات. توفي في الخليل بفلسطين. له شرح على الشاطبية. **الأعلام** للزركلي ج١ ص٥٥.

(٦) **دليل الحيران**، ص٤١، ٤٢.

(٧) علي بن سلطان محمد نور الدين الهروي (... - ١٠٢٤هـ) فقيه حنفي . من صدور العلم في عصره . ولد في هراة . سكن مكة، وبها توفي . كان مجتهداً . **البدر الطالع**: للشوكاني ج١ ص٤٤٥ . **خلاصة الأثر** للمحبي ج٣ ص١٨٥ . **الأعلام** للزركلي ج٥ ص١٢.

(٨) **المنح الفكرية على متن الجزرية**، ص٦٧، الطبعة الأولى: ١٣١٨هـ، المطبعة الأزهرية المصرية.

المصحف كان يشترط أن يكون مع الحفظ مكتوبا[١]، قال ابن حجر[٢] تعقيباً على ذلك: «وكأن غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ»[٣]. وقال أيضاً: «قال البغوي[٤] - في شرح السنة -: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك، قطعاً لمادة الخلاف، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من الرسم»[٥]، ونقل أيضاً عن السبكي[٦] أنه قال - في شرح المنهاج -:... ما يخالف رسم المصحف فلا شك في أنه ليس بقرآن..»[٧]، وتكلم القلقشندي عن الياء التي تزاد في مواضع في رسم المصحف ثم قال: «وهذا مما يجب الانقياد إليه في المصحف اقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم»[٨].

---

(١) **فتح الباري**، لابن حجر: ج١٩ ص١٤.

(٢) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) من أئمة العلم والتاريخ، مولده ووفاته بالقاهرة . أقبل على الحديث ورحل فيه، علت شهرته في حياته . ألف كثيراً، **البدر الطالع** للشوكاني ج١ ص٨٧. **الأعلام** للزركلي ج١ ص١٧٨.

(٣) **فتح الباري**، ج١٩ ص١٤، ١٧.

(٤) الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد (٤٣٦ - ٥١٠هـ) فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى بغا من خراسان . توفي بمرو الروذ. **السير** للذهبي ج١٩ ص٤٣٩. **الوفيات** لابن خلكان ج٢ ص١٣٦ . **الأعلام** للزركلي ج٢ ص٢٥٩.

(٥) **فتح الباري**، ج١٩ ص٣٧.

(٦) تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي، بو الحسن (٦٨٣ - ٧٥٦هـ) شيخ الإسلام في عصره. ولد في سبك في مصر ، وتوفي في القاهرة . له مؤلفات كثيرة. **شذرات الذهب** لابن العماد ج٦ ص١٨٠ . **الأعلام** للزركلي ج٤ ص٤٠٢.

(٧) **فتح الباري**، ج١٩ ص٣٩.

(٨) **صبح الأعشى** ج٣ ص١٧٩.

٤ - الكلمات المخالفة للرسم القياسي في لوحة الدراسة هي:

١ - السماوات : السَّمَـٰوَٰت(١) .

٢ - أقلام : أَقْلَـٰم(٢).

٣ - واحدة : وَاحِدَة(٣) .

٤ - الليل : الَّيْل(٤) .

٥ - الباطل : الْبَـٰطِلُ(٥) .

٦ - بنعمة : بِنِعْمَت(٦) .

٧ - لآيات + آياته : لأَيَـٰت + ءَايَـٰتِه(٧) .

(١) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو الداني ص١٩؛ تحقيق محمد أحمد دهمان ، تصوير ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م عن الطبعة الأولى ٠- بيروت، لبنان : دار الفكر ، ١٩٤٠م. دليل الحيران ص٥٦. شرح تلخيص الفوائد ص٥٢. دليل الحيران ص٥٦. البديع، للجهني، ص١١٤. عنوان الدليل، للمراكشي، ص٦٨، رسم المصحف إحصاء ودراسة، صالح محمد صالح عطية، ص٦٩، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ميلادية ؟ - هكذا في الكتاب - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

(٢) الإتقان، للسيوطي ج٢ ص١٦٧ حيث ذكر أن الألف تحذف بعد اللام. رسم المصحف، صالح عطية، ص٨٥.

(٣) عنوان الدليل، للمراكشي، ص٧٢. رسم المصحف، صالح عطية، ص١٠٤.

(٤) المقنع ص٦٧. شرح تلخيص الفوائد لابن القاصح، ص٨٥. دليل الحيران، ص ٢٠٥. رسم المصحف، صالح عطية، ص١٥٢، موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٢٥.

(٥) المقنع ص١١. شرح تلخيص الفوائد ص٢٦. دليل الحيران ص٨٨. رسم المصحف، صالح عطية ص١١٠.

(٦) المقنع ص٧٧، ٧٨. شرح تلخيص الفوائد ص٩٥. دليل الحيران ص٣٠٧. البديع، للجهني، ص٨٥، رسم المصحف وضبطه، د. شعبان إسماعيل ص٤٧. رسم المصحف، صالح عطية، ص١٧٠. موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٧٢.

(٧) المقنع ص٢٠. شرح تلخيص الفوائد ص٥٠، ٥١. دليل الحيران ص٤٧، ٤٨. عنوان الدليل، للمراكشي، ص٦٨. رسم المصحف، صالح عطية، ص٦٦.

٨ – نجاهم : نَجَّـٰهُمْ (١) .

٩ – يا أيها : يَـٰٓأَيُّهَا (٢) .

١٠– الحياة : الْحَيَوٰة (٣) .

١١– العالمين : الْعَـٰلَمِينَ (٤) .

١٢– شيئا : شَيْـًٔا (٥) .

١٣– افتراه : افْتَرَا ٰـه (٦) .

١٤– آتاهم : أَتَـٰهُم (٧) .

(١) المقنع ص٦٣ . دليل الحيران ٢٦١ . رسم المصحف وضبطه، د . شعبان إسماعيل، ص٤٦ . رسم المصحف، صالح عطية، ص١٣٠، ١٦٦ . موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٦٣ .

(٢) المقنع ص١٦ . شرح تلخيص الفوائد ص٤٦ . دليل الحيران ص١١١ . رسم المصحف، صالح عطية، ص١٢٥، موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٢١ .

(٣) المقنع ص٥٤ . شرح تلخيص الفوائد ص٨٠ . دليل الحيران ص٢٨٢ . البديع، للجهني، ص١٠٦، ١٦٨ . عنوان الدليل، للمراكشي، ص٧٩ . موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٢٠ . رسم المصحف، صالح عطية، ص٥٩ .

(٤) المقنع ص ٢٢ . شرح تلخيص الفوائد ص ٥٢ . دليل الحيران ص ٤٧، ٤٨ . عنوان الدليل، للمراكشي، ص ٦٨ . رسم المصحف، صالح عطية، ص ٥٩ .

(٥) المقنع ص ٦١، ١٤٠ . شرح تلخيص الفوائد ص ٥٦ . دليل الحيران ص ٢١٤، ٢١٥ . حكى المراكشي في البديع إجماع النحويين على ... «أن الهمزة إذا تكررت وسكن ما قبلها، لم تصور الهمزة خطا...» ص ١١١ . عنوان الدليل للمراكشي، ص٤٦ . رسم المصحف، د . شعبان إسماعيل، ص ٣٩ .

(٦) رسم المصحف وضبطه، د . شعبان إسماعيل، ص ٤٦ . رسم المصحف، صالح عطية، ص ١٢٦، ١٦٦ .

(٧) رسم المصحف وضبطه، د . شعبان إسماعيل، ص ٤٦ . رسم المصحف، صالح عطية، ص ٩٦، ١٦٦ . موجز كتاب التقريب، للخوارزمي، ص٣٤ .

١٥- كلمات : كَلِمَـٰت [١] .

١٦- ألف لام ميم : آلٓمٓ [٢] .

١٧- الكتاب : الْكِتَـٰب [٣] .

١٨- الأرحام : [٤].

١٩- والده + والد : + [٥].

٢٠- بآياتنا : بِئَايَـٰتِنَا [٦]﴾[٧] .

٥ - الكلمات الموافقة والمخالفة لرسم المصحف مع أنّ اللفظ واحد عند القراء:

الكلمات السبع عشرة الأولى متحدة في الرسم في لوحة الدراسة مع المصحف

---

(١) **المقنع** ص ٢٢ . **شرح تلخيص الفوائد** ص ٥٢ . **دليل الحيران** ص ٤٧، ٤٨ . **عنوان الدليل** للمراكشي، ص ٦٨ . **رسم المصحف**، صالح عطية، ص ٧٢.

(٢) متفق على رسمها هكذا، انظر مقدمة كتاب، **البديع**، للجهني، ص ٣٣.

(٣) **المقنع**، لأبي عمرو الداني، ص ٢٠ . **تلخيص الفوائد**، لابن القاصح، ص ٥٠ . **دليل الحيران**، للمارغني، ص ٦٦، ٦٧ . **رسم المصحف**، صالح عطية، ص ١٢٨ . **موجز كتاب التقريب**، للخوارزمي، ص ٢٠ . **عنوان الدليل**، للمراكشي، ص ٦٥ .

(٤) نقل المارغني في دليل الحيران، الاتفاق على إثبات الألف في الأرحام في هذه السورة. وكذا في كتاب **رسم المصحف**، صالح عطية، ص ٧٦. (والكلمة هي صورة ما في المخطوطة).

(٥) اتفق الداني في **المقنع** ص ٤٤ . والمارغني في **دليل الحيران** ص ٨٦، على إثبات الألف بعد الواو. (والكلمتان هما صورة ما في المخطوطة).

(٦) أخرت هذه الكلمة: لأنها رسمت في لوحة الدراسة: بياءٍ بدلا من الألف التي بعد الياء الأصلية في الكلمة، انظر: اللوحتان رقم: (٢) و(٣)، وانظر: **المقنع** لأبي عمرو ص ٥٠ . **كتاب المصاحف**، لأبي بكر السجستاني ص ١١٧ - ط١ - بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م . والكلمة الأولى: بالرسم الإملائي، والثانية: صورة عن لوحة الدراسة، والثالثة: صورة عن المصحف المطبوع.

(٧) الكلمات أولا بالرسم القياسي - ثم بالرسم الاصطلاحي.

المطبوع كما في اللوحة (٤)، والكلمات الباقية لم ترسم في المصحف المطبوع بمثل ما هي مثبتة في لوحة الدراسة، إلا أن قدم اللوحة يعد دليلا من الأدلة في معرفة الرسم، ولوحة الدراسة - عامة - تعد في قدم تأريخها دليلاً في الرسم، وخاصة أن اللوحات الثلاث متفقة على رسم كلمة لم ترسم في المصحف المطبوع كذلك، وهي كلمة: ﴿بِئَايَـٰتِنَا﴾ فقد رسمت في النسخ جميعاً ﴿ بايتنا ﴾ بإثبات ياء في موضع الألف المحذوفة، مع ملاحظة أنه لا خلاف بين القراء في نطقها. وخلاف الرسم في حذف الألف كان معروفا قديما[1]، وعليه يوجه رسم الكلمات رقم (١٨) و(١٩) السابقة، حيث أن الخلاف فيها إنما هو في إثبات الألف وحذفها.

٦ - القراءات في اللوحة:

وهناك كلمات في الرسم، كتبت لكي تحتمل، قراءات متواترة صحيحة، وهذا هو أحد أركان القراءة الصحيحة، وهي ثلاثة:

١ - أن تصح إسناداً.

٢ - أن توافق وجهاً نحوياً.

٣ - أن يكون الرسم محتملاً لها.

قال ابن الجزري معدداً لأركان القراءة الصحيحة:

«فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة»[2].

(١) انظر: **المحكم**، للداني ص٢١. **الكتابات العربية على الآثار الإسلامية**، د. مايسة محمود داود، ص ٩٤، ٩٩، ١٠٠. **المفصل في تاريخ العرب**، د. جواد علي، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢) **طيبة النشر في القراءات العشر**، تأليف الإمام محمد بن محمد بن الجزري ص ٣٢ - ط١- المدينة المنورة : مكتبة دار الهدى ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .

عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ

اللوحة رقم (٤) : صورة من المصحف المطبوع

سورة لقمان من قوله تعالى : ﴿عذاب غليظ﴾ .. الآية رقم : ٢٤ إلى آخر السورة

ومن أول سورة السجدة إلى قوله تعالى : ﴿خلق﴾ .. الآية رقم : ٤

فإذا صحت هذه الشروط الثلاثة، فهي قراءة صحيحة، ثابتة لا يجوز إنكارها[١]. قال ابن حجر: «ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ»[٢].

على ما تقدم فهناك من أوجه القراءات العشر - مع اتفاق رسمها[٣] - ما يلي:

أ - ﴿وَالْبَحْرِ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب، بنصب الراء ، والباقون برفعها.

ب - ﴿يَدْعُونَ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسائي وخلف بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب.

ج - ﴿بِنِعْمَتِ﴾[٤] : وقف ابن كثير أبو عمرو ويعقوب والكسائي بالهاء، والباقون بالتاء.

د - ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد[٥].

ومما يجب التنبه له أن هذه القراءات مع تنوعها تندرج تحت الأسس والعلاقة بين معاني القرآن الكريم بتعدد القراءات والتي حددها ابن الجزري رحمه الله وهي:

١ - أن يكون اللفظ مختلفاً والمعنى واحداً.

---

(١) **موسوعة الإجماع**، سعدي أبو جيب، ج ٢، ص ٨٢١.

(٢) **فتح الباري**، ج ١٩ ص ٣٩.

(٣) حيث إنها متفقة في الرسم في لوحة الدراسة رقم (١)، وفي لوحة المصحف المطبوع رقم (٤).

(٤) قد اتفق علماء الرسم على رسم هذا الموضع بالتاء المفتوحة. انظر: **البديع**، للجهني ص ٨٤، ٨٥. **المقنع**، للداني ص ٧٧، ٧٨. **دليل الحيران**، للمارغني: ٣٠٧، ٣٠٨. **رسم المصحف**، صالح عطية ص ١٧٠.

(٥) **غيث النفع في القراءات السبع**، علي النوري الصفاقسي ص١٢٩، لم تذكر الطبعة - بيروت - لبنان : دار الفكر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م . **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة**، تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضي، ص ٢٥١ - ط١ - بيروت - لبنان : دار الكتاب ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . **المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر**، د. محمد سالم محيسن، ص ٢٥٩، ٢٦٠، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، المكتبة الأزهرية للتراث.

٢ - أن يختلف اللفظ والمعنى ولكنهما يجتمعان في شيء واحد.

٣ - اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

لكن من خلال دراسة الأمثلة التي طرحها ابن الجزري للأسس الثلاثة يتبين أن هناك معنى للآية مستنبط منها، هو نفسه في حال تنوع القراءة في تلك الأمثلة[١].

تبقى قضية واحدة موجودة في اللوحة، خاصة بالقطع والوصل، وذلك في كلمتي ﴿أَنَّ مَا﴾[٢]، حيث أن عامة المصاحف تكتبها موصولة في الموضع الأول. ومواضع قطعها إنما هو في موضعين في القرآن فقط هما : في الموضع الثاني من اللوحة، وفي الآية ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ في الحج، رقم (٦٢)، وفي غير هذين الموضعين تكتب موصولة[٣]، أما في لوحة الدراسة فقد رسمت في الموضع الأول بالفصل أيضاً، وعلى خلاف ذلك جرى العمل في كتب رسم المصحف، إلا أن الداني قد ساق بسنده ما يجعل في هذا الأمر سعة، حيث أورد خبراً على قطع هذا الموضع فقال «عن الكسائي[٤]، قال: كتب بالوصل حرف واحد ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾»[٥] في

---

(١) انظر لزيادة التوضيح: **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، ج ١ ص ٤٩ - ٥٠، لم تذكر الطبعة -- بيروت : دار الفكر العربي .

(٢) الموضع الأول: آخر السطر الرابع. والموضع الثاني: آخر السطر الحادي عشر.

(٣) **البديع**، للجهني ص ٦٥. **المقنع**، للداني ص ٧٣، ٧٤. **عنوان الدليل**، للمراكشي ص ١١٩، ١٢٠. **دليل الحيران**، للمارغني ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، أبو الحسن (... - ١٨٩هـ) إمام في اللغة والنحو والقراءة. ولد بالكوفة، وبها تعلم، وتوفي بالري. **السير**: للذهبي ج ٩ ص ١٣١. **الوفيات** لابن خلكان ج٣ ص ٢٩٥. **الأعلام** للزركلي ج ٤ ص ١٨٣. **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**،عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي،. ج ٢ ص ٢٤٩ -- ط٢ -- المدينة المنورة : مكتبة طيبة .

(٥) **المقنع**، ص ٧٤.

الأنفـال رقم (٤١)، فـعلى هذا يكون جـمـيع المواضع الأخـرى في القـرآن الكريم مفصولة، ومنها هذا الموضع الأول، فيكون فيه الخلاف بين القطع والوصل[١]، لأنه يفهم من النص أن ما عدا موضع الأنفال كتب بالفصل، مما يوافق المرسوم في لوحة الدراسـة، بل ذكر في كـتـاب: **موجـز كـتـاب الـتـقـريب**، النص على أن مـوضعي سورة لقـمـان مـقطوعين[٢]، وورد المارغني قطع الموضع الأول من لوحـة الدراسـة[٣]، مع ملاحظة أن المعنى لا يختلف بل هو واحد سواء في القطع أم الوصل[٤].

سادسا: نقط الإعجام:

١ - التعريف:

تعريف النقط: قال ابن منظور[٥]: «والعجم: النقط بالسواد[٦]، مثل: التاء عليه

---

(١) **المقنع** ص ٧٣، ٨٩. **شـرح تـلخيص الفـوائد** ص ٩١. **دليل الحـيـران** ص ٢٩١، ٢٩٢. **البـديع**، للجهني، ص ٦٥. **عنوان الدليل**، للمراكشي، ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) **موجز كتاب التقريب**، للخوارزمي، ص ٧٢.

(٣) **دليل الحيران** ص ٢٩٢.

(٤) وفـائدته تظهـر في الوقف الاختـبـاري - أحـد أنواع الوقف في المصحف، وإن لم يكن مـوضع وقف - حيث من رسم في مصحفه بالقطع فإنه يقف اختباراً على كلمة (أن) مفصولة عن كلمـة (ما)، وإذا رسمت كلمة واحدة، فلا يجوز الوقف بينهما على كل الوجوه، ويجب التنبه، إلى أنه حتى في وقف الاختبار، إذا كانت مفصولة ووقف على الكلمة الأولى، فإنه في حال مواصلة القرآءة يجب أن يعود إلى أقرب كلمة يتم بها المعنى ليصلها بما بعدها. انظر: **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، لأبي شامة الدمشقي ص ٢٧٣. **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، لعبد الفتاح القاضي ص ١٧٩. **هداية القاري**، لعبد الفتاح المرصفي ج ٢ ص ٤١٥.

(٥) محمد بن مكّرم بن علي، أبو الفضل (٦٣٠ - ٧١١هـ) الإمام اللغوي الحجة . ولد بمصر وبها توفي . ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد. **الأعلام** للزركلي ج ٧ ص١٠٨.

(٦) وإنما كـان نقط الإعـجـام بالسـواد ؛ لأنه من ذات الحـرف، وليس بشيء زائد عنه كنقط الإعراب، ولذلك جعل نقط الإعراب بلون أحمر حتى يعلم أنه زائد على الحرف.

نقطتان. يقال أعجمت الحرف، والتعجيم مثله»[١]. وفي مختار الصحاح: «النقط بالسواد، كالتاء عليها نقطتان» [٢] وقال الفيومي[٣]: «وأعجمت الحرف بالألف: أزلت عجمته بما يميزه عن غيره بنقط»[٤].

وفي الاصطلاح: هو النقط الدال على ذوات الحروف للتمييز بينها[٥].

٢ - تاريخ نقط الإعجام:

اختلفت آراء الباحثين - في أول وضع للإعجام - إلى رأيين:

١ - وضع متأخراً في الإسلام[٦]، ثم اختلف أصحاب هذا الرأي في أول من وضعه، فقيل: أبو الأسود الدؤلي[٧]، وهو وهم رده كثير من الباحثين، منشأه الخلط

---

(١) **لسان العرب** ؛ تحقيق عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي ج ٥ ص ٢٨٢٧ مادة: عجم، دار المعارف، مصر.

(٢) **مختار الصحاح**، لأبي بكر الرازي، ص ٣٦٦، مادة: عجم.

(٣) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (... - ٧٧٠هـ) لغوي . ولد في الفيوم . رحل إلى حماة، وبها توفي. **الأعلام** ج ١ ص ٢٢٤.

(٤) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي، ص ٤٣ مادة: عجم، لم تذكر الطبعة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. **صبح الأعشى**، للقلقشندي ج ٣ ص ١٥٤.

(٥) **رسم المصحف وضبطه**، د. شعبان إسماعيل ص٨٧. **سمير الطالبين**، الضباع، ص ٨٠. **قصة النقط والشكل**، د. الفرماوي ص١٨. **إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين**، د. محمد سالم محيسن، ص ٥، طبعة: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، المكتبة الأزهرية للتراث. **المفصل في تاريخ العرب**، د. جواد علي، ج ٨ ص ١٨٥. **الكتابات العربية على الآثار الإسلامية**، د. مايسة داود، ص ٣٩. **المحكم**، لأبي عمرو الداني، ص٤٣. **قديم وجديد في أصل الخط العربي**، يوسف ذنون، ص١١.

(٦) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، ج ٨ ص ١٨٥.

(٧) ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني: (١ ق هـ - ٦٩هـ) واضع علم النحو. سكن البصرة. ولي إمارتها لعلي - رضي الله عنه -، مات في البصرة. **السير**، للذهبي ج ٤ ص ٨١. **وفيات الأعيان** لابن خلكان، ج ٢ ص ٥٣٥. **الأعلام** للزركلي، ج ٣ ص ٢٣٦.

بين عمله (وضع نقط الإعراب: الفتحة والضمة والكسرة والتنوين)، وبين عمل نصر ابن عاصم[١] ويحيي بن يعمر[٢] (وضع نقط الإعجام: نقطة تحت الباء، ونقطة فوق النون وهكذا...)[٣]، والأصح أنه عمل: نصر بن عاصم أو يحيي بن يعمر أو كليهما[٤]، في زمن الحجاج[٥].

حتى جاء الخليل بن أحمد[٦] فوضعه على الصورة المقاربة لما هو عليه إلى اليوم، وذلك بالنسبة لنقط الإعجام وحركات الإعراب[٧].

---

(١) نصر بن عاصم الليثي (... - ٨٩هـ): من أوائل واضعي النحو. كان فقيهاً عالماً بالعربية، ونقط المصاحف، كان خارجياً فترك ذلك. مات بالبصرة. **الأعلام** للزركلي، ج ٨ ص ٢٤.

(٢) يحيى بن يعمر الوشقي العدواني أبو سليمان. أول من نقط المصاحف. ولد بالأهواز، وسكن البصرة كان عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب. أخذ من أبي الأسود. متشيع معتدل. **السير**: للذهبي ج ٣ ص ٤٤١، **الوفيات** لابن خلكان ج ٦ ص ١٧٣، **الأعلام** للزركلي ج ٨ ص ١٧٧.

(٣) انظر زيادة التوضيح: **كشف الظنون** ، حاجي خليفة، ج ١ ص ٧١٢، لم تذكر الطبعة، دار إحياء التراث العربي. المفصل، د. جواد علي، ج ٨ ص ١٨٧.

(٤) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان؛ تحقيق د. إحسان عباس، ج ٢ ص ٣٢، لم تذكر الطبعة، دار صادر. **كشف الظنون**، حاجي خليفة ج ١ ص٧١٢. **المفصل**، د. جواد علي، ج ٨ ص ١٨٧، ١٨٨ . **قديم وجديد في أصل الخط العربي**، ذنون ص ١١. **المحكم**، للداني ص ٦. **تاريخ القرآن**، د. الصغير، ص ١٣٣.

(٥) الحجاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد (٤٠ - ٩٥هـ) قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ بالطائف، وانتقل إلى الشام ثبت ملك بني أمية . مات بواسط. **السير**: للذهبي ج ٤ ص ٣٤٣. **الوفيات** لابن خلكان ج ٢ ص ٢٩. **الأعلام** للزركلي ج ٢ ص ١٦٨.

(٦) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، أبو عبد الرحمن (١٠٠ - ١٧٠هـ) من أئمة اللغة والأدب. واضع علم العروض. عاش فقيراً صابراً مغموراً لا يعرف. ولد ومات بالبصرة. **السير** للذهبي ج ٧ ص ٤٢٩. **الوفيات** لابن خلكان ج ٢ ص ٢٤٤. **الأعلام** للزركلي ج ٢ ص ٣١٤.

(٧) **المحكم في نقط المصاحف** ص ٧، ٣٥، ٣٦. **قصة النقط والشكل في المصحف الشريف** ص ٣٩. **صبح الأعشى**، للقلقشندي ج ٣ ص ١٥١ - ١٥٥.

٢ - وجد مع وضع الحروف[١]، والذي فعله هو: عامر بن جدرة[٢]، وقيل: أسلم بن خدرة[٣]، وقد علل الاختلاف هذا بأنه يعود إلى تشابه الأسماء، وسهولة الوقوع في الخلط بينها[٤].

والذي يرجحه كثير من الباحثين ويراه الباحث، أن الإعجام للحروف قديم وذلك لعدة أمور منها:

أ - استحالة أن تكون الحروف موجودة على صورة متشابهة ثم لا يفرق بينها، وإنما لم يحتاجوا إليها لقلة ما يلجؤون للكتابة[٥].

ب - وجود كتابات ونقوش قديمة اكتشفت بها بعض نقط الإعجام[٦].

وقد كان الصحابة في أول كتابات القرآن يجردون المصاحف من النقط وغيره[٧]، ويأمرون بذلك مما يدل على علمهم بها[٨]، وذلك لحفظهم للآيات ولمعرفتهم للغة العربية، وعلاقات الألفاظ بعضها مع بعض من جهة وبينها وبين المعاني من جهة أخرى، ثم توسعوا فأذنوا فيه على ما رواه قتادة[٩] قال: «بدؤوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم

---

(١) **كشف الظنون**، حاجي خلفية ج ١ ص ٧١٢.

(٢) **المفصل**، د. جواد علي ج ٨ ص ١٥٨. **كشف الظنون**، حاجي خليفة ج ١ ص ٧٠٨.

(٣) **المحكم**، للداني ص ٣٥.

(٤) **قصة النقط والشكل**، د. الفرماوي ص ٢٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٩، ٣٠.

(٦) **المفصل**، د. جواد علي ج ٨ ص ١٨٦، ١٨٧. **قديم وجديد في أصل الخط العربي**، ذنون ص١٢. **قصة النقط والشكل**، د. الفرماوي ص ٣٨ وما بعدها.

(٧) **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني، ص ١٠.

(٨) **المحكم**، للداني، ص ٨ وما بعدها. **كشف الظنون**، حاجي خليفة ج ١ ص ٧١٢. **قصة النقط والشكل**، د. الفرماوي ص ٤٩. **المفصل**، د. جواد علي ج ٨ ص ١٨٦، ١٨٧.

(٩) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب (٦١ - ١١٨هـ) مفسر حافظ ضرير أكمه. كان رأساً في العربية والحديث. مات بواسط في الطاعون. **السير**: للذهبي ج ٥ ص ٢٦٩. **الوفيات** لابن خلكان ج ٤ ص ٨٥. **الأعلام** للزركلي ج ٥ ص ١٨٩.

عشروا»[١]. ولعل السبب في منعهم ذلك، ثم إذنهم فيه، «وإنما أخلي الصدر منهم المصاحف من ذلك، ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات، والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها، والقراءة بما شاءت منها»[٢].

٣ - نقط الإعجام في لوحة الدراسة:

لوحة الدراسة، ليس فيها من نقط أبى الأسود - نقط الإعراب - أي شيء، وخلاصته أنه قال للذي اختاره لينقط: «خذ المصحف وصبغاً يخالف المداد. فإذا فتحت فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غنةً فانقط نقطتين»[٣]. ولمَّا لم يكن فيها من نقطه شيء دلَّ ذلك على قدمها، إذ أن انتشار الطريقة وتعلم الناس لها يحتاج إلى وقت حتى تنتشر ويعمل بها، وأيضاً فإن إرجاع لوحة الدراسة إلى أحد العدَّين المكي أو المدني، وبُعْده عن موطن أبي الأسود - البصرة [٤] - الذي وضع فيه النقط دليل أيضاً.

وأما نقط الإعجام: فهو موجود في بعض الحروف دون بعض، ولعل هذا ما ألمح إليه الإمام أبو عمرو الداني فيما روى بسنده إلى يحيى بن أبي كثير[٥] بقوله:

(١) **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني، ص ٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣. وكذا قال ابن الجزري في النشر، عن كتاب: **قصة النقط والشكل في المصحف الشريف** ص ٥٥، ٥٦. **رسم المصحف العثماني، وأوهام المستشرقين**، د. عبد الفتاح شلبي، ص ٢٣.

(٣) انظر **المحكم**، للداني ص ٤، ٦، ٧.

(٤) المصدر السابق ص ٦، ٧.

(٥) يحيي بن صالح الطائي ابن أبي كثير (... - ١٢٩هـ) عالم أخذ عن أعيان التابعين. سكن اليمامة. من ثقات أهل الحديث. **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، ج ٦ ص ٢٧. **تهذيب التهذيب**، لابن حجر ج ١١ ص ٢٦٨. **الأعلام** للزركلي ج ٨ ص ١٥٠.

«... فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له»[1].

و بالنظر إلى لوحة الدارسة، ورؤية بعض الحروف المنقوطة يتبادر إلى الذهن، أن النقط جاء متأخراً عن الكتابة، وذلك لأن خط الكلمة يكون واضحاً بينما النقط يكون قد بهت لونه، فيظهر مخالفاً للحروف المكتوبة، مما يعني أنه كتب بمداد مغاير، لنوع المداد الذي كتبت به اللوحة، حتى أنهما لم يتأثرا سوية بعامل الزمن، وإذا اختلف الزمن فالمتقدم هو الكتابة دون التنقيط، لأنه لا يمكن أن ينقط الشخص ثم يكتب بعد زمن انظر كلمتي ﴿الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ﴾ آخر السطر الثالث عشر في اللوحة -.

ثم يلاحظ أن الحرف قد ينقط في موضع دون موضع، انظر إلى حرف الباء في أول اللوحة، تجده منقوطاً، ثم انظر إليه في السطر السادس والعشرين، كلمة ﴿مِن رَّبِّ﴾ تجده غير منقوط، بالرغم من أنهما وقعا آخر الكلمة.

فنجد الباء، والياء، والتاء، والنون، والغين، والجيم، والزاي، والخاء، والفاء وجميعها قد ذكرت في لوحة الدراسة.

وعلى ذلك فالذي أرجحه أن النقط كتب متأخراً لما ذكرته سابقاً، بل إن علامة التعشير أيضاً أرجح أنها أضيفت بعد الكتابة، وذلك لأنه ليس لها مكان في الخط، بل حشرت حشراً وسط اللوحة، وعلى ذلك فالذي أراه أنها متأخرة الوضع أيضاً، والله أعلم.

والذي أخلص منه في موضوع النقط في لوحة الدراسة، أنها كتبت في غير وقت كتابة النص لما ذكرته، سابقاً، ولأن التنقيط غير منتظم في جميع الحروف، وفي جميع الحالات، مما يجعل الباحث يظن أنها وضعت بشكل عشوائي غير منتظم وفي زمن متأخر، والله أعلم.

---

(١) المحكم في نقط المصاحف ص ٣٥.

سابعاً: اسم السورة وعدد الآيات:

ليس في اللوحة أي ذكر، لاسم السورة، أو رقم الآيات، ولا يوجد فاصل بين السورتين غير سطر فارغ ثم السورة الجديدة وتبدأ بالبسملة التي ليست في سطر لوحدها، وعدم ذكر اسم السورة أو عدد الآيات من القرائن على قدم اللوحة المدروسة، لأنهم كانوا يكرهون أن يزاد في المصحف ما ليس منه، ثم جرى العمل بالترخيص في ذلك [1]، وإنما كان الأمر كذلك في أول الأمر، حتى إذا كتب المصحف كثيراً، وأمن فيه من الظن بالزيادة أو النقصان رخِّص في ذلك.

١ - عدد الآيات والاختلاف فيه[2]:

فكما أسلفنا ليس في اللوحة أي ذكر، لاسم السورة، أو رقم الآيات، ولا يوجد فاصل بين السورتين إلا البسملة والتي ليست في سطر لوحدها.

أما بالنسبة لفواصل الآيات، ففي الآيات المكتوبة من سورة «لقمان»، موافقة للمصحف المطبوع، أو موافقة للعدِّ الكوفي على الأصح، إلا أن المخالفة للعدِّ الكوفي يبدأ في بداية سورة "السجدة"، فبينما نجد أن المصاحف المطبوعة المعتمدة على العد الكوفي، تعد بداية السورة آية وهي كلمة: ﴿الٓمٓ﴾ فتجعل لها رقما بينما لوحة الدراسة لا تعدها آية، بل تدمجها بما بعدها لتكون آية واحدة.

---

(١) انظر : **المحكم**، لأبي عمرو الداني ص ١٦، ١٧.

(٢) يجب التنبيه أن معنى اختلافهم في عدد الآيات ليس في إسقاط آية أو زيادة آية، إنما هو في تحديد موقع نهاية الآية، فالبعض قد يقسم الآية نصفين فيعدها آيتين بينما غيره يحسبها آية واحدة، وكل يعد على حسب ما أخذ وتلقى عن شيخه إلى النبي ﷺ، فكل واحد يعد على حسب الوقف. وكمثال عملي، نلاحظ كلمة ﴿آلم ١﴾ أول سورة السجدة فبعضهم عدها آية مستقلة، والبعض أدخلها في الآية بعدها هكذا **﴿آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ١﴾** فعدها كلها آية واحدة، والبعض الآخر جعلها آيتين، وكل ذلك رواية وليس اختياراً.

وعلى ذلك فإن العد في اللوحة غير كوفي، للخلاف في عدم عد﴿الٓمٓ﴾ آية، والتي يعدها الكوفيون، ولكن هل نستطيع تحديد موطن العدد الذي تعتمد عليه اللوحة ؟ إن وجود لوحة واحدة يجعل تحديد موطن العد من الصعوبة الكبيرة، ولكن هناك قرائن على أن العد، علاوة على أنه ليس كوفيّاً، فهو أيضاً ليس بصرياً ولا شامياً، والدليل على ذلك:

أن البصريين والشاميين يعدون قوله تعالى من سورة لقمان[1] : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ آية، بينما اللوحة المدروسة، لا تعدها كذلك بل تجعل آخر الآية قوله تعالى: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ، وعلى ذلك فلم يبق إلا أن تكون اللوحة تتبع العدد المكي أو المدني، ولم أستطع إرجاع اللوحة لأي منهما، لعدم وجود أي قرينة تساعد في ذلك.

وخلاصة القول إن عدد الآيات في سورة لقمان: ٣٤ آية في العد الكوفي والبصري والشامي ، و٣٣ آية في العد المدني والمكي[2]. فقد اختلفوا في موضعين وهما:

---

(١) الآية رقم: ٣٢.

(٢) **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي ؛ تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي ج ١ ص ٤٥٢، ٤٥٣ ٠- ط١ ٠- بيروت - لبنان : دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . **غيث النفع في القراءات السبع** للصفاقسي ص ١٢٩ . **التفسير الكبير**، للفخر الرازي ج ٢٥ ص١٣٩ - ١٦٦ ٠- ط٣ ٠- دار إحياء التراث العربي. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للعلامة الألوسي البغدادي ؛ تحقيق إدارة الطباعة المنيرية ج ٢١ ص ٦٤ - ١١٥ ٠- بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي . **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ص ١٣٠، ١٣١، طبعة: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مكتبة ابن سينا. **حاشية كتاب المبسوط في القراءات العشر**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران؛ تحقيق سبيع حمزة حاكمي، ص ٢٩٦ ٠- ط٢ ٠- دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

أ - ﴿الٓمٓ﴾ عدها الكوفي فقط[١]. وهذا الموضع غير داخل في لوحة الدراسة.

ب - ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عدها البصري والشامي فقط[٢].

وأما سورة السجدة فعدد آياتها ٢٩ آية عند البصري، و٣٠ آية عند الباقين[٣]، فالخلاف فيها في موضعين هما:

أ - ﴿الٓمٓ﴾ عدها الكوفي[٤].

ب - ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عدها الجميع عدا الكوفي والبصري[٥]. وليست داخلة في لوحة الدراسة.

٢ - تحليل واستنتاج موطن اللوحة من عدد الآيات:

أما بالنسبة لفواصل الآيات، فإنّ الآيات المكتوبة من سورة "لقمان"، موافقة

(١) **فنون الأفنان**، ابن الجوزي، ص ١٣٠. **حاشية المبسوط**، ابن مهران: ٢٩٦. **جمال القراء**، للسخاوي، ج ٢ ص ٤٥٢. **إتحاف فضلاء البشر**، البناء، ص ٣٤٩.

(٢) **فنون الأفنان**، ابن الجوزي، ص ١٣١. **حاشية المبسوط**، ابن مهران: ٢٩٦. **جمال القراء**، للسخاوي، ج ٢ ص ٤٥٢. **إتحاف فضلاء البشر**، البناء، ص ٣٤٩.

(٣) **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي : تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي ج ١ ص ٤٥٢، ٤٥٣، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ٠- بيروت - لبنان : دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع . **غيث النفع في القراءات السبع** للصفاقسي ص ١٢٩. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ذكر الخلاف في السجدة فقط ج ٧ ص ٨٤؛ تحقيق إبراهيم أطفيش وأحمد البردوني، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية. **التفسير الكبير**، للفخر الرازي ج ٢٥ ص١٣٩-١٦٦٠- ط٣ ٠- دار إحياء التراث العربي. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للعلامة الألوسي البغدادي؛ تحقيق إدارة الطباعة المنيرية ج ٢١ ص ٦٤ - ١١٥٠- بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي .

(٤) **فنون الأفنان**، ابن الجوزي، ص ١٣١. **حاشية المبسوط**، ابن مهران: ٢٩٨. **جمال القراء**، للسخاوي، ج ٢ ص ٤٥٣. **إتحاف فضلاء البشر**، البناء، ص ٣٥١.

(٥) **فنون الأفنان**، ابن الجوزي، ص ١٣١. **حاشية المبسوط**، ابن مهران: ٢٩٨. **جمال القراء**، للسخاوي، ج ٢ ص ٤٥٣. **إتحاف فضلاء البشر**، البناء، ص ٣٥١.

للمصحف المطبوع، أو موافقة للعد الكوفي على الأصح، إلا أن المخالفة للعد الكوفي تبدأ في بداية سورة "السجدة"، فبينما نجد أن المصاحف المطبوعة المعتمدة على العد الكوفي، تعد بداية السورة آية وهي كلمة: ﴿الٓمٓ﴾ فتجعل لها رقما بينما لوحة الدراسة لا تعدها آية، بل تدمجها بما بعدها لتكون آية واحدة.

وعلى ذلك فإن العد في اللوحة غير كوفي، للخلاف في عدم عد ﴿الٓمٓ﴾ آية، والتي يعدها الكوفيون، ولكن هل نستطيع تحديد موطن العدِّ الذي تعتمد عليه اللوحة؟ إن وجود لوحة واحدة تجعل تحديد موطن العدِّ من الصعوبة الكبيرة، ولكن هناك أدلة على أن العدَّ، علاوة على أنه ليس كوفياً، فهو أيضاً ليس بصرياً ولا شامياً، والدليل على ذلك: أن البصريين والشاميين يعدون قوله تعالى من سورة لقمان(١) : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ آية، بينما اللوحة المدروسة، لا تعدها كذلك، بل تجعل آخر الآية قوله تعالى: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ، وعلى ذلك فلم يبق إلا أن تكون اللوحة تتبع العدَّ المكي أو المدني، ولم أستطع إرجاع اللوحة لأي منهما، لعدم وجود أي قرينة تساعد في ذلك.

والذي يؤيد كون لوحة الدراسة مكتوبة على ما يوافق أحد المصاحف المكية أو المدنية - كما أوضحنا ذلك في عدد الآيات - أنها لم تنقط نقط أبي الأسود لبعدها عن موطنه الذي أوجد فيه هذه النقط، ولأنها كتبت في وقت مقارب لوضع النقط.

ثامناً: نتيجة البحث:

برهنًا من خلال الرجوع إلى كتب أجنبية، وكتب عربية لمؤلفين أجانب وعرب، برهنًا من خلال ذلك كله على أن النص المخطوط والمدروس هو من القرن الأول الهجري.

ورأينا من البراهين الواضحة ما يكفي للقطع والجزم في أن هذا النص القرآني من القرن الأول الهجري، هو نفسه المكتوب في القرن الرابع عشر الهجري، أي بعد ما يقارب أربعة عشر قرناً.

---

(١) الآية رقم: ٣٢.

رأينا ذلك من خلال دراسة الرسم والإعجام ودراسة لفظ هذه الآيات دراسة مقارنة بين مخطوط قديم من القرن الأول ومخطوط للقرآن في القرن الرابع عشر الهجري بخط: عثمان طه[1] الدمشقي المعاصر.

ترى من أعلم الناس في أن هذا القرآن سيبقى محفوظاً على مدى أربعة عشر قرنا، رغم حقد الحاقدين، ومحاولة تزوير الحقائق من اللاعبين، والرافعين أصواتهم ضجيجاً في محاولة النيل من قدسية حفظه، إنه الله الذي أخبر فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

وإخبار الله في ذلك ؛ لأنه هو الرحيم الحكيم، فهو يريد للبشرية أن لا تضيع، فأنزل منهج حياة محفوظ وسط كتب دينية أخرى حرفت وبدلت، وضاعت مصداقيتها وسط ركام الخرافات والأكاذيب والضلالات.

إن هذه الدراسة تثبت وبشكل قطعي إعجاز القرآن الكريم في إخباره بحفظه، إنه إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن المغيبات على مدى القرون والأيام؛ لأنه كلام الله الذي يعلم ما يغيب عنا، وما نشاهده، قال سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[3] فهو يعلم الحاضر الذي نعيشه والغيب في الماضي أو المستقبل وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أحد الذين كتبوا المصحف الشريف في العصور المتأخرة، والمقصود بهذا الكلام ليس جمال الخط واتباعه لقواعد خط النسخ – الذي كتب به المصحف –، ولكن في الرسم قديماً وحديثاً.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٣. سورة الرعد، الآية: ٩. سورة السجدة، الآية: ٦. سورة الحشر، الآية: ٢٢. سورة التغابن، الآية: ١٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦.

تاسعا المراجع:

١ - **القرآن الكريم** .- ط١ .- دمشق : طبع بإشراف دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢ - إسماعيل ، د. شعبان محمد . **رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة** .- ط١ .- دار السلام ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٣ - الألوسي ، العلامة الألوسي البغدادي . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ؛ تحقيق إدارة الطباعة المنيرية .- بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي .

٤ - البلاذري ، أبو الحسن . **فتوح البلدان** ، طبعة ١٩٨٨م، دار ومكتبة الهلال.

٥ - الجبوري ، سهيلة ياسين . أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، ساعدت في نشره جامعة بغداد ١٩٧٧م.

٦ - ابن الجزري ، الإمام محمد بن محمد . **طيبة النشر في القراءات العشر** .- ط١ .- المدينة المنورة مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٧ - ابن الجزري ، الإمام محمد بن محمد . **النشر في القراءات العشر** ، لم تذكر الطبعة .- بيروت : دار الفكر العربي .

٨ - الجهني ، أبو عبد الله محمد بن يوسف . **البديع في رسم مصاحف عثمان** ؛ تحقيق د. سعود بن عبد الله الفنيسان .- ط١ .- دار أشبيليا ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٩ - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن** .- مكتبة ابن سينا ، طبعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٠- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله . **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ؛ تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا، لم تذكر الطبعة، دار إحياء التراث العربي.

١١ - ابن حجر ، أبو الفضل . **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ٠- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، طبعة جديدة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٢- حمدون ، د غسان . دراسة لوحة مخطوطة من القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري ، بحث في **مجلة كلية الآداب** - جامعة صنعاء، العدد٢٢ .

١٣- الخراز ، العلامة الخراز . **مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن** ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، لم تذكر تاريخ الطبعة.

١٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن . **مقدمة ابن خلدون** ٠- بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي ، لم تذكر الطبعة.

١٥- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**٠- بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٦- الخوارزمي ، يوسف بن محمود . **موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني** ؛ تحقيق عبد الرحمن آلوجي ٠- ط١ ٠- دار المعرفة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

١٧- الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد . **المحكم في نقط المصاحف** ؛ تحقيق د. عزة حسن ٠- ط١ ٠- دمشق : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٨- ــــــــــ ٠ . **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** ؛ تحقيق محمد أحمد دهمان ٠- بيروت - لبنان : دار الفكر ، تصوير ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م عن الطبعة الأولى ، ١٩٤٠م.

١٩- داود ، د. مايسة محمود . **الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري (٧ - ١٨م)** ٠- ط١ ٠- مكتبة النهضة المصرية ، يناير ١٩٩١م .

٢٠- ذنون ، يوسف . قديم وجديد في أصل الخط العربي، وتطوره في عصوره المختلفة، بحث في مجلة **المورد**، المجلد الخامس عشر. العدد الرابع، تصدرها، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية شتاء ١٩٨٦م.

٢١ - الذهبي ، الإمام شمس الدين . **سير أعلام النبلاء** ٠- ط٨ ٠- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢٢- الرازي ، الفخر الرازي . **التفسير الكبير** ٠- ط٣ ٠- دار إحياء التراث العربي .

٢٣- الرازي ، محمد بن أبي بكر الرازي . **مختار الصحاح** ٠- **مكتبة لبنان** ، طبعة ١٩٨٩م .

٢٤- رضا ، أحمد . **رسالة الخط العربي** ؛ تحقيق د. نزار أحمد رضا ٠- ط١ ٠- بيروت - لبنان : دار الرائد العربي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٥- الرومي ، د. فهد بن عبد الرحمن. **خصائص القران الكريم** ٠- ط٤ ، ١٤٠٩هـ.

٢٦- الزركلي ، خير الدين . **الأعلام** ، قاموس تراجم ٠- ط٥ ٠- بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م.

٢٧- السجستاني ، أبو بكر . **كتاب المصاحف** ٠- ط٥ ٠- بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٨- السخاوي ، علم الدين . **جمال القراء وكمال الإقراء** ؛ تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي ٠- ط١ ٠- بيروت - لبنان : دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٢٩- السيوطي ، الإمام جلال الدين . **الإتقان في علوم القرآن** ، طبعة دار الفكر بدون تاريخ.

٣٠- أبو شامة ، الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي . **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي** ؛ تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م (كتب خطأً ١٨٩١م).

٣١ - شلبي ، د. عبد الفتاح إسماعيل . **رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها** ·- ط٢ ·- جدة : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٢- الشوكاني ، العلامة محمد بن علي . **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ·- بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

٣٣- الصغير ، د. محمد حسين على . **تاريخ القرآن** ·- ط١ ·- بيروت - لبنان : الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٤- الصفاقسي ، علي النوري . **غيث النفع في القراءات السبع** ·- بيروت - لبنان : دار الفكر ، لم تذكر الطبعة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٣٥- الضباع ، الشيخ علي محمد . **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين** ·- ط١ ·- المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٣٦- طنطاوي ، محمود أمين . **المؤنس في ضبط كلام الله المعجز** ·- المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١١هـ .

٣٧- عطية ، صالح محمد صالح . **رسم المصحف إحصاء ودراسة** ·- ط١ ، ١٤٢٦ميلادية ؟ - هكذا في الكتاب - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

٣٨- علي ، د. جواد . **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ٠- ط٢ ٠- ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٣٩- ابن العماد ، الحنبلي . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار إحياء التراث العربي.

٤٠- الفرماوي ، د. عبد الحي . **قصة النقط والشكل في المصحف الشريف** ، لم تذكر الطبعة ٠- القاهرة : دار النهضة العربية القاهرة.

٤١ - الفيومي ، العلامة أحمد بن محمد . **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ، لم تذكر الطبعة ٠- مصر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

٤٢- قاري ، ملا علي . **المنح الفكرية على متن الجزرية** ٠- ط١ ٠- المطبعة الأزهرية المصرية ، ١٣١٨هـ.

٤٣- ابن القاصح ، أبو البقاء علي . **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد ، على عقيلة أتراب القصائد للإمام الشاطبي** ؛ مراجعة وتعليق الشيخ عبد الفتاح القاضي ٠- ط١ ٠- مصر : مصطفي البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٤٤- القاضي ، الشيخ عبد الفتاح . **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة** ٠- ط١ ٠- بيروت، لبنان : دار الكتاب العربي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٤٥- ٠________ . **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع** ٠- ط٢ ٠- المدينة المنورة : مكتبة الدار ،١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٤٦- القرطبي ، أبو عبد الله محمد الأنصاري . **الجامع لأحكام القرآن** ، ذكر الخلاف في السجدة فقط ؛ تحقيق إبراهيم أطفيش وأحمد البردوني ·- ط٢ ·- دار الكتب المصرية ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

٤٧- القلقشندي ، أحمد بن علي . **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ؛ تحقيق: محمد حسين شمس الدين ·- ط١ ·- بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٤٨- المارغني ، الشيخ إبراهيم بن أحمد التونسي . **شرح دليل الحيران مورد الظمآن في رسم وضبط القران**، للعلامة الخراز لم تذكر تاريخ الطبعة،الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٩- محيسن ، د. محمد سالم . **إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين** ، طبعةالمكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٥٠- ·ـــــــــ . **المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر** ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٥١ - المراكشي ، أبو العباس أحمد بن البناء . **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**؛ تحقيق هند شلبي ·- ط١ ·- دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م .

٥٢- المرصفي ، عبد الفتاح السيد عجمي . **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**·- ط٢ ·- المدينة المنورة : مكتبة طيبة .

٥٣- **مصاحف صنعاء**، طبعة متحف الكويت الوطني، جمادى الآخرة - شعبان ١٤٠٥.

٥٤- ابن منظور ، محمد بن مكرم . **لسان العرب** ؛ تحقيق عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، مادة: شكل ·- مصر : دار المعارف .

٥٥- ابن مهران ، أبو بكر أحمد بن الحسين . **حاشية كتاب المبسوط في القراءات العشر** ؛ تحقيق سبيع حمزة حاكمي ·- ط٢ ·- دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ·

٥٦- النديم ، أبو الفرج بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق . **كتاب الفهرست للنديم** ، دار المسيرة طبعة ١٩٨٨م.

٥٧- وجدي ، محمد فريد . **دائرة معارف القرن العشرين** ·- ط٣ ·- بيروت - لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر ·

٥٨- ولفنسون ، أ. ولفنسون . **تاريخ اللغات السامية** ، لم تذكر الطبعة، دار القلم.

٥٩- *DEROCHE: THE ABBASID TRADITION Qur'ans of the 8th to the 10th centuries AD , FRANCOIS DEROCHE , The Nour Foundation, 1992 MD.*

المصفَّى بأكفِّ أهل الرُّسوخ

مِنْ علم الناسخِ والمنسوخِ

تأليف :

جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي

تحـقـيق وتـعـليـق: الدكـتـور: وليد محمد السـراقـبي*

* إجازة في اللغة العربية من جامعة حمص.
- الماجستير في اللغة العربية من جامعة دمشق.
- دكتوراه في اللغة العربية تخصص نحو وصرف - جامعة دمشق.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً في كلية اللغة العربية - قسم النحو والصرف في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مدخل إلى علم الناسخ والمنسوخ

معنى النسخ في اللغة والاصطلاح :

أ - اللغة :

حدد ابن فارس المعنى اللغوي لكلمة النسخ فقال: «النون والسين والخاء: أصل واحد إلا أنه مختلف في قياسه. قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيء . قالوا : النسخ: نسخ كتاب ، والنسخ أمر كان يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخ، وانتسخت الشمسُ الظل والشيبُ الشبابَ . وقال السِّجستانيّ: أن تحول ما في الخلية من العسل والنحل في أخرى»[1] .

فالنسخ في اللغة - كما يبين نص ابن فارس السابق - له دلالات متعددة ، وهي:

(١) مقاييس اللغة (نسخ) : ٢ : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

١ - الإزالة : كما في قولهم : انتسخت الشمسُ الظل ، أي أزالته ، ونسخ الشيبُ الشبابَ ، أي أزاله .

٢ - التبديل : وذلك بإزالة الشيء وإحلال شيء آخر مكانه .

٣ - النقل والتحويل : كأن تحول ما في الخلية من النحل والعَسل وتنقله لتضعه في خليةٍ أخرى .

وقد اختلف في تحديد المعنى الحقيقي لهذه الكلمة ؛ ذلك أنهم جعلوها تدل على المعنى الأول والثاني ، فأصبحت من المشترك اللفظيِّ الذي يصعب على المرء القطع بدلالته الحقيقية في اللغة .

٢ - في الاصطلاح :

كان للعلماء في تحديد الدلالة الاصطلاحية لمصطلح «النسخ» خلاف كبير أيضاً ، فقال عنه أبو بكر الجصّاص (ت ٣٧٦هـ) : «بيان مدَّة الحكم والتلاوة» [(١)] وحدّه ابن حزم بقوله : «وأما حده فمنهم من قال : إنه بيان مدّة العبادة وقيل : انقضاء العبادة التي ظاهرها الدوام ، وقال بعضهم : إنه رفع حكم بعد ثبوته» [(٢)] .

وعرّفه أبو الحسين البصري المعتزلي (ت ٤٣٦هـ) بقوله : «إزالة مثل الحكم الثابت بقول منقول عن الله أو رسوله - ﷺ - أو فعل منقول عن رسوله ، وتكون الإزالة بقول منقول عن الله أو رسوله ، أو بفعل منقول عن رسوله مع تراخيه على وجه لولاه لكان ثابتاً» [(٣)] .

وقال عنه الآمدي (ت ٦٣١هـ) : «النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من

---

(١) أحكام القرآن ١ : ٥٩ .

(٢) معرفة الناسخ والمنسوخ : ٣١١ .

(٣) المعتمد في أصول الفقه ١ : ٣٧٩ .

استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق»[١] ، أما ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) فعرفه بقوله : «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر»[٢] ، ولعل هذا التعريف الأخير يكون أدق تعريف اصطلاحي .

أهمية علم الناسخ والمنسوخ :

إن العلم بالناسخ والمنسوخ ومعرفتهما أمر عظيم الشأن[٣]، حتى إنهم اشترطوا على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، ذلك أن معرفتنا بذلك «تيسِّر علينا تعيين السابق والمسبوق من النوازل القرآنية ، وتظهرنا على جانب من حكمة الله في تربية الخلق ، وتقفنا على مصدر القرآن الحقيقي، وهو الله رب العالمين ؛ لأنه يمحو ما يشاء ويثبت ، ويرفع حكماً ويبدل آخر ، من غير أن يكون لأحد من خلقه عمل في ذلك ولا شأن ، حتى ولا خاتم النبيين نفسه» [٤] .

والنسخ من الأمور التي خصّ بها الله هذه الأمة، لحكمة في التيسير عليها[٥]، وسياستها وتعهدها بما يكون فيه رقيها ونموها وتمحصها[٦] وهو لا يكون إلا في الأحكام ، وهذا موضع اتفاق المجيزين له والقائلين به ، لكن في خصوص ما كان من فروع العبادات والمعاملات فحسب ، «أما غير هذه الفروع من العقائد وأمّات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ومدلولات الأخبار المحضة فلا نسخ فيها على الرأي السديد الذي عليه جمهور العلماء»[٧] .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٣ : ١٥٥ .

(٢) مختصر المنتهى مع شرحه للعضد ٢ : ١٨٥ .

(٣) البرهان ٢ : ٢٨ .

(٤) مباحث في علوم القرآن : ٢٥٩ .

(٥) البرهان ٢ : ٣٠ .

(٦) مناهل العرفان ٢ : ٢٩٥ .

(٧) المصدر السابق ٢ : ٢٩٥ .

مواقف العلماء من النسخ :

وللعلماء تجاه النسخ مواقف ثلاثة ، فبعضهم ردّه وحاول التخلّص منه بسلوك مسلك التأويل والتقدير للآيات التي يُفهم منها النسخ ، ومن هؤلاء أبومسلم الأصبهاني[1] (ت ٣٢١هـ) ومن لفّ لفّه . وقبله بعضهم الآخر في حدوده المعقولة ، فلم ينكروه بالكليّة ، ولم يتوسعوا فيه ، وحملوه على الضرورة التي يقتضيها وجود التعارض الحقيقي بين الأدلة ، مع معرفة ما تقدم منها وما تأخر[2] . وتزيَّد فيه بعضهم وألفوا فيه كتباً أتوا على ذكر الكثير منه[3] ، ومنهم أبو جعفر النحاس ، وهبة الله ابن سلام ، وابن حزم .

أنواع النسخ :

للنسخ نوعان رئيسان ، هما : النسخ مع وضع بديل عن المنسوخ ، والنسخ من غير بديل ، وهذان النوعان «جائزان عَقْلاً ، وواقعان سمعاً على رأي الجمهور»[4].

وللنسخ تقسيمات أخرى هي :

١ - نسخ الحكم والتلاوة معاً[5].

٢ - نسخ الحكم فقط[6] .

٣ - نسخ التلاوة فقط[7] .

وقد أنكر الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - كلاً من النوعين الأول

---

(١) مناهل العرفان ٢ : ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٥٣ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ٢٥٤ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ٢٢٠ .

(٥) البرهان ٢ : ٢٠ ، والإتقان : ٧٠٥ .

(٦) المصدر السابق ٢ : ٢٧ ، والإتقان : ٧٠٦ ، مناهل العرفان ٢: ٢١٤ - ٢١٥.

(٧) المصدر السابق ٢ : ٣٥ ، والإتقان : ٧٠٧ .

والثاني، واستدل على رأيه بقلة شواهد هذين النوعين، وهي شواهد تنحصر في دائرة أخبار الآحاد التي لا يمكن القطع بإنزال قرآن ونسخه «بأخبار آحاد لا حجة فيها»(١).

والشاهد المتداول في كتب الناسخ والمنسوخ على ما نُسخت تلاوته وحكمه ما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : «كان فيما أُنزل من القرآن : ﴿عَشْر رَضَعَاتٍ معلومات يحرمن﴾ ، ثم نسخن بخمس معلومات ، وتوفي الرسول ﷺ ، وهي فيما يقرأ من القرآن»(٢) .

أما الشاهد المتداول على ما نسخت تلاوته دون حكمه ما قيل من أنه كان في سورة النور : ﴿الشَّيخ والشَّيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتَّة نكالاً من الله﴾ . ومما يدل على الاضطراب في هذه الرواية أن في صحيح ابن حِبّان ما يفيد أن هذه الآية كانت في سورة الأحزاب لا في سورة النور(٣) .

ولذلك رأى صبحي الصالح - رحمه الله - وهو مصيب في رأيه كما يبدو لي أن المنهج الذي يعرف به الناسخ والمنسوخ إنّما يرجع إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ ، أو صحابي يقول : آية كذا نَسخَت كذا .. ولا يعتمد في النسخ قول عوامٍّ المفسِّرين ، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بيّنة ; لأن النسخ يتضمَّن رفع الحكم وإثبات حكم تقرر في عهده - ﷺ - والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد»(٤) .

---

(١) انظر : **مباحث في علوم القرآن** : ٢٧٤ .

(٢) **الإتقان** : ٧٠٥ .

(٣) انظر : **تفسير ابن كثير** ٣ : ٢٦١ . والحديث في **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب التحريم بخمس رضعات ، الحديث رقم ١٤٥٢ .

(٤) **مباحث في علوم القرآن** : ٢٧٣ ، وينظر أيضاً : **الإحكام في أصول الأحكام** ٤ : ٥٩٠ - ٥٩١ ، **والموافقات** ٣ : ١٠٥ - ١٠٥.

وقُسّم النسخ قسمة أخرى وفقاً للناسخ إلى :

١ - نسخ القرآن بالقرآن ، وهذا مُجْمع على جواز وقوعه[١] .

٢ - نسخ القرآن بالسنة ، والعلماء وقفوا بين مجيز له ومانع[٢] . فقد نقل عن ابن عطيَّة أن «حذاق الأمَّةِ على الجواز ، وذلك موجود في قوله - ﷺ - : «لا وصية لوارث» وأبى الشافعي ذلك[٣] .

٣ - نسخ السنَّة بالقرآن ، وهو موضع خلافٍ أيضاً ، ويؤيِّد المثبتين دليل الجواز كما يسعفهم برهان الوقوع[٤] ، وعليه جمهور الفقهاء والمتكلمين ، ورفضه الشافعي وبعض أصحابه[٥].

التصنيفُ في الناسخ والمنسوخ :

صنَّف في هذا العلم عدد كبير من العلماء ، حتى إنّ السيوطي أعلن العجز عن إحصائهم فقال : «أفرده بالتصنيف خلائق لا يُحْصَوْن»[٦] . ولعل من تمام الإفادة ذكرهم منسوقين وفق تواريخ وفياتهم ، وهم[٧] :

١ - قَتَادة بن دعامة السّدوسي (ت ١١٨هـ) .

٢ - محمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) .

٣ - إسماعيل بن عبدالرّحمن، أبو محمد الكوفي ويعرف بالسُّدَي الكبير (ت ١٢٧هـ).

---

(١) **مناهل العرفان** ٢ : ٢٣٦ .

(٢) **البرهان** ٢ : ٣٧ ، **والإتقان** : ٧٠٠ ، **ومناهل العرفان** ٢ : ٢٣٧ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ٣٢ ، **والإتقان** : ٧٠٠ .

(٥) **مناهل العرفان** ٢ : ٢٤٤ .

(٦) **الإتقان** : ٧٠٠ .

(٧) اعتمدت في كثير من الأسماء في هذا الثبت على الإطار التاريخي الذي صنعه الدكتور عبدالكبير المدغري في ختام دراسته لكتاب «الناسخ والمنسوخ» للقاضي ابن العربي ، ص٢٠٨ وما بعدها فجزاه الله خيراً .

٤ - عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان الخراساني (ت ١٣٥هـ) .

٥ - محمد بن السائب الكلبي ، أبو النضر (ت ١٤٦هـ) .

٦ - مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠هـ) .

٧ - أبو علي المروزي (ت ١٥٧هـ) .

٨ - عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي (ت ١٨٢هـ) .

٩ - عبدالله بن عبدالرحمن البصري (ت ق ٢هـ) .

١٠- إسماعيل بن زياد أو ابن أبي زياد السّكوني (ت ق ٢ هـ) .

١١- حجاج بن محمد المصِّيصي ، أبو محمد الأعور (ت ٢٠٦هـ) .

١٢- أبو النصر البصري ، عبدالوهاب بن عطاء الخفاف (ت ٢٥٦هـ) .

١٣- أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٢هـ ، ٢٢٤هـ) .

١٤- الحسين بن علي بن نضال التميمي (ت ٢٢٤هـ) .

١٥- جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي (ت ٢٣٤هـ) .

١٦- سريح بن يونس بن إبراهيم البغدادي (ت ٢٣٥هـ) .

١٧- عبدالملك بن حبيب بن سليمان الثقفي (ت ٢٣٨ ، ٢٣٩هـ) .

١٨- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) .

١٩- أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) .

٢٠- أبو إسماعيل الترمذي (ت ٢٨٠هـ) .

٢١- أبو إسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ) .

٢٢- أبو الحسين علي بن إبراهيم الهاشمي الشيعي (ت ٢٨٥هـ) .

٢٣- أبو مسلم الكجيّ (ت ٢٩٢هـ) .

٢٤- سعد بن إبراهيم الأشعري القميٍّ (٣٠١هـ) .

٢٥- أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ) .

٢٦- ابن خزيمة (٣١١هـ) .

٢٧- عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) .

٢٨- أبو عبدالله الزبيري (ت ٣١٧هـ) .

٢٩- محمد بن حزم (ت ٣٢٠هـ) .

٣٠- أبو بكر الشيباني (ت ٣٢٨هـ) .

٣١- أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) .

٣٢- منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٣٥هـ) .

٣٣- أحمد بن جعفر بن محمد البغدادي (ت ٣٣٦هـ) .

٣٤- أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) .

٣٥- الحسين بن علي البصري (ت ٣٣٩هـ) .

٣٦- قاسم بن أصبغ بن محمد ، أبو محمد البياني (ت ٣٤٠هـ) .

٣٧- أبو بكر البردعي (ت ٣٥٠هـ) .

٣٨- أحمد بن محمد بن الحسين الشيعي (ت ٣٥٠هـ) .

٣٩- أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) .

٤٠- أبو الحسين محمد بن محمد النيسابوري (ت ٣٦٨هـ) .

٤١- أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) .

٤٢- أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١هـ) .

٤٣- عبدالرحمن بن محمد بن فطيس (ت ٤٠٢هـ) .

٤٤- هبة الله بن سلامة (٤١٠هـ) .

٤٥- عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) .

٤٦- مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) .

٤٧- أبو محمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) .

٤٨- أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) .

٤٩- محمد بن بركات السعيدي (ت ٥٢٠هـ) .

٥٠- أحمد بن خلف بن عيشون (ت ٥٣١هـ) .

٥١- أبو بكر بن العربي المعافري (ت ٥٤٣هـ) .

٥٢- عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) .

٥٣- ابن البارزي (ت ٧٣٨هـ) .

٥٤- علي بن شهاب الدين الهمذاني (ت ٧٨٦هـ) .

٥٥- محمد بن عبدالله الإسفراييني (؟) .

المؤلف مولده ونشأته :

هو جمال الدين أبو الفرج ، عبدالرحمن بن الجوزي[(١)] القرشي التيمي . علم من أعلام القرن السادس الهجري الذين كان لهم باعٌ طويل ومعرفة معمقة في الفقه والتفسير . ويرجَّح أنه من مواليد سنة إحدى عشرة وخمسمائة، فقد نقل ابن خلكان عن ابن النجار في تاريخه أن ابن الجوزي كان يقول: «لا أتحقق مولدي غير أن والدي مات سنة أربع عشرة . وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين»[(٢)].

نشأ في كنف عمته وفي ظلال رعايتها بعد وفاة والده ، فحملته إلى المحدث

(١) وفيات الأعيان ٣ : ١٤٠ . وانظر ترجمة ابن الجوزي في مصادر كثيرة منها : البداية والنهاية ١٣ : ٢٨ ، وذيل طبقات الحنابلة ١ : ٣٩٩ - ٤٣٢ ، وتذكرة الحفاظ (ترجمة رقم ١٠٩٧) ، والكامل ١٢ : ١٧١ ، والعبر ٤ : ٢٩٧ ، وشذرات الذهب ٤ : ٣٢٩ ، والأعلام ٤ : ٨٩ - ٩٠ ، ومعجم المؤلفين ٥ : ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٣٢١ ، ترجمة رقم ٣٤٣ .

محمد بن ناصر السلامي (ت ٥٥٠هـ)[1] فاعتنى به اعتناءً ظاهراً وحظي لديه بالرعاية والاهتمام فأسمعه الحديث الشريف فلزمه ابن الجوزي لزوم الظل وأفاد منه إفادة لم يجدها عند غيره من علماء عصره .

عرف ابن الجوزي بالتقى والورع وبهمة لا تسامى في السعي وراء العلم ، وتنكب ألوان المتع التي كان يمكن أن يحققها الإرث الكبير الذي خلّفه والده ، فاستهان بكل الصعوبات التي اعترضت طريقه فلم تستطع ثنيه عن عزمه على تحصيل العلم وورود ينابيعه .

واتصف ابن الجوزي بحب العزلة والانفراد والبعد عن الاختلاط بالناس، فقد قال فيه ابن كثير «وكان – وهو صبيّ – ديِّناً متجمعاً على نفسه ، لا يخالط أحداً ، ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة وكان لا يلعب مع الصبيان»[2].

وكان ابن الجوزي يجد في تلك العزلة لذة؛ فهي سبيل إلى سلامة الدين والدنيا، وانصرف إلى الاشتغال بالعلم؛ «فهو جليسه وأنيسه، فقنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة ، لا عن تكلف وتضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدينار وأهله، والتحف بالقناعة باليسير إذا لم يقدر على الكثير بهذا الاستعفاف يسلم دينه ودنياه واشتغاله بالعلم يدل على الفضل ،،ويفرجه عن البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة ولكن لا يصلح هذا إلا للعالم، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط[3].

كان ابن الجوزي عميق الثقافة واسع الاطلاع على كثير من العلوم ؛ ذلك أنه

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي . محدث ثقة ولغوي ثبت ضابط . ولد سنة ٤٦٧هـ ، من آثاره : «التنبيه على الغريبين» ، وقد صدر عن المجمع الثقافي في أبو ظبي سنة ٢٠٠٣م بتحقيق كاتب السطور .

(٢) البداية والنهاية (أحداث سنة ٥٩٧هـ) .

(٣) صيد الخاطر : ٣٧٣ .

كان يدعو إلى الاطلاع على ما خلف السلف من آثار، ففي ذلك شحذ للهمة وتحريك للعزيمة وتبصير لعلوم السابقين ، فالسبيل إلى طلب الكمال في طلب العلم «الاطلاع على الكتب التي تخلفت من المصنفات فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلو همتهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد ، وما يخلو كتاب من فائدة ، وأعوذ بالله من شر هؤلاء الذين نعاشرهم ، لا ترى منهم ذا همة عالية فيقتدي به المبتدئ ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد ، فالله الله ، وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم»(١) .

شيوخه :

أخذ ابن الجوزي علومه الجمة على جملة من علماء عصره في علوم متفرقة ، من حديث وتاريخ وفقه وعلم أصول . وقد صرح هو نفسه في مشيخته بعدد الذين قرأ عليهم وأفاد منهم ، فكانوا تسعة وثمانين شيخاً ، منهم :

١ - علي بن عبدالواحد الدينوري ، قرأ عليه علوم الحديث وعلم الكلام وأخذ عنه علم الأصول ، (ت ٥٢١هـ)(٢) .

٢ - محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم المعروف بالمزرعي . سمع عنه الحديث ووصفه بالثقة وحسن العقيدة ، (ت ٥٢٧هـ)(٣) .

٣ - محمد بن عبدالباقي بن عبدالله بن عبدالرحمن بن ثابت. قرأ عليه ابن الجوزي ووصفه بالثقة والاطلاع الواسع والتفرد في علم الفرائض(٤) (ت ٥٣٥هـ) .

---

(١) **صيد الخاطر** : ٤٤٠ .

(٢) **مشيخة ابن الجوزي** : ٧٠ - ٧٢ .

(٣) المصدر السابق : ٦٦ - ٦٨ ، **والمنتظم** ١٠ : ٣٣ - ٣٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٦ - ٦٥ ، **النجوم الزاهرة** ٥ : ٢٦٧ .

تلاميذه :

وعرف لابن الجوزي عدد كبير من التلاميذ الذين وردوا موارد علمه فنهلوا منها ، وحذوا حذوه وترسموا خطاه ، فكان له فيهم كبير الأثر ، ومن هؤلاء التلاميذ:

١ - عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور : كان يعرف بالورع والتقى . سمع من ابن الجوزي في بغداد ، وتوفي في مصر سنة ٦٠٠هـ[١].

٢ - يوسف بن فرغلي ، وهو المعروف بسبط ابن الجوزي : روى عن جده في بغداد ، وسمع الحديث في الموصل وحدث فيها . من آثاره : مرآة الزمان . توفي سنة ٦٥٤هـ[٢] .

٣ - أحمد بن عبدالدائم بن نعمة : كان معروفاً بحسن الخلق . سمع من ابن الجوزي في بغداد وترسم خطى شيخه . كان يوصف بالمحدث . ألف كتباً كثيرة . من أشهر تلاميذه: الإمام النووي وابن دقيق العيد وابن تيمية. توفي سنة ٦٦٨هـ[٣].

منزلته العلمية :

تبوأ ابن الجوزي مكانة مرموقة بين علماء عصره ، فشهد كل من ترجم له بعلو همته وسعة اطلاعه وتشعب معارفه ، وكثرة تصانيفه في مختلف العلوم ؛ فقد وصفه ابن خلكان بعلامة عصره وإمام وقته فقال : «كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وفي صناعة الوعظ . صنف في فنون كثيرة»[٤] .

وقال عنه الحافظ الذهبي : «كان مبرِّزاً في التفسير والوعظ والتاريخ

(١) التكملة لوفيات النقلة : ٤ ، ترجمة رقم ٧٧٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ : ٥ - ٣٤ .
(٢) والذيل على طبقات الحنابلة ٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩ ، وتذكرة الحفاظ ترجمة رقم ١٠٩٨ .
(٣) والذيل على طبقات الحنابلة ٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩ ، وتذكرة الحفاظ ترجمة رقم : ١٠٩٨ .
(٤) وفيات الأعيان ٢ : ٣٢١ .

ومتوسطاً في المذهب ، وله في الحديث اطلاع تام على متونه ، وأمَّا الكلام على صحيحه ، فما له فيه ذوق المحدِّثين ولا نقد المبرِّزين»[1] .

ونقل السيوطي عن الذهبي ما يؤكد ذلك فقال : «لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ باعتبار الصنعة بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه»[2] .

واشتهر ابن الجوزي بكثرة التأليف والتصنيف ، فقد قال عنه ابن تيميّة : «كان الشيخ أبو الفرج مفتياً كثير التصنيف ، وله مصنفات في أمور كثيرة حتى عددتها فوجدتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك ما لم أره»[3] .

وهذه الكثرة في التصنيف جعلته موضعاً للتزيّد والمبالغة واختلاق الروايات ، ومن ذلك أنه جُمِعتِ الكراريس التي كَتَبها مدّة عمره وقسِّمت على الزمان فكان ما خصَّ اليوم الواحد تسعَ كراريس ، وفي هذا مبالغة لا تخفى ، وقد استنكر ابن خلكان ذلك فقال : «وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل»[4] .

وبالجملة - كما يقول ابن خلكان - : «فكتبه أكثر من أن تعد» ؛ فقد عدّ ابن رجب منها تسعة وتسعين كتاباً . وأحصى الأستاذ عبدالحميد العلوجي[5] ستة وسبعين وثلاثمئة كتاب بين مخطوط ومطبوع ، ولا سبيل إلى ذكرها كلها ، ونكتفي بذكر بعض منها منسوقة على حروف المعجم :

١ - الأريب في تفسير الغريب .

٢ - أسباب النزول .

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١٠٦٧ .

(٢) الإتقان : ٧٠٠ .

(٣) وفيات الأعيان ٣ : ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٤١ .

(٥) صدر الكتاب في بغداد عن شركة دار الجمهورية سنة ١٣٨٥هـ .

٣ - الإشارة إلى القراءة المختارة .

٤ - إعلام العالم بعد رسوخه في حقائق ناسخ الحديث ومنسوخه .

٥ - تذكرة المنتبه في عيون المشتبه .

٦ - تفسير الفاتحة .

٧ - التلخيص .

٨ - دفع شبه التشبيه .

٩ - الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ .

١٠- زاد المسير في علم التفسير (ط) .

١١- صيد الخاطر (ط) .

١٢- عمدة الراسخ . وقد عدّه محقق كتاب (نواسخ القرآن) اسماً آخر لكتاب نواسخ القرآن نفسه .

١٣- فنون الأفنان في علوم القرآن .

١٤-المصفّى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، وهو الكتاب الذي أقوم بتحقيقه .

١٥- المنتظم (ط) .

١٦- الموضوعات (ط) .

١٧- نواسخ القرآن (ط) .

١٨- نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر .

١٩- ورود الأغصان في فنون الأفنان .

٢٠- الوجوه النواضر في الوجوه النظائر .

الكتاب وعملي فيه :

أما الكتاب الذي أنا بصدد تحقيقه والتعليق عليه ، فقد ورد عنوانه على الورقة الأولى من المخطوطة التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب : «المصفّى بأكفٍّ أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ» . وهو اختصار لكتابه «عُمْدة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ» . وقد عدّه محقق كتاب (نواسخ القرآن) اسماً آخر لكتاب نواسخ القرآن نفسه ، وذكر أن من كتاب (المصفّى) نسخة في الخزانة التيمورية وعنوانه : (مختصر عمدة الراسخ) . إلا أنّ هذا العنوان لم يرد إلا في نسخة الخزانة التيمورية ولعله يكون مستخرجاً من مضمون الكتاب ؛ ذلك أن ابن الجوزي أشار في مقدمة كتابه (المصفّى) إلى أنه اختصره من كتاب (عمدة الراسخ) . فلعل الناسخ جعل العنوان المذكور اعتماداً على ذلك .

تقع مخطوطة (المصفّى) التي اعتمدنا عليها أوّلاً في سبع عشرة ورقة قياس كل ورقة ١٨,٥ × ١٣,٥ سم . وفي كل صفحة ثمانية عشر سطراً . وضمّها مجموع نفيس قيم يضم جملة رسائل في موضوعات شتّى ، وتحتفظ به المكتبة الظاهرية - عمرها الله - ورقمها ٣٨٥٢ .

ومخطوطة الكتاب نسخة قديمة قيِّمة عالية الإسناد ترقى إلى زمن المؤلف ، وعليها مجموعة من السماعات والقيود في مواضع عدة من ديار الإسلام ، وهي مكتوبة بخط نسخيٍّ ، وكتبت الأبواب وعنوان الفقرات بخط أكبر .

تحوي الورقة الأولى من المخطوطة سماعَيْن : أولهما على المؤلف نفسه سنة ٥٨٦هـ ؛ أي قبل وفاته بإحدى عشرة سنة . والثاني سماع على الشيخ ضياء الدين عمر بن أبي البدر الموصلي بجامع دمشق سنة ٦١٥هـ .

وتحوي أيضاً مجموعة من القيود والإجازات ، منها : إجازة ليوسف بن عبدالهادي المقدسي ، وعليها قيد وقف على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون .

وعلى الورقة الأخيرة قيد كتابة ببغداد سنة ٥٦٥هـ في المدرسة الوقفيّة ، وقيد سماع آخر بالموصل تاريخه سنة ٥٦٥هـ أيضاً ، وسماع على الشيخ عمر بن بدر الموصلي سنة ٦٠٨هـ في القدس الشريف ، وسماع آخر عليه سنة ٦١٤هـ في القدس أيضاً . وسماع آخر على الشيخ عمر الأتابكيَّة يعود إلى سنة ٦٢٠هـ .

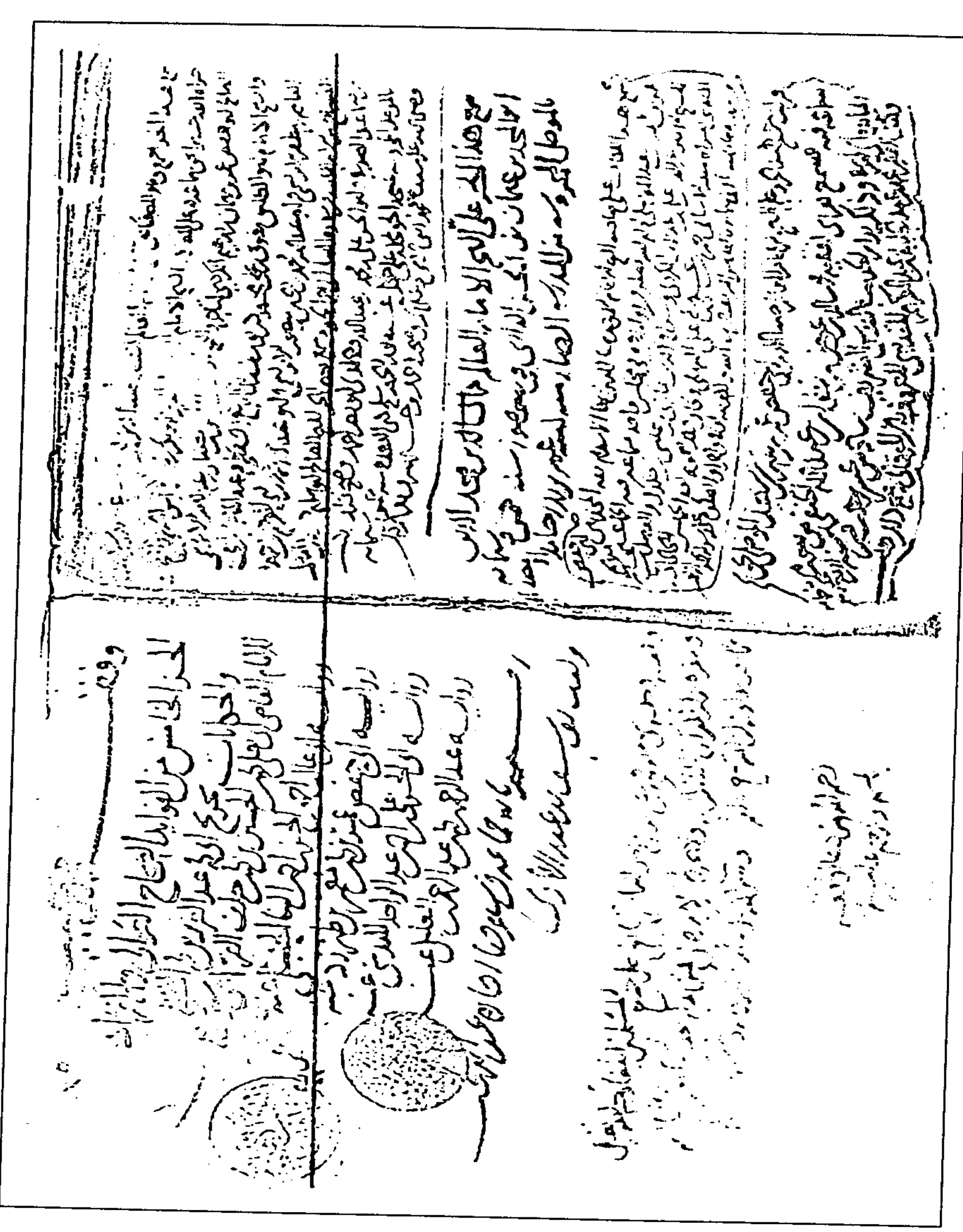
وكنت قد حصلت على نسخة من مخطوطة الظاهرية فاستحسنت العمل فيها وتحقيقها وإعدادها للنشر ، فنسختها وقرأتها كاملة ، ولم أفلح في الحصول على نسخة أخرى .

وبينما كنت أتصفح فهارس إحدى دور النشر وقع تحت نظري عنوان كتاب لأحد العاملين في تحقيق التراث يحمل عنوان : «أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ» ، وهي : كتاب قتادة ، والزهري ، وابن الجوزي ، والبارزي ، فأعرضت عن إتمامها .

وفي أثناء إقامتي في مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة وقفت على الكتاب المذكور سابقاً ، فأخذت بقراءة كتاب ابن الجوزي من بين الكتب الأربعة ، وتلبَّثت عند المخطوطات التي أُخرج الكتاب اعتماداً عليها ، فوجدت الأستاذ المحقق قد جعل تكأته في التحقيق نسختين خطيَّتين لا ترقيان إلى مستوى النسخة الخطيَّة التي بحوزتي - وهي أعلى النسخ وأدقها وأصحُّها - إلى جانب أن المحقق لم يعرض للنسخة الخطية التي اعتمدت عليها إطلاقاً ، فجدَّ مني العزم على إتمام تحقيق الكتاب ، مع الشكر والتقدير للأستاذ المحقق على ما بذل من جهد .

صفحة العنوان من نسخة الظاهرية

صورة الورقة الأولى من نسخة الظاهرية



صورة الورقة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَمْد اللهِ ذي العزِّ الرفيعِ الشامخ ، والصلاةِ على رسوله محمَّدٍ ذي القَدر المنيعِ الباذخ ، فهذا حاصل التحقيق في علم المنسوخِ والناسخ ، وقدْ بالغتُ في اختصارِ لفظِهِ ، لأحثّ الراغبين[1] على حفظهِ ، فالتفت إليها أيّها الطالب لهذا العلمِ إليهِ ، وأَعْرض عن جنْسِهِ تعويلاً عليه [ففيه كفاء[2]] فإنْ آثرتَ زيادةَ بسطٍ ، أو اخترتَ الاستظهارَ بزيادةِ احتجاج[3] ، أو ملْتَ إلى إسنادٍ ، فعليكَ بالكتابِ الذي اختصرتُ هذا منهُ ، وهو كتاب: (عُمْدةُ الراسخِ) ، والله الموفّق بلطفهِ ، والمرفق بعطفه[4] .

(بابُ ذكْر فصول تكونُ كالمقدّمة لهذا الكتابِ)

فصل

أنكرتِ اليهودُ جوازَ النسْخ، وقالوا هو البَدَاء[5]، والفرق بينهما أنَّ النسخَ رفْعُ عبادةٍ قد عُلِمَ الأمرُ بها حينَ الأمر أنّ للتكليفِ بها غايةً ينتهي إليها، ثمَّ يرتفعُ الإيجابُ، والبَداءُ هو الانتقالُ عن المأمورِ بهِ بأمرٍ حادثٍ لا بعلم سابق . ولا يمتنعُ جوازُ النسخ (عقلاً[6]) لوجهين، أحدهما: أنّ للآمر أن يأمرَ بما شاءَ ، والثاني : أنّ النفسَ إذا

---

(١) في م : (الراغب) .

(٢) في م : (القوة) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة عن م .

(٤) (بلطفه ... بعطفه) : ليست في م .

(٥) البَداء : يمدّ ويقصر ، ومعناه في اللغة : الظهور بعد الخفاء ، ومعناه اصطلاحاً : أن يرى المرء رأياً ثم يبدو له خلافه ، ويتغيّر رأيه . ويعمل بما بدا له . انظر : **الإتقان** ٢ : ٧٠١ ، **ومناهل العرفان** ٢ : ١٨٢ .

(٦) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(مَرِنَتْ على أمرٍ ألفتْهُ[1]) ، فإذا نُقِلَتْ عنه إلى غيره شقّ عليها لما أنّ (الاعتياد[2]) مألوفٌ (فظهرَ منْها) بالإذعان[3] أثرُ الانقيادِ لطاعةِ الآمرِ وقدْ (وقعَ[4]) النسخُ شرعاً لأنَّه قد ثبتَ من دين[5] آدم عليه السلام وطائفةٍ منْ أولاده جوازُ نكاحِ الأخواتِ وذواتِ المحارمِ، و العملَ في يومِ السبتِ ، ثمّ نُسِخَ ذلك في شريعةِ موسى عليهِ السّلامُ.

فَصْلٌ

(النَّسخُ[6]) إنَّما يقعُ في الأمرِ والنَّهيَ ، ولا يجوز[7] في الأخبار المحضة[8] والاستثناءُ ليس بنسخ ولا التخصيصُ ، وقد أجازَ مَنْ لا يُعْتَدُّ بخلافهِ وقوعَ النسخِ في الأخبارِ والخبر[9] المحضِ ، وسمّى الاستثناء والتخصيصَ نسخاً والفقهاءُ على خلاف[10] ذلك .

---

(١) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٢) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٣) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٤) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٥) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٦) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

(٧) في م : (دون الخبر) .

(٨) في م : (المحض) .

(٩) في م : (في الخبر المحض) ، وانظر : **البرهان** ٢ : ٣٢ ، والمراد به هاهنا أبو مسلم الأصبهاني (ت ٣٢٢ هـ) وهو معتزلي من كبار المفسّرين ، أهم كتبه " جامع التأويل " ، وقد آثر أن يسمي النسخ تخصيصاً تجنّباً لإبطال حكم قرآني أنزله الله ، فهو لم يبطله جملةً وتفصيلاً . **مباحث في علوم القرآن** : ٢٦٢ .

(١٠) في م : (على خلافه) رأي الجمهور أن النسخ لا يقع إلا في الأمر والنهي ، أما الذين أجازوا وقوعه في الأخبار فقيدوها بأنها التي يُراد بها الأمر والنهي . انظر **البرهان** ٢ : ٣٣ ، **والإتقان** ٢ / ٧٠٢ ، **ومباحث في علوم القرآن** : ٢٦٣ الحاشية رقم ٢ .

فصل

وشروطُ النسْخِ خمسةٌ، أحدها : أنْ يَكونَ الحكْم في الناسخ والمنسوخ متناقضاً فلا يُمكنُ العملُ بهما ، والثاني : أنْ يكونَ الحكمُ[1] المنسوخُ ثابتاً قبلَ ثبوتِ حكمِ الناسخِ . والثالثُ : أن يكونَ الحكمُ المنسوخُ[2] ثابتاً بالشرعِ والعُرفِ ، فإنّهُ إذا ثبتَ بالعادةِ لم يكنْ مانعه[3] ناسخاً، بل يكونُ ابتداءَ شرعٍ . والرابع: أنْ يكونَ الحكمُ[4] الناسخُ مشْروعاً بطريقِ النقلِ كثبوتِ المنسوخ . أما ما ليسَ مَشروعاً بطريق النقل فلا يجوزُ أن يكون ناسخاً للمنقولِ ، ولهذا إذا ثَبَتَ حكْم منقولٌ لم يَجُزْ نسخُه بإجماع ولا بقياس . والخامس : أن يكونَ[5] الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل الطريق[6] الذي ثبت به المنسوخ أو أقوى منه ، ولهذا نقولُ : لا يجوزُ نسخُ القرآن بالسنَّة .

فَصْلٌ[7] في فضيلة[8] علم[9] الناسخ والمنسوخ

روى أبو عبد الرحمن السُّلَمي (أنّ علياً[10]) رضيَ الله عنه مرَّ بقاصٍّ فقال :

---

(١) في م : (حكم) .

(٢) في م : (حكم) .

(٣) في م : (رافعه) .

(٤) في م : (كون حكم) .

(٥) في م : (كون) .

(٦) في م : (مثل طريق ثبوت) .

(٧) مطموسة في الأصل والتكملة عن المطبوعة .

(٨) في م : (فضل) .

(٩) في م : (هذا العلم) .

(١٠) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة ، وانظر الخبر في الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ : ١١٤ ، والخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه ١ : ٨٠ ، وابن الجوزي : ١٠٥ ، وآداب القاضي للبيهقي ١٠ : ١١٧ .

أتعرفُ الناسخَ والمنسوخَ ؟ فقال : لا . (قال هلكتَ وأَهلكت) . وفي لفظٍ أنّه قالَ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا أبو يحيى . قال : أنْت أبو اعرفوني[1] .

فصل

والمنسوخُ في القرآنِ على ثلاثةِ أَضْرُبٍ[2] : أحدها ما نُسِخَ رسمُهُ وحكمُهُ / وقد كانَ جماعةٌ من الصحابةِ يحفظونَ سوراً وآياتٍ فشذَّتْ عن حفظِهِم[3] ، فأخبرَهم رسولُ الله ، ﷺ بأنَّها رُفِعَت[4] . والثاني[5] : ما نُسِخَ رسمُهُ وبقيَ حكمُه ، كآيةِ الرَّجْمِ والثالثُ : ما نُسِخَ حكمُهُ وبقيَ رسمُه ، ولهُ وضَعْنا هذا الكتابَ .

بابُ ذكرِ ما في سورةِ البقرة منْ ذلك

- الآية الأولى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[6] ظاهر هذه الآية[7] نفقةُ النفل[8] كذلك[9] قالَ مُجاهد[10] ، وقد قيل : الزكاةُ . فعلى هذين القولين الآيةُ مُحْكمة ،

---

(١) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة . وانظر الخبر في : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤١٠ ، ولابن حزم : ٥ - ٦ مع اختلاف في اللفظ . **والإتقان** ٢ : ٧٠٠ ، والرجل هو مِصْدَع أبو يحيى الأعرج المعرقب ، انظر : **تهذيب التهذيب** ١٠ : ١٥٧ ، **والاعتبار** لابن حزم ص ٦ ، **ونواسخ القرآن** : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) في م : ضروب .

(٣) في م : (فشذّت عنهم) .

(٤) في م : (أنها) .

(٥) في م : (الثاني) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٣ .

(٧) (ظاهر هذه الآية) : ليست في م .

(٨) في م : (هي نفقة النفل) .

(٩) ليست في م .

(١٠) لم أقف على هذا القول في تفسير مجاهد .

وقد زعم[١] بعضُهم أنّ الإشارةَ[٢] بها إلى نفقةٍ كانتْ واجبةً قبلَ الزكاةِ . وزعموا[٣] أنَّه كان فرض على الإنسان[٤] أن يُمسكَ ما في يده قدرَ كفايته[٥] يومَه وليلَتهُ ويفرقَ[٦] باقيَهُ[٧] على الفقراء ، ثمّ نسخ ذلك بآيةِ الزكاة وهذا بعيدٌ[٨].

- الآية الثانية : قوله تعالى[٩] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾[١٠] ، زعمَ قوم أنَّها منسوخةٌ[١١] بقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[١٢] . وهذا لا يصحّ لوجهين : أحدهما[١٣] أنه إن[١٤] أُشير بالذين هادوا والنصارى[١٥] إلى مَنْ كان تابعاً لنبيّه[١٦] قبلَ بعثة نبيٍّ آخر (فأولئك[١٧]) على الصَّواب ، وإن أُشيرَ إلى مَنْ (كان في

(١) في م : (وزعم) .

(٢) في م : (أنها) .

(٣) في م : (وزعم) .

(٤) ليست في م .

(٥) في م : (لكفاية) .

(٦) في م : (الباقي) .

(٧) في م : (الباقي) .

(٨) ليست في م .

(٩) (تعالى) : ليست في م .

(١٠) سورة البقرة ، الآية : ٦٢ .

(١١) هذا رأي ابن عباس ، رضي الله عنه . انظر : **الإيضاح** : ١٢٤ .

(١٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(١٣) (لوجهين أحدهما) : ليست في م .

(١٤) في م : (لأنه) .

(١٥) (بالذين ... النصارى) : ليست في م .

(١٦) في م : (في زمن نبي تابعاً) .

(١٧) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن المطبوعة .

زمن نبيّا[١]) فإنَّ من ضرورة[٢] مَنْ لم يبدِّل دينه[٣] أن يؤمن بمحمّد[٤] ويتّبعه ، ولا وجهَ للنسخ ، ويؤكِّدُ أنّ الآية خبر[٥] ، والأخبارُ[٦] لا تُنسخ .

- الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾[٧] جمهورُ[٨] العلماءِ على أنَّ المُرادَ (بها الشركُ فلا يتوجَّهُ النسخُ ، وقيل : الذنوبُ [٩]) دونَها الشرك . ويتوجّه[١٠] النسخ[١١] بقوله تعالى[١٢] : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[١٣] . ويمكنُ أَنْ يُحمَلَ[١٤] ذلك على مَن أتى السيئةَ مُستحلاً ، فلا يكونُ نسخاً[١٥].

- الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١٦] اختلفوا في المخاطبين

(١) مطموسة في الأصل والصحيح «زمن نبيّنا» .
(٢) مطموسة في الأصل .
(٣) في م : (من ضرورته) .
(٤) في م : (نبينا عليه السلام) .
(٥) في م : (ويؤكده أنها خبر) .
(٦) في م : (والخبر) .
(٧) سورة البقرة ، الآية : ٨١ .
(٨) في م : (الجمهور) .
(٩) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل .
(١٠) في م : (فيتوجه) .
(١١) (النسخ) : ليست في م .
(١٢) ليست في م .
(١٣) سورة النساء ، الآية : ٤٨ .
(١٤) في م : (يمكن حمله) .
(١٥) في م : (فلا نسخ) .
(١٦) سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

بهذا ، فقال قوم[١] : هم اليهود ، والتقدير[٢]: مَنْ سألكم[٣] عن شأن[٤] محمد فأصدقوه وقال آخرون : هم أمةُ محمد[٥] كلِّموهم بما تحبون أنْ يُقالَ لكم ، فعلى هذا الآيةُ محكمةٌ[٦] .

وذهبَ قومٌ إلى أن المراد بذلك[٧] مساهلة المشركين في دُعَائهم إلى الإسلام فالآيةُ عندَ هؤلاءِ منسوخةٌ بآية السيف[٨] وفي هذا بُعْدٌ ؛ لأنّ لفظَ الناسِ عامٌّ فتخصيصه بالكفار يفتقر[٩] إلى دليلٍ .

- الآية الخامسة : قوله تعالى : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[١٠] .

زعم قوم[١١] أنَّها منسوخة بآية السيفِ وليس بصحيح ؛ لأنه لمْ يأمر بالعفو مطلقاً بلْ إلى غايةٍ[١٢] ، ومثلُ هذا لا يدخل في المنسوخ[١٣] .

---

(١) في م : (الخطاب) .

(٢) في م : (التقدير) .

(٣) في م : (ساءلكم) ، وهو وجه .

(٤) في م : (بيان) ولا وجه لهذه القراءة .

(٥) في م : (وقيل : المراد ...) .

(٦) وبذلك قال النحاس . **الناسخ والمنسوخ** ١ : ٢٠٩ (ط مؤسسة الرسالة بتحقيق الدكتور سليمان اللاحم) .

(٧) في م : (وقيل : المراد ..) .

(٨) هذا رأي قَتَادة السدوسي . انظر **الإيضاح** : ١٢٤.

(٩) في م : (يحتاج) .

(١٠) سورة البقرة ، الآية : ١٠٩.

(١١) هذا رأي السّدّي . انظر : مكي : ١٢٥ .

(١٢) انظر **الإيضاح** : ١٢٦ .

(١٣) قال مكي : القول بأنها منسوخة أبين ؛ لأنّ الوقت الذي تعلّق به الأمر بالعفو والصفح غير معلوم حدُّه وأمده ، ولو حدَّ الوقتَ وبيَّنه فقال : إلى وقت كذا لكان كون الآية غير منسوخة أبين ، وكلا القولين حسن إن شاء الله . **الإيضاح**: ١٢٦.

- الآية السادسة[١] : قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢] . ذهبَ بعضهم إلى أنّ هذه الآيةَ اقتضتْ جوازَ التوجه[٣] إلى جميعِ الجهاتِ ، فاستقبل رسول الله ﷺ شَطْرَ المسجد الحرام[٤] ليتألّفَ أهلَ الكتاب ، ثمَّ نسختْ (بقوله)[٥]: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٦] وإنَّما يصحّ القولُ بنسخِها (إذا قُدِّرَ فيها ضميرٌ[٧]) وتقديره : فولّوا وجوهكم في الصلاةِ (أنّى شئتم ثمَّ يُنْسَخ ذلك القدر ،

(١) جعلها قتادة منسوخة وذهب إلى أنّ المعنى : صلوا كيف شئتم فإن المشرق والمغرب لله عزَّ وجلَّ، فحيث استقبلتُم فثمَّ وجه الله لا يخلو منه مكان . وقال مجاهد : معناه : أينما تولوا من مشرق أو مغرب فثمَّ جهة الله التي أمر بها ، وهي استقبال القبلة ، فجعل الآية ناسخة . وجعل قتادة وابن زيد الآية منسوخة . وأورد النحاس فيها ستة آراء ، قال بعد أن ذكر خمسة منها (... والقول السادس من أجلِّها قولاً وهو أن المصلي في السفر على راحلته النوافل جائز له أن يصلي إلى قبلة وغير قبلة ، وهذا القول عليه فقهاء الأنصار) . **ناسخ القرآن للنحاس** : ١٦ - ١٧ . وقال بعد ذلك : (والصواب أن يقال : إن الآية ليست بناسخة ولا منسوخة ؛ لأن العلماء قد تنازعوا القول فيها ، وهي محتملة لغير النسخ ، وما كان محتملاً لغير النسخ لم يقل فيه : ناسخ ولا منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها ... فأما ماكان يحتمل المجمل والمفسّر والعموم والخصوص فعن النسخ بمعزل ، ولا سيّما مع هذا الاختلاف) . **ناسخ القرآن للنحاس**: ١٧ - ١٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٥ .

(٣) هو قَتَادة السدوسي . انظر : **الناسخ والمنسوخ للنحاس** : ١٧ ، **والإيضاح** : ١٣١.

(٤) في م : (بيت المقدس) .

(٥) مطموسة في الأصل . والقول بنسخها هو قول مالك وأصحابه ، وهو رأي قتادة وابن زيد ، وهو مروي عن ابن عباس والحسن . انظر : **الإيضاح** : ١٣١ ، وابن حزم : ٢٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ . قال مكي (فيكون هذا مما نُسخ قبل العمل به ، لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ ولا أصحابه صلوا في سفر ولا حضر إلى حيثما توجهوا) . **الإيضاح** : ١٣١ .

(٧) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

والصحيح[1] أنّها مُحكمة[2] لأنَّها أخبرت أنَّ الإنسانَ أين تولّى فثمَّ وجهُ الله ، ثم ابتدئ الأمر بالتوجُّه إلى الكعبة لا على وَجْهِ النسخ[3] .

- الآية السابعة : قوله تعالى : ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾[4] . قال بعضُ[5] المفسِّرين : هذا اقتضى[6] نوعَ مُساهلةٍ للكُفَّارِ ، ثمَّ نُسخَ بآية السيفِ ، وفي هذا بُعْدٌ منْ وجهين[7] ، أحدهما : أنَّ الناسخَ يُنافي[8] المنسوخَ ولا تنافيَ بين الآيتين[9] . والثاني[10] : أنّه خبر[11] .

---

(١) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

(٢) هذا قول إبراهيم النخعي ، قال : (هي مخصوصة محكمة نزلت فيمن جهل القبلة ، له أن يصلي أينما توجه ولا إعادة عليه ، وعليه الإعادة عند مالك وأصحابه في الوقت ، وهو خارج عن الأصول) . انظر الإيضاح : ١٣١ - ١٣٣ ، والنحاس : ١٧ - ١٨.

(٣) جعل كل من مجاهد والضحاك الآية ناسخة للصلاة إلى بيت المقدس . وقال بعضهم : هي محكمة مخصوصة في صلاة النبي ﷺ على النجاشي حين صلّى عليه واستقبل جهة إلى غير القبلة ، فهو خصوص للنبي ﷺ . وقال بعضهم : هي مخصوصة بالدعاء ومعناها : ادعوا كيف شئتم مستقبلين وغير مستقبلين القبلة فالله يسمع ذلك . وقال ابن حزم (قوله تعالى : ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ : هذا محكم منسوخ منها قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ابن حزم: ٢١ . وبهذا قال سلامة أيضاً .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٣٩ .

(٥) في م : (بعضهم) .

(٦) في م : (يقتض) .

(٧) في م : (وهو بعيد لأن من شروطها).

(٨) في م : (التنافي) .

(٩) في م : (بين الآيتين) ليست في م .

(١٠) كلمة (الثاني) ليست في م .

(١١) في م : (بأنه) .

- الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾[١] . زعم بعض من قلَّ فهمُه أنَّها نُسِخت بالاستثناء بعدَها، وهذا لا يُلْتَفتُ إليه، وكذلكَ كلُّ ما يأتي[٢] من هذا الجنس فإن الاستثناء إخراجُ بعضٍ ما شمَلهُ اللفظ، وليس بناسخ.

- الآية التاسعة : قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾[٣] . ذهبَ بعضُ[٤] المفسِّرين إلى أنَّ دليل خطابِ[٥] هذه الآية[٦] منسوخٌ لأنّه لمَّا[٧] قال : (الحُرُّ بالحُرّ) اقْتضى ألاّ يقتلَ العبدُ بالحرِّ ، وكذا لمّا قال : (الأُنثى بالأُنثى) اقْتضى ألاَّ يقْتل الذكر بالأُنثى مِنْ جهةِ دليل الخطابِ ، وذلك[٨] منسوخ[٩] بقولِه تعالى :

---

(١) قال مكي : (وهذا غلط ظاهر ، ليس هو من الناسخ والمنسوخ ، وإنما هو استثناء استثنى) الله جلّ، ذكره التائبين من الموصوفين قبله ، ولا يحسن أن يُقال في الاستثناء : إنَّه نسخ ؛ لأن الاستثناءَ لا يكون إلا بحرفٍ يدل على معنى استثناء كذا ، ولا يكون الاستثناء إلا لبيان الأعيان) . **الإيضاح** : ١٣٣ ، وانظر : ابن حزم : ٢٣ . سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٢) في م : (وذلك كلما أتى) وهو خطأ ، صوابه ما أثبته .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧٨ .

(٤) في م : (بعضهم) .

(٥) في م : (الخطاب) .

(٦) كلمة (الآية) ليست في م .

(٧) في م : (أنه لا) .

(٨) في م : (فذلك).

(٩) هذا رأي ابن عباس . انظر **الإيضاح** : ١٣٥ ، وقال ابن حزم : ٢٤ (وقيل : ناسخها قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ . **الإسراء**: ٣٣. وقال مكي : (الآيتان محكمتان لا نسخ في واحدة منهما) ثم ذكر أربعة أقوال فيها : فالشعبي وغيره جعلها مخصوصة نزلت في قوم تقاتلوا فقتل منهم خلق كثير . وجعلها السدّي مخصوصة أيضاً في فريقين تقاتلا على عهد النبي عليه السلام ، ووقع بينهما قتلى ، فأمر النبي ﷺ أن يفادي بينهم ، ديات النساء بديات النساء ، وديات الرجال بديات الرجال . ==

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[1]، وهذا ليس بشيءٍ يعوَّل عليه لوجهين :

أحدهما: أنّه إنّما ذكر في المائدة ما كتبه على[2] أهل التوراةِ وذلك لا يُلزِمُنا وإنّما نقولُ[3] في إحدى الروايتين عن أحمد : إنّ شرع مَنْ قبلنا شرْعٌ لنا ما لم يثبت نسخُه (وخِطابُنا بعدَ خطابهم[4]) قد ثبت النسخ فتلك الآية الأولى أنْ تكونَ منسوخةً بهذه .

والثاني : أنّ دليلَ الخطابِ إنّما يكون حجّةً ما لم يعارضْه دليلٌ أقوى منه . وقد ثبت بلفظِ الآيةِ أنَّ الحُرَّ يوازي الحُرَّ ، فلأن يوازي[5] العبدَ أَوْلى[6].

- الآية العاشرة : قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ[7] خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾[8] - قد ذهبَ كثيرون منَ العلماءِ إلى أنّ هذه الآيةَ منسوخة بآيةِ

= وقال الحسن البصري إنها نزلت في نسخ التراجع الذي كانوا يفعلونه ، وذلك أنهم كانوا يحكمون فيما بينهم أن الرجل إذا قتل امرأة كان أولياء المرأة بالخيار ، إن شاؤوا قتلوا الرجل وأدوا نصف ديته ، وإن شاؤوا أخذوا نصف دية الرجل . وقال أبو عبيد القاسم ين سلام : آية المائدة مفسِّرة لآية البقرة ، لأن أنفس الأحرار متساوية فيما بينهم ... والآية عند مالك محكمة وروي عنه أنه قال : أحسن ما سمعت في هذه الآية أنها يراد بها الجنس ، الذكر والأنثى فيه سواء . وأشار أبو عبيد إلى أن قوله هذا هو مذهب ابن عباس) . الإيضاح : ١٣٥ - ١٣٧ . وانظر : سلامة : ٤٩ - ٥٣ .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .

(٢) كلمة (على) ليست في م وهي لازمة للسياق .

(٣) في م : (فإن قيل) .

(٤) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

(٥) في م : (الحرّة) .

(٦) انظر : ابن سلامة : ٥٣ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠.

(٨) ابن حزم : ٢٥ ، ومكي : ١٤١ ، وقال : (الأشْهَرُ في هذه الآية أنها منسوخة) . وانظر تفصيل الآراء هناك. وقال بعد ذلك : « ... على أنه قد أجمع المفسّرون أن قوله : (الوصية للوالدين) نزل قبل نزول آية المواريث ، ففي هذا قوة لنسخ الوصية للوالدين بآية المواريث ...» .

الميراثِ ، وقد نصّ أحمدُ على ذلك فقال : الوصيةُ للوالدَيْن منسوخةٌ .

– الآية الحادية عشرة : قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(١) . قد ذهب(٢) بعضُ(٣) المفسِّرين إلى أنّ الإشارةَ إلى صفةِ الصومِ وكانَ قد كُتِبَ على مَنْ قبلنا أنهم إذا نام(٤) أحدُهم في الليل(٥) لم يجزْ له الأكل إذا انتبه بالليل ، ولا الجماعُ فنُسِخَ ذلك عنَّا بقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾(٦) .

والصحيح أنّ الإشارةَ إلى نفسِ الصوم ، والمعنى : كُتِبَ عليكم أنْ تصوموا(٧) كما كُتِبَ على مَنْ قَبْلكم أنْ يصوموا ، وليستِ الإشارةُ إلى صفةِ الصَّومِ و لا إلى عدده ، فالآية على هذا محكمة(٨) .

– الآية الثانية عشرة : قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ . في هذه(٩)

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٢) ليست في م .

(٣) في م : (بعضهم) .

(٤) في م : (أنه) .

(٥) ابن سلامة : ٦١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ ، وهو قول السُّدِّ وأبي العالية ، وقيل : الآية لا ناسخة ولا منسوخة . انظر أيضاً : الناسخ والمنسوخ للزهري : ١٦٠ ، وابن حزم : ٢٦٠ ، ومكي: ١٤٦ – ١٢٤ .

(٧) في م : (كتب على مَنْ قبلكم أنْ يصوموا) .. .

(٨) قال الشعبي والحسن ومجاهد : (الآية محكمة غير ناسخة ولا منسوخة . وذلك أنَّ الله جلَّ ذكرُهُ . كان قد افترض على من كان قبلنا من النّصارى صوم رمضان ، فحوّلوه عن دقته ، ثم زادَ كلّ قَرْنٍ يوماً في أوَّله للاستبراء والاحتياط ويوماً في آخره حتى صار إلى خمسين يوماً ، ففرض علينا صومه خاصة كما كان فَرْضاً عليهم) . مكي : ١٤٨ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ . وانظر الزهري : ١٦ ، والبارزي : ٢٥ .

الآية[1] مضمر[2] تقديره : وعلى الذين لا يصومونه[3] فديةٌ ، ثم نسخت بقوله : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[4] .

– الآية الثالثة عشرة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا ﴾[5].

ذهب قوم[6] إلى أنّ المنسوخَ من هذه[7] الآية أولها (لأنه[8]) اقتضى أنّ القتال إنّما يُباحُ في حقِّ مَنْ قاتلَ من الكفار (دونَ مَنْ لم يقاتل ، ثم[9]) نُسخ ذلك [10] بآية السيف[11] وهذا إنما أخذوه[12] من دليل الخطاب ، ودليل الخطاب إنّما يكون حجّة ما لم[13] يعارضْه دليلٌ أقوى منه[14] . وقد عارضه ما هو أقوى منه كآية السيف وغيرها .

---

(١) في م : (هذا) .

(٢) ليست في م .

(٣) ابن حزم : ٢٦ ، ومكي : ١٥٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ ، وانظر : الناسخ لقتادة : ٤٠ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ ، وانظر : الناسخ للبارزي : ٢٤ .

(٦) في م : (قيل) .

(٧) في م : (منها) .

(٨) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل ، والتكملة عن م .

(٩) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل ، والتكملة عن م .

(١٠) كلمة (ذلك) ليست في م .

(١١) انظر مكي : ١٥٦.

(١٢) في م : (هذا القائل إنّما أخذه) .

(١٣) في م : (إذا) .

(١٤) (وقد عارضه ما هو أقوى منه) : ليست في م .

وقال آخرون[١] : المنسوخ من هذه[٢] الآية قوله : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ . قالوا : والمُرادُ به ابتداءُ المشركين بالقتالِ في الشهر الحرامِ والحَرَم ، ثم نسخ بآية السيف ، وهذا بعيدٌ ، والصحيحُ إحكامُ جميع الآية[٣] .

– الآية الرابعة عشرة : قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾[٤]. ذهب[٥] قوم إلى أنَّ هذا منسوخٌ بآية السيفِ ، والصحيح أنّه محكَمٌ، وأنَّه لا يجوزُ أنْ يُقاتل أحد[٦] في المسجدِ الحرامِ حتَّى يُقاتَل، وإنَّما[٧] أُحِلَّ القتالُ لرسولِ الله ﷺ ساعةً من نَهَارٍ ، فكانَ ذلك تخصيصاً لا على وجهِ النسخ[٨].

– الآية الخامسة عشرة : قوله تعالى : ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٩] .

---

(١) قال ابن حزم : (هذه الآية جميعها محكمة إلا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة /١٩٠] . الناسخ لابن حزم : ٢٧ ، وقال مكي : (قال ابن زيد : نسخها الأمر بالقتال وبالقتل للمشركين ... عن ابن عباس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز : ومجاهد أن الآية محكمة غير منسوخة ، لكنها مخصوصة في النهي عن قتل الصبيان والنساء والشيخ الفاني ومَنْ ألقى السلم وكفَّ يده) . مكي : ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) في م : (منها) .

(٣) انظر الحاشية : ١٤ من الصفحة السابقة .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٩١.

(٥) من القائلين بنسخها ابن سلامة : ٦٧.

(٦) في م : (أن يُقال : أحد) ولا وجه لهذه القراءة .

(٧) في م : (فإنما) .

(٨) قال مجاهد : الآية محكمة غير ناسخة ولا منسوخة ، لكنها مخصوصة في النهي عن القتال في الحرم ، ولا يحل القتال في الحرم إلا أن يقاتلوك وهو قول طاوس) . مكي : ١٥٧ ، وعلق مكي على قول مجاهد فقال : «والبين الظاهر أنها منسوخة ، وهو قول أكثر العلماء ؛ لأن قتال المشركين فرض لازم في كل موضع كانوا فيه» . مكي : ١٥٨ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٩٢ ، وانظر : الناسخ لقتادة : ٣٧.

قال بعضهم : إنِ انتَهَوا عن الكفر فعلى هذه الآية محكمة . وقال آخرون : عن قتالِ المسلمينَ لا عن الكفرِ / فيتوجَّه[1] النسخُ بآية السيف[2] .

– الآية السادسة عشرة : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[3] . هذه الآية منسوخة بآية السيف[4].

– الآية السابعة عشرة : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾[5] . قال جماعة من المفسِّرين[6] : الآية تضمَّنَتْ ذمَّ الخمرِ لا تحريمَها . ثمَّ نُسِخَتْ[7] بقوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[8] .

– الآية الثامنة عشرة : قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[9] .

---

(١) في م : (فتوجَّه) .

(٢) ابن سلامة : ٦٧ ، وابن حزم : ٢٧ ، وقال : (وهذه من الأخبار التي معناها الأمر ، تأويله : اغفروا واعفوا عنهم ، ثم أخبار العفو منسوخة بآية السيف).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧ .

(٤) القول بالنسخ هو قول ابن عباس ، رضي الله عنه وقول قتادة والضّحاك و الأوزاعيّ وابن المسيَّب ، وجعلها عَطاء ومجاهد محكمة ، والجماعة على خلاف ذلك ، انظر : مكي : ١٦٠ ، وابن حزم : ٢٨ ، وقتادة : ٣٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ .

(٦) (من المفسرين) : ليست في م .

(٧) الناسخ لقتادة : ٣٩ ، والبارزي : ٢٦ .

(٨) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ ، وانظر : ابن حزم : ٢٨ ، ومكي : ١٦٦ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ ، وانظر مكي : ١٦٩ ، وهي عنده محكمة ، والبارزي : ٢٦ ، وهي عنده منسوخة بفرض الزكاة ، وقيل : هي محكمة غير منسوخة ، والمراد بالعفو الزكاة بعينها ، وقيل : هي محكمة مخصوصةٌ في التطوّع . والعفوُ عند ابن عباس : القليل الذي لا يتبيّن خروجه من المال) . مكي : ١٦٨.

ذهب قومٌ إلى[1] أنَّ المُراد بهذا الإنفاق الزكاة[2]. وقال آخرون[3] : صدقة التطوّع ، فالآية محكمة[4] . وزعم آخرونَ أنَّهُ إنفاقُ ما يفضُل عن حاجةِ الإنسانِ ، وكانَ ذلكَ[5] واجباً فنسخَ بالزكاة .

– الآية التاسعة عشرة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[6] . هذا لفظ[7] عام خُصَّ منه أهل الكتاب[8] ، والتخصيصُ ليس بنسخ وقد سمّاه مَنْ لا يعلم نسخاً ، وذلك غلط[9] . وكذلك قوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ

---

(١) في م : (وقيل) .

(٢) قال مكي : (الظاهر في هذه الآية أنها محكمة مخصوصة ... وقاله قتادة وابن جبير) مكي : ١٦٩، وانظر ابن حزم : ٢٩ ، فقد جعلها محكمة جميعها إلا كلاماً في وسطها وهو قوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨] وجعل ناسخها قوله تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩]).

(٣) في م : (وقيل) .

(٤) انظر : مكي : ١٦٩ ، والبارزي : ١٥٨.

(٥) في م : (وكان هذا) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٢١.

(٧) في م : (اللفظ) .

(٨) قال ابن سلامة: (فنسخ الله بعضَ أحكامِها منَ اليهوديات والنصرانيات في الآية التي في سورة المائدة ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [سورة المائدة / ٥] . ابن سلامة : ٨٥ ، وانظر : ابن حزم : ٢٩ ، ومكي : ١٦٩ ، وقال : (والظاهر في هذه الآية أنها محكمة ... قاله قتادة وابنُ جُبَيْر) .

(٩) في م : (وقد غلط مَن سَمَّاه نسخاً) ، وقال ابن حزم : ٢٩ : (هذه الآية جميعها محكم إلا كلاماً في وسطها وهو قوله تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨] وناسخها قوله تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩]) ، وهذا قول قتادة وابن جبير ، انظر : مكي : ٦٩ .

ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1] فإنّه عام[2] خصّ[3] من عمومه الحاملَ والآيسةَ والصغيرةَ[4] على وجهِ النسخِ .

- الآية الحادية والعشرون : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[5] . قال المفسِّرون: كان أهل الجاهلية[6] إذا ماتَ أحدُهم مكَثَت زوجته[7] في بيتهِ حَوْلاً ينفق عليها من ميراثه[8] فأمرهم الشرعُ[9] بهذهِ الآيةِ على مُكْثِ الحَوْل ثمَّ نسخها بقول[10] : ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[11] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨ .

(٢) (فإنه) ليست في م .

(٣) كلمة (عمومها) : ليست في م ، والقول بتخصيصها قول قَتادة وابن جبير.

(٤) في م : (الصغير) ، والصواب ما أثبت .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠ .

(٦) في م : (كانت الجاهلية) .

(٧) في م (تمكث زوجة المتوفى) .

(٨) **الناسخ والمنسوخ** لابن سلامة : ٩٣.

(٩) كلمة (الشرع) ليست في م .

(١٠) ليست في م .

(١١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ . قال مكي : وهذا ممّا تقدّم فيه الناسخ على المنسوخ في رتبة التأليف للقرآن، وحقّ الناسخ في النظر أنْ يأتي بعد المنسوخ) . **الإيضاح**: ١٨٣ .
وقال ابن سلامة : (... وليس في كتاب الله تعالى ناسخة والمنسوخ قبلها إلاّ هذه الآية ، وآية أخرى في سورة الأحزاب وهي قوله تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد) الآية .
وقال مكي : (... وقال ابن مسعود : إنّ قوله تعالى : (يتربّصن) نسخ منه الحوامل بقوله : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) . والذي عليه أهل النظر أنه تخصيص وبيان بأن آية البقرة في غير الحوامل، والمعنى : ويذرون أزواجاً غير حوامل يتربّصن بعدهم أربعة أشهر وعشراً) . **الإيضاح** : ١٨٤ ، وانظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ٣٠ ، **والناسخ** للبارزي: ٢٧ .

- الآية الثانية والعشرون : قوله تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١]. اختلفَ العلماءُ[٢] فيهِ فقالَ قومٌ : هوَ من العامِّ المَخصوصِ[٣] فإنَّهُ[٤] خُصَّ منهُ أهلُ الكتابِ[٥] فَعلى هذا هو مُحْكَمٌ[٦] .

و قال[٧] آخرون : بل نزلت قبلَ الأمرِ بالقتالِ ، ثمَّ نسخ بآيةِ السيفِ[٨].

- الآية الثالثة والعشرون : قوله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[٩] ذهبَ جماعةٌ من المفسِّرين[١٠] إلى أنّها نسخت[١١] بقوله تعالى : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١٢] . وقال ابن عبّاس : نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها[١٣] . وقال مجاهد[١٤] : في الشك واليقين ، فعلى هذا الآية محكمة[١٥] ويؤكِّده أنَّ الآية خبَر .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .
(٢) في م : (اختلفوا فيه) .
(٣) في م : (المخصَّص) .
(٤) (فإنّه) ليست في م .
(٥) مكي : ١٩٣.
(٦) هذا رأي عبد الله بن عباس ، قال مكي : (وهو الأظهر فيها) . انظر : **الإيضاح** : ١٩٣.
(٧) في م : (وقيل ...) .
(٨) **الناسخ** لابن حزم : ٣٠ .
(٩) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤ .
(١٠) منهم ابن عباس، وينظر من أجل تفصيل الآراء فيها . **الجامع لأحكام القرآن** ٣: ٤٢١ - ٤٢٣ .
(١١) (ذهب ... أنها) : ليست في م ، وفيها : (قيل) .
(١٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ ، و انظر : **الناسخ** لابن سلامة : ١٠١ .
(١٣) وهو قول عكرمة أيضاً . انظر : **الإيضاح** لمكي : ٢٠٠ .
(١٤) **الجامع لأحكام القرآن** ٣ : ٤٢١.
(١٥) وهو رأي ابن مسعود أيضاً . **الإيضاح** : ٢٠٠ .

بابُ ذكرِ ما في سورةِ آل عِمْران

- الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا[١] فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾[٢] . قالوا : هي منسوخةٌ بآيةِ السيفِ[٣] ، إلاّ أنَّ بعضهم يقول : إنَّما[٤] نزلت تَسكيناً لجأشِه صلَّى الله عليه، فإنَّه كان يزعج[٥] نفسَه[٦] في الحرصِ على إيمانِهم ، فقيل[٧] : إنَّما عليكَ البلاغ لا أنْ تسوقَ[٨] قلوبَهم إلى الصَّلاح ، فالآيةُ على هذا محكمة .

- الآية الثانية : ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[٩] . ذهبَ قومٌ إلى أنَّ[١٠] المُرادَ بالآيةِ اتقاء المشركين أنْ يوقعوا فتنةً أو ما يوجبُ القتلَ والفرقةَ[١١] ، ثم نُسخَ ذلك بآيةِ السيفِ[١٢]، وليسَ هذا بشيءٍ وإنَّما المرادُ جوازُ اتقائِهم[١٣] إذا أَكْرهوا المؤمنين على الكفر بالقَوْل الذي لا يعتقدونه[١٤] وهذا الحكمُ باقٍ لم ينسخ[١٥] .

---

(١) في م : (وإنْ) ، والتصحيح عن المصحف الشريف .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ٣٠ ، والبارزي : ٢٧ .

(٤) في م : (إنها ...) .

(٥) في م : (يزعم) ، ولا وجه لقراءة الكلمة على هذا النحوْ .

(٦) ليست في م .

(٧) في م : (فقيل له) .

(٨) في م : (تشوق) .

(٩) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ ، وانظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة : ١٠٣ .

(١٠) في م : (قيل) بدلاً من : (ذهب قوم إلى) .

(١١) في م (فالفرقة) ولا وجه لها .

(١٢) انظر : الناسخ في القرآن لابن البارزي : ٢٧ ، وابن سلامة : ١٠٣ .

(١٣) في م : (تقواهم) .

(١٤) في م : (يعتقد) .

(١٥) في م (غير منسوخ) .

- الآية الثالثة : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته ﴾[١] . ذهبَ كثيرٌ من المفسّرين[٢] إلى أنّها نُسخت بقوله تعالى[٣] : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٤] . والصحيح أنها محكمة[٥] وأنَّ قوله[٦] : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ بيانٌ لحقِّ تُقاته ، فإنَّ القومَ قالوا[٧]: إنَّ ﴿ حَقَّ تُقَاته ﴾ ما لا يُطاقُ فإنَّ الإشكالَ[٨] بقوله : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٩] (ولو قال[١٠]) : لا يتّقوه حقّ تقاته كان نسخاً .

باب ذكر ما في سورة النساء من ذلك

- الآية الأولى : ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ[١١] بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١٢] . (روى عطاء

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٢) هذا رأي قتادة ، وبه قال الربيع بن أنس ، والسُّدِّي ، وابن زيد . انظر : الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٤١ ، والإيضاح : ٢٠٣ ، وابن البارزي : ٢٨.

(٣) (تعالى) : ليست في م .

(٤) سورة التغابن ، الآية : ١٦ .

(٥) قال مكي : (أكثر العلماء على أنه محكم لا نسخ فيه ، لأن الأمر بتقوى الله لا ينسخ . والآيتان ترجعان إلى معنى واحد ... وهذا القول حسن ، لأنّ معنى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : اتقوه بغاية الطاقة ، فهو قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ... وهذا كله لا ينسخ ولا يحسن فيه ذلك) . الإيضاح : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٦) (قوله) : ليست في م .

(٧) (قالوا) : ليست في م .

(٨) في م : (فزال الإشكال) .

(٩) (بقوله : ما استطعتم) ليست في م .

(١٠) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

(١١) مطموسة في الأصل ، والتكملة من المصحف الشريف .

(١٢) سورة النساء ، الآية : ٦ . وانظر الناسخ لابن حزم : ٣٢.

الخُراسانيُّ عن ابن عبّاس[1] ، قال نسخها : ﴿ إنَّ الَّذينَ[2] يأْكُلُونَ أمْوالَ الْيَتامَىٰ ظُلْمًا ﴾[3] وهذا[4] مقتضى قول أبي حنيفةَ رحمه الله . أعني النسخَ[5] لأنَّ[6] المشهورَ عنه أنه لا يُجوزُ للوصيِّ الأخذُ منْ مالِ اليتيم بحال .

- الآيـة الثـانيـة : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[7] .

ذهبَ جماعةٌ إلى إحكامها[8] ثمَّ اختلفوا في الأمر المذكور فيها ، فذهب أكثرُهم إلى أنَّه على سبيلِ الاستحباب[9] وهو الصحيحُ[10] . وذهبَ[11] بعضُهم إلى أنَّه على الوجوبِ . وقال آخرونَ : الآية منسوخةٌ[12] بآيةِ الميراثِ[13] .

---

(١) وهو قول زيد بن أسلم أيضاً ، وقال جماعة من العلماء : هي محكمة غير منسوخة . انظر : **الإيضاح** : ٢٠٨.

(٢) (روى ... الذين) : مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٠ .

(٤) في م : (وهذا يقتضي) .

(٥) جملة (أعني النسخ) : ليست في م .

(٦) في م : (أنّ) .

(٧) سورة النساء ، الآية : ٨ ، وانظر فيها : **الناسخ** لقتادة : ٤٢ ، والزهري : ١٨ .

(٨) من هؤلاء : ابن جبير ومجاهد وعطاء ، وهو مرويٌّ عن ابن عبّاس أيضاً . انظر : **الإيضاح** : ٢١٠.

(٩) **الإيضاح** : ٢١٠ .

(١٠) قال مكي : (هذا هو الصواب إن شاء الله ، وهو مذهب مالك وأكثر العلماء ، فالآية محكمة على الندب والترغيب غير منسوخة) . **الإيضاح** : ٢١٠.

(١١) كلمة (بعضهم) : ليست في م .

(١٢) في م : (وقال آخرون : نسختها آية الميراث) .

(١٣) وهو قول ابن عباس والضحّاك والسدّي وعكرمة . انظر : **الإيضاح** : ٢١٠ .

– الآية الثالثة والرابعة : ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ﴾[١] وقوله : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾[٢] . أما الآيةُ الأولى[٣] فإنّها دلّت على أنَّ حدَّ الزانية كانَ في أول الإسلام[٤] الحبس إلى أنْ تموتَ أو يجعلَ الله لها سبيلاً ، وهو عامٌّ في البكرِ والثيّب . والآية[٥] الثانية اقتضَت[٦] أنَّ حدَّ الزانيين الأذى ، فظهرَ من الآيتين أنّ حدَّ المرأة كان الحبسَ والأذى جميعاً[٧] ، وحدُّ الرجل كان الأذى فقط فنسخ[٨] الحكمان بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[٩] .

– الآية الخامسة : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[١٠] . كان الرجلُ في الجاهليَّةِ يُعَاقد الرجل على أن يتوارثا[١١] ويتناصرا ويتعاقلا في الجناية فجاءت هذه الآية فقررت ذلك ، نُسِخَتْ بآيةِ[١٢] المواريثِ[١٣] ، وهذا قولُ عامَّةِ العلماء .. وقال أبو حَنيفة،

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٦.

(٣) في م : (فالأولى) .

(٤) (كان في أول الإسلام) : ليست في م .

(٥) ليست في م .

(٦) في م : (أفضت) والصواب ما أثبت .

(٧) قتادة : ٤٢ ، والزهري : ١٨ ، وسلامة : ١١٨ ، وابن حزم : ٣٢ ، ومكي : ٢١٣ ، والبارزي : ٢٩، وقال مكي : (قال قتادة : نسخ الله ذلك بالحدود في سورة النور ... وهذا يدل على أن هذه الآية في البكرين ، والأولى في المحصنين ، وهو قول الطبري) . مكي : ٢١٥ .

(٨) في م : (ونسخ) .

(٩) سورة النور ، الآية : ٢ .

(١٠) سورة النساء ، الآية : ٣٣ .

(١١) قتادة : ٤٣ ، والزهري : ١٩ ، وابن حزم : ٣٤ ، ومكي : ٢٢٧ ، والبارزي : ٣٠ .

(١٢) ليست في م .

(١٣) هذا قول ابن عباس ، انظر : مكي : ٢٢٧ ، وقيل الآية محكمة غير منسوخة ، وقال مكي : (إنما نزلت هذه الآية في الذين يتبنّون غير أبنائهم ويورثونهم فنسخ الله ذلك بقوله : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [سورة الأنفال ،الآية : ٧٥]).

رحمه الله : هذا الحكمُ ليسَ بمنسوخ إلاّ أنَّهُ جعلَ ذوي الأرحامِ أَوْلى من موالي[1] المعاقدة ، فإذا فقد ذوو الأرحام[2] ورثوا وكانوا أحق به من بيت المال[3].

- الآية السادسة : ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾[4] . قال المفسِّرون : هذه الآية اقتضت إباحةَ السُّكْرِ في غيرِ أوقاتِ الصلاةِ ثم نُسخَ ذلك بقوله تعالى [5] : ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[6] .

- الآية السابعة : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾[7] . قال المفسِّرون : فيه تقديم وتأخير[8] تقديره[9] : وعظهم فإن امتنعوا عن الإجابة فأعرِض عنهم . وهذا كان[10] قبلَ الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف[11] .

- الآية الثامنة : ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[12] . وقد زعمَ[13] قوم

---

(١) ليست في م .

(٢) في م : (فالعاقد أحق من بيت المال) بدلاً من عبارة) فإذا فقدَ ذوو الأرحام) .

(٣) انظر تفصيل الآراء في الإيضاح لمكي : ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤٣.

(٥) (تعالى) : ليست في م .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ .

(٧) سورة النساء ، الآية : ٦٣ .

(٨) ابن سلامة : ١٣٥ .

(٩) في م : (وتقدير) ، والصواب ما أثبت .

(١٠) (كان) : ليست في م .

(١١) الزهري : ٢٨ ، وابن حزم : ٣٤ .

(١٢) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(١٣) (قد) : ليست في م .

أنَّها نُسِخَت بآية السيفِ[١] وليسَ بصحيح ، لأنَّ ابن عباس قال في تفسيرها : (ما أرسلناكَ رقيباً تؤخَذ بهم) فعلى هذا لا نسخٌ .

- الآية التاسعة : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[٢]. قالَ المفسِّرون : معْنى الكلامِ أَعْرِض عنْ عقوبَتِهم ثم نُسخ هذا الإعراض عنهم بآية السيفِ[٣] .

- الآية العاشرة: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾[٤] المراد بقوله : (يَصِلون) : يدخلون[٥]في عَهْدِ قومٍ بينَكم وبينَهم ميثاقٌ : كدخول خُزاعةَ في عَهْد رسول الله ﷺ ، ثمّ نُسخ ذلك بآية السيفِ[٦] .

- الآية الحادية عشرة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[٧]. ذهب الأكثرونَ[٨]

---

(١) الزهري : ٣٤ ، وابن حزم : ٣٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨١.

(٣) ابن حزم : ٣٤ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٩٠ .

(٥) قال مكي : (معنى يصلون : ينتسبون وينتمون) . الإيضاح : ٢٣٠ .

(٦) مكي : ٢٣٠ ، وابن سلامة : ١٤٠ ، وابن حزم : ٣٤ ، والبارزي : ٢٨ .

(٧) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

(٨) جعلها عبد الله بن عمر وابن عباس محكمة . قال ابن سلامة : ١٤٢ : (والدليل على هذا تكاثف الوعيد فيها . وروى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه ناظر ابن عباس فقال : من أين لك أنها محكمة ؟ فقال ابن عباس : تكاثف الوعيد فيها . فقال علي – كرم الله وجهه – : نسخها الله تعالى بآيتين ، آية قبلها وآية بعدها في النظم . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ . وبآية بعدها في النظم وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ . وقال المفسّرون : ونسخها الله تعالى بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ . ثم استثنى بقوله : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ ﴾ : انظر : ابن سلامة : ١٤٣ – ١٤٥ .

إلى أنَّها منسوخةٌ بقوله تعالى[1] : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[2] ، وقال قومٌ : هي محكمة[3] ولهمْ في طريقِ إحْكامها قولان : أحدهما : أنَّ قاتلَ المؤمنِ مخلَّدٌ في النار، وأكَّدوا هذا بأنَّها خبرٌ[4] . والثاني أنّها عامة دخَلها التخصيصُ بدليلِ أنَّه لو قَتَلَهُ كافر ثمَّ أسلم الكافرُ[5] سقطتْ عنهُ العقوبةُ في الدنيا والآخرة ، فإذا ثبتَ كونها من العامِّ المخصَّصِ ، فأيُّ دليل صلح للتخصيصِ وجبَ العملُ بهِ ، ومن أسباب التخصيص أنْ يكونَ قتلُه[6] مستحلاً[7] لأجلِ إيمانِه فاستحقَّ التخليد لاستحلاله[8] . وذهبَ (قومٌ) إلى أنّها مخصوصةٌ في حقِّ مَنْ لم يَتُبْ . وقال بعضهم[9]: فجزاؤُهُ جهنّم[10] إن جازاهُ[11] ، وفي هذا[12] بُعد لقوله[13] تعالى: ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾[14] .

---

(١) ليست في م .

(٢) سورة النساء ، الآيتان : ٤٨ ، ١١٦ .

(٣) مكي : ٢٣٤ ، والبارزي : ٣١ .

(٤) في م : (وأكدوا هنا) ، والصواب ما أثبت .

(٥) ليست في م .

(٦) (قد) : ليست في م .

(٧) **الإيضاح**: ٢٣٤ .

(٨) النحاس : ١٠٦.

(٩) في م : (وقيل) .

(١٠) وهو قول إبراهيم التيمي وابن جبير وابن عباس . انظر : **الإيضاح** : ٢٣٣ .

(١١) النحاس : ١٠٦ .

(١٢) في م : (ومن) .

(١٣) ليست في م .

(١٤) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

باب ذكر ما في سورة المائدة من ذلك

- الآية الأولى: ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾[1]. ذهبَ بعضهم إلى إحكامها[2] وقالوا: لا يجوزُ استحلالُ الشعائرِ ولا الهَدْيِ قبلَ أوانِ ذبحِهِ. وقال آخرونَ منهم[3]: كانتِ الجاهليَّةُ تقلِّدُ من (شَجَر[4]) الحرم فقيل لهم[5]: لا تستَحِلُّوا أخذَ القلائدِ منَ الحرمِ ولا تصدُّوا القاصدينَ إلى البيتِ. وذهب آخرونَ إلى أنّها منسوخة[6]، ثمَّ لهم في المنسوخ منها ثلاثة أقوال: أولها[7] أنه قوله[8]: ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾، فنسخ بقوله[9]: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[10]. والثاني: أنّه[11]؛ تحريمُ[12] الشهرِ الحرام وتحريمُ الآمِّين البيت إذا كانوا مشركين وهَدْي المشركين إذا لم يكن لهمْ من المسلمين[13] أمان، والثالث: أنّ جميعها منسوخ،

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) ابن سلامة: ١٤٦، والنحاس: ١١١، ومن القائلين بإحكامها أبو ميسرة. انظر: النحاس: ١١١، ومكي: ٢٥٧.

(٣) مطموسة في الأصل.

(٤) النحاس: ١١١، ومكي: ٢٥٦.

(٥) ليست في م.

(٦) انظر: قتادة: ٤٤.

(٧) هذا رأي ابن سلامة.

(٨) (أنه قوله): ليست في م.

(٩) في م: (فنسخ في المشركين بقوله)، ولا وجه لهذا التقديم.

(١٠) سورة التوبة، الآية: ٢٨، وانظر: ابن سلامة: ١٤٧.

(١١) في م: (الآية).

(١٢) في م: (تحرّم) ولا وجه لها في الموضعين.

(١٣) ليست في م.

هكذا أطلق القولَ جماعةٌ[1] وليس بصحيح ، فإنّ قوله : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾[2] ، وقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾[3] إلى آخرها لا وجهَ[4] لنسخه[5].

– الآية الثانية : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾[6] . للعلماء فيها[7] ثلاثةُ أقوال[8] : أحدها[9] : أنّها اقتضت إباحةَ ذبائح أهل الكتاب على الإطلاق وإنْ عَلمنا أنّهم أهلّوا عليها بغير اسمِ الله أو أَشركوا[10] به غيرَه ، وهذا[11] قول الشّعبيَ وأحمد[12] . والثاني : أنّ ذلكَ كانَ مُباحاً في أولِ الأمر [13] ثم نُسخ بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[14] . والثالث : أنّه إنّما[15] أُبيحَتْ ذبائحُهم ؛ لأنّ

---

(١) في م : (أطلقه جماعة) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢ ، وفي م : (فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قومٍ أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ...) .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(٤) في م : (فلا وجه له) .

(٥) قال ابن سلامة : ١٤٧ (إلى قوله : (رضواناً) هذا منسوخ وباقي الآية محكم ، نسخ المنسوخ منها بآية السيف) .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٥ .

(٧) (للعلماء فيها) : ليست في م .

(٨) النحاس : ١١٢ .

(٩) في م : (إحداها) .

(١٠) في م : (وأشركوا) .

(١١) في م : (هذا) .

(١٢) في م : (آخرين) .

(١٣) في م : (الإسلام) .

(١٤) سورة الأنعام، الآية : ١٢١ . وذكر النحاس أن هذه الآية منسوخة بالسيف . النحاس : ١١٢ .

(١٥) (أنّه) : ليست في م .

الإهْلالَ أنَّهم يذْكُرونَ اسمَ الله عليها (فمتى[١]) عُلِمَ أنَّهم قد ذكروا اسم غيره لم يؤكل[٢] فعلى هذه الآية محكمة[٣] .

- الآية الثالثة : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾[٤] . الأكثرونَ على أنّها منسوخةٌ[٥] بآية السّيفِ[٦] . وقال ابنُ جرير : يجوزُ أنْ يُعفى عنهم في غَدْرة[٧] فعلوها ما لم يَنصِبوا[٨] حَرباً ولم يمتنعوا من أداءِ الجزيةِ فلا يتوجَّه النسخُ[٩] .

- الآية الرابعة : ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[١٠] . هذه الآية اقتضتْ تخييرَه بينَ الحُكمِ وتركه[١١] . (قيل[١٢]) وهل هذا التخييرُ ثابتٌ أم نُسِخ ؟ فيه قولان :

---

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) هذا قول عائشة وعلي وطاوس والحسن . انظر : النحاس : ١١٣ ، ومكي : ٢٦١.

(٣) مكي : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٥٨ ، والناسخ للنحاس : ١١٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٣ .

(٥) في م : (نسخها) بدلاً من (أنها منسوخة) .

(٦) هذا قول ابن عباس ، وجعلها قتادة منسوخة بقوله : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [سورة التوبة / ٢٩] . وينظر ابن حزم : ٣٩ ، وابن سلامة : ٤١ ، والنحاس : ١٢٣ ، ومكي : ٢٦٩ ، ٢٧١ ، والبارزي : ٣١ .

(٧) مطموسة في الأصل ، والتكملة عن م .

(٨) في م : (نصبوا) والصواب : (ما لم ينصبوا) ، أي : ما لم يعلنوا .

(٩) مكي : ٢٦٩ ، وتفسير الطبري ٦ : ١٥٨ ، و ابن كثير ٢ : ٣٣ .

(١٠) سورة المائدة ، الآية : ٤٢ ، وانظر : ابن حزم : ٣٦ ، وقتادة : ٤٤ ، وابن سلامة : ١٥١ ، وقال ابن سلامة : (اختلف المفسّرون على وجهين ، فقال الحسن البصري والنخعي : هي محكمة خُيِّر بين الحكم والإعراض . وقال مجاهد وسعيد : تنسخها الآية التي بعدها : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة / ٤٩] .

(١١) هذا قول الشعبي وإبراهيم النخعي : انظر : النحاس : ١٢٣ .

(١٢) مطموسة في الأصل .

أحدهما : (الحُكمُ) أنّه نُسِخ بقوله[1] : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[2] ، وهذا مذهبُ ابن عبّاس[3] وعَطَاء وعِكْرمة والسُّدي[4] . والثاني : أنّه ثابتٌ لم يُنْسَخ، وأنَّ الإمامَ ونوّابَهُ في الحُكمِ إذا ترافَعوا إليه إن شاؤوا حكَموا وإن شاؤوا أَعْرضوا[5]، فإنْ حكَموا حكموا بالصواب .

- الآية الخامسة : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾[6] فيها قولان[7] : أحدهما: أنّها محكمة[8] والمُرادُ أنّه إنّما عليه البلاغُ لا الهَدْي . والثاني[9] : أنّها تتضمّن الاقتصارَ على التبليغ دونَ الأمرِ بالقتالِ ثم نُسِخَت بآية السيفِ[10]، والأوّل أصحّ[11].

- الآية السادسة : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[12] ، فيها قولان : أَحدُهما : أنّها تضمّنت الأمرَ بكَفِّ الأيدي عن قتالِ الضالّين فنُسِخَت بآيةِ السيفِ .

(١) مطموسة في الأصل .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٩ .
(٣) النحاس : ١٢١.
(٤) وبذلك قال الزهري ومالك بن أنس ، وبه قال الكوفيون وهو أحد قولي الشافعي وعمر بن عبد العزيز . انظر النحاس : ١٢٣ ، ومكي : ٢٧٢ .
(٥) النحاس : ١٢٣ ، ومكي : ٢٧٢ .
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٩٩ ، وانظر : ابن حزم : ٣٦ .
(٧) ابن سلامة : ١٥٢ .
(٨) في م : (قيل : هي محكمة) .
(٩) في م : (و قيل) .
(١٠) ابن سلامة : ١٥١.
(١١) ابن حزم : ٣٩٥ .
(١٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .

والثاني : أنّها محكمة لأنّها لا تمنع من قتالِ المشركين ، وهذا الصحيح[١] .

- الآية السابعة : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾[٢]. الإشارة بهذا إلى الشاهدين اللذين يشهدان[٣] على الوصيِّ في السفر ، وفي قوله :﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾[٤] ، قولان : أحدهما : منْ غير عشيرَتِكم[٥] وقبيلتكم[٦] وهمْ مسلمون[٧] أيضاً . فعلى هذا فالآية محكمة ،

(١) قال ابن سلامة : قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ منسوخ وباقيها محكم . وقال أبو عبد الله القاسم بن سلامة أبو المؤلف : ليس في كتاب الله آية جمعت الناسخ والمنسوخ إلا هذه الآية . وقال الشيخ أبو القاسم ، رحمه الله : هذه وغيرها... والناسخ منها قوله : (إذا اهتديتم) ، والهدى ههنا : الأمر بالمعروف) . ابن سلامة : ١٥٣ - ١٥٤. وجعل ابن حزم آخرها نسخاً أولاً ، والناسخ : (إذا اهتديتم) . وقال مكي : (ولكن الاختلاف في معنى هذه الآية ، حتى قيل : إنها منسوخةٌ بالأمر بالمعروف ... وأكثر أقوال الناس على أنها محكمة) . مكي : ٢٧٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٦، وجعلها ابن سلامة محكمة. انظر الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ١٥٥.

(٣) في م : (شهدا) .

(٤) هذا الجزء هو الناسخ عند ابن سلامة ، وما قبله محكم ، انظر : ابن سلامة : ١٥٥ ، وقال النحاس : (اختلف العلماء في (أو) هنا ، فمنهم من قال (أو) هنا للتعقيب ، أو أنه إذا وجد اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين لم يجز له أن يشهد كافرين ، وهذا قول يروى عن سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وإبراهيم ، وقتادة . ومنهم من قال : (أو) هنا للتخيير ، لأنها إنما هي وصية ، وقد يكون الموصي يرى أن يسند إلى وصية كافرين أو أجنبيين .. وهذا القول هو القول الظاهر البين وكذا هو في اللغة ... وفي الكلام حذف مستدل عليه ، أي : إن أنتم سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت وقد أسندتم وصيتكم إلى اثنين ذوي عدل منكم أو آخرين من غيركم . فإن ارتبتم تحبسونهما من بعد الصلاة ...) ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) النحاس : ١٢٦ .

(٦) (وقبيلتكم) : ليست في م .

(٧) مكي : ٢٧٦.

والثاني من غير أهل[١] ملتكم[٢] وهل هذا الحكمُ باقٍ ؟ عندنا أنّه باقٍ لم يُنسخ ، وهو قول ابن عبّاس و ابن المسيّب وابن سيرين والشعبي والثوري[٣] . والثاني[٤] : أنّه منسوخ[٥] بقوله تعالى[٦] : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[٧] ، وإليه يميل[٨] أبو حَنيفة رحمه الله (ومالك[٩]) والشافعي[١٠]. ونحن نقول : هذا موضع ضرورةٍ فجازَ فيه ما لا يجوزُ في غيرهِ لقبولِ شهادةِ النساءِ[١١] بالنفاسِ والحَيْضِ والاستهلالِ[١٢] .

باب ذكر ما في سورة الأنعام

من ذلك : الآية الأولى : قوله تعالى[١٣] : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

(١) (أهل) : ليست في م .

(٢) مكي : ٢٧٦ .

(٣) النحاس : ١٢٦ ، ومكي : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٤) ابن سلامة : ١٥٦ .

(٥) ابن سلامة : ١٥٦ .

(٦) (تعالى) : ليست في م .

(٧) سورة الطلاق ، الآية : ٢.

(٨) في م : (مال) .

(٩) زيادة عن م .

(١٠) النحاس : ١٢٦.

(١١) في م : (الشهادة من النساء) .

(١٢) القول بإحكامها قول الزهري والحسن وعكرمة ، وأضافه بعض الناس إلى مالك والشافعي ولم ينقل مكي نسخها . انظر : مكي : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ابن سلامة ٢ : ٤٢ ، والنحاس : ١٣١ ، ٧: ١٠٠ .

(١٣) (قوله تعالى) : ليست في م .

عَظِيمٍ﴾[1] زعم بعضُ[2] ناقلي التفسير أنّه كان على النبي[3] ﷺ أنْ يخافَ[4] عواقبَ الذنوبِ ثم نسخ ذلك بقوله[5] تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[6] الظاهرُ منْ هذه المعاصي أنها الشركُ لأنّها جاءت في عقب[7] قوله : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[8] . فإذا قدّرنا العفوَ عن ذنب[9] إذا كان لم تقدر المسامحة في شرك لو تصوّر ، إلاّ أنّه ما لم يَجُزْ[10] في حقّه بقيَ ذكرُهُ على سبيلِ التهديدِ والتخويفِ من عاقبته ، كقوله : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[11]، فعلى هذا الآية محكمة، ويؤكّده[12] أنها خبر[13] ، والأخبارُ لا تُنسَخ[14].

- الآية الثانية : ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[15] ، فيه قولان ، أحدهما : أنه

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥.

(٢) في م : (زعم بعضهم).

(٣) (أنه كان يجب على النبي) .

(٤) في م : (خوف) .

(٥) ما بين قوسين ليس في م .

(٦) سورة الفتح ، الآية : ٢ ، وهذا هو قول ابن سلامة : ١٦١.

(٧) في م : (عقب) .

(٨) سورة الأنعام ، الآية : ١٤ .

(٩) في م : (من) .

(١٠) في م : (لم يجزه) ولا وجه له .

(١١) سورة الزمر ، الآية : ٦٥.

(١٢) في م : (توكيده ، والصواب ما أثبت .

(١٣) في م : (أنها خبرية) .

(١٤) ابن سلامة : ٤٤٠ ، و العتائقي.

(١٥) سورة الأنعام ، الآية : ٦٦.

اقتضى(١) الاقتصارَ في حقِّهم على الإنذارِ منْ غيرِ زيادة (٢) ، ثم نُسخ بآية السيف(٣) . والثاني : أنّ معناهُ : لستُ حفيظاً عليكم(٤)، إنّما أطالبكم بالظواهرِ من الإقرارِ والعمل لا بالأسرار فعلى هذا هو محكم(٥). وهذا(٦) هو الصحيح ، و يؤكّده(٧) أنه خبر(٨) .

- الآية الثالثة : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾(٩) ، المُرادُ بهذا الخَوضِ : الخوض بالتكذيبِ ، يشبهُ أن يكون الإعراضُ المذكورُ هاهنا منسوخاً بآية السيف(١٠) .

- الآية الرابعة : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، فيه قولان(١١): أحدهما: أنّه اقتضى المسامحةَ لهم والإعراضَ عنهم ، ثم نُسخَ بآية السيفِ(١٢). والثاني : أنّه

---

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) النحاس : ١٣١.

(٣) ابن سلامة : ١٦٢ ، والنحاس : ١٣١ ، ومكي : ٢٨١ ، والبارزي : ٣٣ ، وهذا القول لابن عباس.

(٤) في م : (لست عليكم حفيظاً) .

(٥) وبه قال مكي : ٢٨١ .

(٦) (وهذا) : ليست في م .

(٧) في م : (وتوكيده) .

(٨) النحاس : ١٣١ ، وقال : (وهذا خبر لا يجوز أن ينسخ ، ومعنى وكيل : حفيظ ، والنبي ﷺ ليس عليهم حفيظاً ، إنما عليه أن ينذرهم وعقابهم على الله) .

(٩) سورة الأنعام ، الآية : ٦٨ .

(١٠) جعل كلٌّ من ابن سلامة : ١٦٢ ، والنحاس : ١٣٢ ، وابن حزم : ٣٧ ، ناسخها قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [النساء : ١٤٠] .

(١١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٠ .

(١٢) قتادة : ٤٥ ، ابن سلامة : ٦٣ ، والنحاس : ١٣٢ ، ومكي : ٢٨٢ ، والبارزي : ٣٣ ، والقول بنسخها بآية السيف هو قول قتادة .

خرج مخرجَ التهديد[1] ، كقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[2] ، فعَلى هذا هو محكم وهوَ الصحيح[3] .

- الآية الخامسة : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾[4] ، فيه قولان : أحدهما : أنه أمرٌ بالإعراضِ عنهم ثمّ نُسخَ بآية السيف[5] ، والثاني : أنّه تهديدٌ فهوَ مُحكم ، وهذا أصحُّ .

- الآية السادسة : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[6] .

فيها قولان : أحدهما : أنّ هذه الآيةَ تتضمّن[7] تركَ قتالِ الكفّار[8] ثم نُسخت بآية السيف[9] . والثاني[10]. : أنّ المعنى لستُ عليكم رقيباً أُحصي أعمالَكُم فهي على[11] هذا مُحكَمة .

---

(١) قال أبو جعفر : هذا ليس بخبر وهو يحتمل النسخ ، غير أن البين فيه ليس بمنسوخ ، وأنه على معنى التهديد لمن أراد فعل هذا ، أي ذَرْه فإنَّ الله مطالبُه ومعاقبُه .

(٢) سورة المدثر ، الآية : ١١ . مكي : ٢٨٣.

(٣) النحاس : ١٣٧.

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ . ابن سلامة : ٦٣ ، والنحاس : ١٣٢.

(٥) هذا قول ابن سلامة : ١٦٤ ، وابن حزم : ٣٧ ، والبارزي : ٣٢ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٤ .

(٧) في م : (تضمنت) .

(٨) في م : (المشركين) .

(٩) ابن سلامة : ١٦٤ ، وابن حزم : ٣٧ ، والبارزي : ٣٢ .

(١٠) في م : (وقيل : المعنى) ، بدلاً من كلمة (الثاني) .

(١١) في م : (فعلى هذا هي محكمة) .

- الآية السابعة : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] . قال ابن عباس: نُسِخت بآية السيف[2] .

- الآية الثامنة : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[3] ، قال ابن عباس : نُسِخت بآية السيف[4] . وعلى ما ذكرنا في نظائرها تكونُ محكمة .

- الآية التاسعة : ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[5] : إن قُلنا : هذا تهديدٌ ، فهوَ مُحكَم، وإنْ قُلنا : إنّه أمرٌ بتركِ قتالهم فهو منسوخٌ بآية السيفِ[6] .

- الآية العاشرة : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[7] . ذهبَ جماعةٌ منهم الحسنُ[8] وعكرمة[9] إلى أنّها منسوخة[10] بقوله : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾[11] . وهذا غلطٌ لأنّهم إنْ أرادوا النسخَ حقيقةً فليسَ هذا بنسخ[12] ، وإنْ أرادوا التخصيصَ وأنّه خُصَّ بآيةِ المائدةِ طعامَ أهلِ الكتابِ فليسَ بصحيحٍ ؛ لأنّ أهلَ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٦.

(٢) هذا قول ابن عباس ، قال مكي : (أكثر الناس على أنها محكمة) . مكي : ٢٨٦ ، وانظر : النحاس : ١٤٦ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٧ .

(٤) ابن سلامة : ١٦٤ ، ومكي : ٢٨٦ ، وتنوير المقباس : ١٠٧ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢ .

(٦) ابن سلامة : ١٦٦ ، وابن حزم : ٣٨ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١.

(٨) هو الحسن البصري ، وهو يقول بإحكامها . انظر : مكي : ٢٨٧.

(٩) انظر هذا الرأي في تفسير الطبري : ٨/٢١٠ ، ومكي : ٢٨٦ .

(١٠) ابن سلامة : ١٦٧ ، ومكي : ٢٨٦ ، والبارزي : ٣٣ .

(١١) سورة المائدة ، الآية : ٥ ، والطعام ههنا : الذبح .

(١٢) في م: (نسخاً) ، وهذا رأي نقله النحاس عن قوم . انظر النحاس : ١١٢.

الكتابِ يذكرون[١] اسمَ الله على الذبيحة فيُحمل[٢] أمرُهم على ذلك . فإنْ تيَقّنا أنّهم تركوه جازَ أن يكون عن نسيان[٣] ، والنسيانُ لا يَمنَع الحلَّ ، فإنْ تركوا لا عن نسيان لم يجز[٤] الأكل فلا وجه للنسخ . وعلى قول الشافعي هذه الآية[٥] محكمة[٦]، لأنّه إمّا أنْ يُرادَ بها غير[٧] الميتة ويكون نهي كراهية[٨].

- الآية الحادية عشرة : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٩] . للمفسّرين[١٠] فيها قولان : أحدهما : أنّ المُرادَ بها تركُ قتالِ الكفّارِ ، فهي منسوخة بآية السيف[١١] ، والثاني : أنّ المُرادَ بها[١٢] التهديد فعلى[١٣] هذا محكمة، وهو الأصحُّ .

- الآية الثانية عشرة : ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[١٤] . فيه قولان[١٥] : أحدهما أنّه

(١) في م : (ذكروا) .
(٢) في م : (حمل) .
(٣) في م : (أولا عن نسيان) .
(٤) انظر : النحاس : ١١٢ .
(٥) في م : (فعلى) .
(٦) من القائلين بإحكامها الحسن وابن سيرين والشعبي . انظر : مكي : ٢٨٧ .
(٧) في م : (أو) .
(٨) في م : (كراهة) .
(٩) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٥.
(١٠) في م : (فيه) .
(١١) ابن سلامة : ١٦٨ ، وابن حزم : ٣٨ .
(١٢) عبارة : (أن المراد) : ليست في م .
(١٣) في م : (فهي محكمة وهو الأصح) .
(١٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٧ .
(١٥) في م : (قيل : هذا تهديد) .

تهديدٌ ووعيدٌ[1] . فهو محكم ، والثاني أنه[2] اقتضى تركَ قتال المشركين ، فهو منسوخٌ بآية السيف[3] .

– الآية الثالثة عشرة : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[4] . قال عطيَّةُ العوفي[5] : كانوا إذا حصدوا وإذا دِبسَ[6] وإذا غربل أَعْطَوا منه شيئاً[7] فنسخ ذلك العُشْر ونصفُ العُشرِ . قلت[8] : وهذا إن ادُّعيَ أنهُ كان واجباً صحَّ نسخُه بالزكاةِ[9] ، وإنْ قيلَ إنّه مُستَحَبٌ[10] فمحكمة[11] .

---

(١) ابن سلامة : ١٦٨ .

(١) في م : (وقد يقتضي قتال) ، وفيه سقط .

(٣) ابن سلامة : ١٦٨ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٤١.

(٥) عطية العوفي : هو عطية بن سعد بن جنادة العَوفي القيسي الكوفي ، من رجال الحديث . توفي في الكوفة سنة ١١هـ ، الأعلام ٤ : ٢٣٧ .

(٦) في م : (أديس) .

(٧) النحاس : ١٣٤ .

(٨) في م : (وهذا إن كان واجباً) .

(٩) هو وقول ابن جبير وعكرمة والضحّاك .

(١٠) ذكر النحاس في هذه الآية خمسة أقوال ، وهي :

١ – هي منسوخة بالزكاة المفروضة ، وهو قول سعيد بن جبير

٢ – هي منسوخة بالسنَّة بالعُشْر ونصف العشر ، وهو قول ابن عباس ، وبه قال محمد بن الحنفيَّة والسدي.

٣ – نسختها الزكاة المفروضة ، وهو قول أنس وبه قال سعيد بن المسيب وجابر بن زيد ، وعطاء ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وقيل : إنّ هذا قول الشافعي .

٤ – أن يكون في المال حق سوى الزكاة ، وأن معنى ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الأنعام : ١٤١، أن يعطي منه شيئاً سوى الزكاة ، وأن يخلي بين المساكين وبين ما يسقط منه ، وهذا قول جعفر بن محمد وعلي بن الحسين، ومجاهد، ومحمد بن كعب ، وعطية ، وأبي عبيد. ==

- الآية الرابعة عشرة : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا[1] عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾[2] الآية . هذه الآية محكمة[3] وفي وجه إحكامها طريقان ، أحدهما : أنّها حصَرت المحرَمَّ فلا يحرّم[4] سواه[5] . والثاني : أنّها أخبرت عن المحرم منْ جملة ما كانوا يحرِّمونه[6] في الجاهلية[7] ، وقد ادّعى قومٌ نسخَها بآية المائدة ، ورُدَّ هذا عليهم بأنّ جميعَ المذكورين[8] في تلك الآية مَيْتٌ وقد ذكرت الميتة هاهنا . وزعم بعضهم أنها نسخت بالسنّة . فإنّها حرمتْ لحومَ الحُمُر الأهليةِ[9] وكلّ ذي نابٍ من السباعِ ، ومِخلبٍ من الطيرِ ، وهذا لا يصحّ لأنّ السنّة لا تنسخُ القرآنَ ، والصوابُ أنْ يُقالَ : هذه الآية[10] نزلتْ محكمةً[11] ولم تكن الفرائضُ قد تكاملت ، ولا المحرماتُ ،

== ٥ - أن يكون معناه على الندب ، قال النحاس : (هذا القول لا نعرف أحداً من المتقدمين قاله، فإذا تكلّم أحد من المتأخّرين في معنى آية من القرآن قد تقدم كلام المتقدمين فيها فخرج عن قولهم لم يلتفت إلى قوله ، ولم يعدّ خلافاً فبطل هذا) .النحاس ١٣٣ - ١٣٤.

(١١) وممن قال بإحكامها : أبو علي الحسن بن عُليب ، وسفيان الثوري . انظر النحاس : ١٣٤ ، ومكي : ٢٨٤ .

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٥ .

(٣) مكي : ٢٨٨ .

(٤) في م : (فلا محرّم) .

(٥) النحاس : ١٣٦.

(٦) في م : (يحرمون) .

(٧) النحاس : ١٣٦ .

(٨) في م : (المذكور) .

(٩) النحاس : ١٣٦ ، ومكي : ٢٨٨ .

(١٠) كلمة (الآية) : ليست في م .

(١١) في م : (بمكة) ، والصواب ما أثبت بدليل نهاية العبارة .

فأخبرت عن المحرَّمات في الحالةِ الحاضِرةِ ، والحالةِ[١] الماضيةِ ، لا عَن المستقبل ، ودليل[٢] إحكامها أنّها خبر[٣] .

- الآية الخامسة عشرة : ﴿قُلِ انتَظِرُوا[٤] إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٥] ، وقد سبقَ ذكرُ نظائِرها وهل[٦] هي تهديدٌ فتكون محكمة ؟ أو تتضمنَ النهيَ عن قتالِهم فتكونَ منسوخة[٧] ؟

- الآية السادسة عشرة : ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٨] - قال السدِّي لَسْتَ مِنْ قتالِهم في شيء (ثمَّ نُسِخَت بآية السيف[٩]) . وقال غيرُه : ليسَ إليكَ من أمرهم مِنْ شيءٍ [١٠] ، وإنّما أمرهم في (الجزاء إلى الله تعالى[١١]) فعلى هذا تكون محكمة[١٢]) .

---

(١) كلمة (والحالة) : ليست في م .

(٢) في م : (ويؤكّده) .

(٣) النحاس : ١٣٦ .

(٤) في م : (انتظروا) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٨.

(٦) في م : (وقيل) .

(٧) ابن سلامة : ١٦٩ .

(٨) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩ .

(٩) مطموسة في الأصل .

(١٠) في م : (ليس إليك من أمرهم شيء) .

(١١) مطموسة في الأصل .

(١٢) قال النحاس وغيره : (ليس في هذا نسخ لأنه معروف في اللغة أن يقال : لست من فلان ولا هو مني ، إذا كنت مخالفاً له ، منكراً عليه ما هو فيه ، ... وحكى سيبويه : أنت مني فرسخاً مادمنا ، أي ما دمنا نسير فرسخاً) . النحاس : ١٤٠ .

باب ذكر ما في سورة الأعراف[١]

من ذلك : الآية الأولى: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي (أَسْمَائِهِ)[٢] ﴾ قال[٣] ابن زيد[٤]: نسخَها الأمرُ بالقتال[٥] . وقال غيره : هو تهديدٌ لهم وهذا لا يُنسَخ[٦]).

– الآية الثانية : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾[٧] . ذهبَ قومٌ إلى أنّه الزكاةُ فتكونُ محكمة[٨] . وقال آخرون : هي صدقةٌ[٩] كانت تؤخَذ (قبل فرض الزكاة[١٠]) ثم نُسخت بالزكاة . وقال ابن زَيد: المرادُ بذلكَ مُساهلةُ المشركين والعفوُ عنهم ، ثم نُسِخَ بآية السيفِ. وأمّا قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[١١] فقال قومٌ[١٢] : نسخ بآية السيف[١٣] . وقال آخرون[١٤]:

(١) في م : (سورة الأعراف) .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، توفي سنة : ١٨٢هـ . انظر في ترجمته : طبقات ابن سعد : ٤١٣ ، العبر ١ : ٨٢ ، طبقات المفسرين ١ : ٢٦٥.

(٥) ابن حزم : ٣٨ ، ومكي : ٢٩١ .

(٦) مكي : ٢٩١ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

(٨) هذا قول مجاهد ، ومن القائلين بإحكامها القاسم بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن الخطّاب ، وعبد الله وعروة ابنا الزبير . انظر مكي : ٢٩٢ .

(٩) قال به القاسم وسالم .

(١٠) مطموسة في الأصل .

(١١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

(١٢) في م : (قيل) .

(١٣) ابن سلامة : ١٧١ ، و ابن حزم : ٣٨ ، ومكي : ٢٩٣ .

(١٤) في م : (وقيل : المراد) .

أعرضَ عن مقاتلتهم لسفَههم وذلك لا يمنعُ قتالَهم فتكون محكمة[1] .

باب ذكر ما في سورة الأنفال[2]

– الآية الأولى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[3]. قال بعضهم[4] ، نسخها[5] ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾[6] وهذا ليس بصحيحٍ ، لأنّ النسخَ لا يدخلُ على الأخبار[7]، وإنّما تثبتُ[8] هذه الآية الثانية استحقاقَهم للعذاب[9] فأما الأولى تثبت[10]

---

(١) قال ابن سلامة في التعليق على هذه الآية : (... وهذه الآية من أعجب المنسوخ ، لأن أولها منسوخ ، وأوسطها محكم ، وآخرها منسوخ) . ابن سلامة : ١٧٠ . وذكر النحاس في الآية خمسة أقوال : الأول : هي منسوخة بالزكاة المفروضة ، وهذا قول ابن عباس . الثاني : هي منسوخة بالغلظة ، وهو وقول زيد ، فأقام النبي ﷺ بمكة عشر سنين لا يعرض عن أحد ولا يقاتله ، ثم أمر الله أن يقعد لهم كل مرصد وألا يقبل إلا الإسلام . الثالث : العفو : الزكاة ، قال مجاهد : وكان إبراهيم بن عرفة يميل إلى هذا القول ؛ لأن الزكاة يسير من كثير . الرابع: العفو : شيء من المال سوى الزكاة ، وهو قول القاسم وسالم ، قال : هو فضل المال ما كان عن غنى . الخامس : العفو : السهل من أخلاق الناس ، هو قول عبد الله وعروة ابني الزبير . انظر : النحاس : ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) في م : (سورة الأنفال) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٣٣ .

(٤) في م : (قيل) .

(٥) ابن سلام : ١٧٦ ، وابن حزم : ٣٩ ، والبارزي : ٣٤.

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٣٤ ، وفي م : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .

(٧) مكي : ٤٩٨ .

(٨) في م : (بنت) ، ولا وجه له .

(٩) في م : (العذاب) .

(١٠) في م : (فبنت) .

دفعه عنهم لكون الرسول فيهم والمؤمنون[١] يستغفرون، فلا وجه للنسخ[٢].

– الآية الثانية: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[٣] . قال ابن عبّاس[٤]: نسختها: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٥] وقال مجاهد: نسختها[٦] آية السيف[٧]، ومتى[٨] قلنا: إنها نزلت في ترك محاربة أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية ، فهي محكمة[٩] .

– الآية الثالثة : ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾[١٠] ، المعْنى : يقاتلوا مائتين ، ولفظه لفظ الخبر و معناه الأمر ، ثم نسخ بقوله : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ ﴾[١١] الآية[١٢] .

---

(١) في م : (وكون المؤمنين) .

(٢) قال النحاس : (النسخ ههنا محال لأنه خبر خبّر الله به ولا نعلم أحداً روي عنه هذا إلا الحسن وسائر العلماء على أنها محكمة) . النحاس : ١٤٧ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ ، وقال ابن سلامة : (إلى هنا منسوخ ، وباقي الآية محكم) . ابن سلامة : ١٧٩ .

(٤) قال النحاس : (وروي عن ابن عباس أن الناسخ ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ [محمد/ ٣٥] . انظر النحاس : ١٤٩ ، وقتادة : ٢٢ ، ومكي : ٣٠٠ .

(٥) سورة التوبة ، الآية ٢٩ . وينظر : ابن سلامة : ١٧٧ ، وابن حزم : ٣٩ ، ومكي : ٣٠٠ ، والبارزي : ٣٤ .

(٦) في م : (نسخها) .

(٧) وهو رأي قتادة أيضاً . انظر : قتادة : ٤٦ ، ومكي : ٣٠٠ .

(٨) كلمة (متى) ليست في م .

(٩) قال النحاس : ١٤٩ : (القول في أنها منسوخة يمتنع لأنها أمر بالإجابة إلى الصلح والهدية بغير شرط) . وانظر مكي : ٣٠٠ .

(١٠) سورة الأنفال ، الآية : ٦٦ ، وانظر البارزي : ٣٥ .

(١١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٦ .

(١٢) هذا القول مروي عن ابن عباس : انظر : النحاس : ٤٩ ، ومكي : ٣٠١.

- الآية الرابعة : ﴿ وَالَّذِينَ[1] آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾[2] . قال المفسِّرون : كانوا يتوارثون بالهجرة[3] ، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرثُ قريبه المهاجر[4] ، وذلك معنى قوله : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[5] ، فنسخت بقوله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[6] .

باب ذكر ما في سورة التوبة[7]

من ذلك : الآية الأولى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾[8] . زعم بعضهم بنسخها بآية السيف[9] .

باب ذكر ما في سورة يونس[10] من المنسوخ[11]

- الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي[12] عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) كلمة (والذين) : ليست في الأصل .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٧٢ .

(٣) ابن حزم : ٣٩ ، ومكي : ٣٠٤ .

(٤) هذا قول قتادة . انظر : ابن سلامة : ١٧٩ ، والنحاس : ١٥١.

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٧٢ ، الأنفال : ٨ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ ، وهذا قول قتادة وهو مرويٌّ عن ابن عباس . انظر : ٣٠٤ ، والبارزي ٣٥ .

(٧) في م : (سورة التوبة) .

(٨) سورة التوبة ، الآية : ٧ .

(٩) ابن سلامة : ١٨٥ .

(١٠) في م : (سورة يونس) .

(١١) قال النحاس : ١٧٠ : (لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب إلا موضعاً واحداً ... قال الله عز وجل : (واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) .

(١٢) في م : (إني أخاف إن عصيت ربي) .

عَظِيمٍ﴾[1]. قد تكلّمنا على نظيرتها في الأنعام[2] .

- الآية الثانية : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3] . زعمَ قومٌ فيها أنّها نُسخت بآية السيف[4] ، والصحيح أنّها محكمة ، لأنَّ الإيمانَ لا يصحُّ معَ الإكراه، إنّما يُتَصوّر الإكراهُ على النطق .

- الآية الثالثة : ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[5] . قد زعمَ قومٌ أنّها نُسِخت بآية السيفِ[6] ، وقد سبقَ الكلام في نظائرها وأنّه لا وَجهَ لنسخِها .

- الآية الرابعة : ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾[7] . قال بعضُهم : هي منسوخةٌ بآية السيفِ ، وليسَ بصحيح ، لأنّ الأمرَ بالصبرِ إلى غايةٍ[8] ، وما بعدَ الغاية يُخالفُ ما قبلَها على ما بيّنّا في قوله : (فاعفوا واصفَحوا حتى يأتي أمرُ الله)[9] .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٥ .

(٢) قال ابن سلامة : ١٩٠ : (نسخت بقوله : (ليغفر لك الله ما تقدَّم) من الآية نسختها آية السيف) . وانظر ابن حزم : ٤١ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩٩ .

(٤) ابن سلامة : ١٩١ .

(٥) سورة يونس ، الآية : ١٠٨ .

(٦) ابن سلامة : ١٩ ، وابن حزم : ٤١ ، والبارزي : ٣٦.

(٧) سورة يونس ، الآية : ١٠٩ .

(٨) قال النحاس : أي اصبر على أذاهم و مكروههم حتى يقضي الله فيهم وهو خير القاضين ، وأعدل الفاصلين ، فمذهب ابن زيد أنها منسوخة ، وإنما نسخ منها الصبر عليهم) .

(٩) في م : ﴿يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ، والآية هي : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة /١٠٩] .

باب ذكر ما في سورة هود[1].

- الآية الأولى : ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2] . قال بعضُهم[3]: معناها : اقتصرْ على إنذارهم مِنْ غيرِ قتالٍ ، ثم نُسخَ ذلك[4] بآيةِ السيفِ[5]، ولا يصحُّ هذا[6]، وإنّما المعنى ليسَ عليكَ أن تأتيهم بمقترحاتهم من الآياتِ ، والوكيل: الشهيد[7] .

- الآية الثانية : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾[8] ، زعمَ مقاتل أنها نسخت[9] بقوله تعالى : ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[10] ، وليس هذا بصحيح لأنّ الآيتين خَبَر[11] .

- الآية الثالثة والرابعة: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ *

(١) في م : (سورة هود) .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٢ .

(٣) في م : (قيل) .

(٤) (ذلك) : ليست في م .

(٥) البارزي : ٣٧ .

(٦) (هذا) : ليست في م .

(٧) ابن سلامة : ١٩٤ : (نسخ معناها لا لفظها بآية السيف) .

(٨) سورة هود ، الآية : ١٥ . قال النحاس : (لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب إلا آية واحدة من رواية جُوَيْبر عن الضّحاك عن ابن عباس ، قال ، قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ . قال : أي : ثواب الحياة الدنيا وزينتها : مالها) . النحاس : ١٧١ .

(٩) وقال مكي : (وأكثر الناس على أن الآيتين محكمتان ؛ لأنهما خبر ، ولا ينسخ الخبر الخبر) .

(١٠) سورة الإسراء ، الآية : ١٨ . ابن سلامة : ١٩٤ ، وابن حزم : ٤١ ، وهو مروي عن الضحّاك عن ابن عباس . انظر : مكي : ٣٢٥ ، والبارزي : ٣٧ .

(١١) في م : (لأنه الآن خبر) وهو غلط .

وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[1] . قال بعض[2] المفسرين: هاتان الآيتان اقتضتا تركَهم على أعْمالهم والاقتناع بإنذارهم، ثم نسخت[3] بآية السيف[4]. وقال المحققون: هذا تهديدٌ ووعيدٌ معناه : فسيعلمون عاقبة أمرهم وهذا لا ينافي قتالهم فلا وجه للنسخ .

باب ذكر ما في سورة الرعد[5]

قوله تعالى[6] : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾[7] ، قالوا : نسخت بآية السيف[8] وعلى ما سبق تحقيقه في نظائرها لا وجهَ للنسخ .

باب ذكر ما في سورة الحجر [9].

– الآية الأولى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[10] وقالوا : هي[11] منسوخةٌ بآية السيف[12] والتحقيق أنّها وعيد وذلك لا ينافي قتالهم .

---

(١) سورة هود ، الآيتان : ١٢١ – ١٢٢ .

(٢) في م : (بعضهم) .

(٣) في م : (نسختها) .

(٤) ابن سلامة : ١٩٥ ، وابن حزم : ٤١ .

(٥) م : (سورة الرعد) . قال النحاس : (حدّثنا يموت بإسناده عن ابن عباس قال : نزلت سورة الرعد بمكة فهي مكية ، وروى حميد عن مجاهد قال : سورة الرعد مكية ليس فيها ناسخ ولا منسوخ) . النحاس : ١٧١ ، ومكي : ٣٢٨ .

(٦) (قوله تعالى) : ليست في م .

(٧) سورة الرعد ، الآية : ٤٠ .

(٨) ابن حزم : ٤٢ ، والبارزي : ٤٠ .

(٩) م : (سورة الحجر) .

(١٠) سورة الحجر ، الآية : ٣ .

(١١) في م : (قال : نسخت) .

(١٢) ابن سلامة : ٢٠٥ ، وابن حزم : ٤٢ ، و البارزي : ٣٨ .

- الآية الثانية: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾[1]. قالوا: نسخ هذا[2] بآية القتال[3].

- الآية الثالثة : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [4] . قالوا: نسختها[5] آية السيف[6].

باب ذكر ما في سورة النحل[7].

- الآية الأولى : ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ[8] تَتَّخِذُونَ[9] مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا[10] حَسَنًا ﴾[11] في السَّكَر ثلاثة أقوال[12] : أحدها : أنَّه الخمر[13] ، ونُسِخت هذه الآية بقوله[1]: ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[2] ويمكن أن تكونَ محكمة ، ويكونَ المعنى إنا رزقناكم[3] عِنباً فاتّخذتم منْه السَّكر .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٨٥ ، وقد جعلها النحاس مع الآية التي تليها هما المنسوختين في هذه السورة وليس فيها غيرهما . النحاس : ١٧٥ .

(٢) ليست في م .

(٣) ابن سلامة : ٢٠٥ ، وابن حزم : ٤٣ ، ومكي : ٣٢٩ ، والبارزي : ٣٨ ، وهذا القول مروي عن قتادة . انظر مكي : ٣٢٩ .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .

(٥) م : (نسخ بآية) .

(٦) ابن سلامة : ٢٠٦ ، والبارزي : ٣٩ ، وقال ابن سلامة : إن القسم الأول من هذه الآية محكم . انظر : ابن سلامة : ٢٠٦ .

(٧) في م : (سورة النحل) .

(٨) ليست في الأصل .

(٩) في الأصل : (سكناً) .

(١٠) ليست في الأصل .

(١١) سورة النحل ، الآية : ٦٧ ، وانظر : قتادة : ٤٧ .

(١٢) في م : (في السكر أقوال) .

(١٣) النحاس : ١٧٦ ، وهو قول قتادة : قال : (خمور الأعاجم ونسخت في سورة المائدة ، قال : والرزق الحسن : ينبذون ويخللون ويأكلون) . والقائلون بنسخ الآية هذه سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وإبراهيم وأبو رزين . وردّ النحاس على القول بنسخها فقال : (الحق ==

والثاني : أنّه الخلّ بلغةِ الحبشة . والثالث أنّه الطَّعم[٤] ، فقال[٥] : هذا لهُ سَكَر، أي طعم ، فعلى هذين[٦] القولين[٧] الآية محكمة[٨] .

- الآية الثانية : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٩] . قالوا نسختها آية السيفِ وقد بيّنا في نظائرها أنّه لا حاجة [١٠] بنا [١١] إلى ادّعاء النسخ في مثل هذه[١٢].

- الآية الثالثة : ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٣] . ذهبَ جماعةٌ إلى أنّها

== في هذه الآية أنه خبر لا يجوز فيه نسخ ولكن تتكلم العلماء في شيء ويتأول عليهم ما هو غلط لأن قول قتادة : (ونسخت) يعني (الخمر) يعني : نسخت إباحتها ، والدليل على هذا أنّ سعيداً روى عن قتادة قال : نزلت هذه الآية : (ومن ثمرات النخيل ...) ، والخمر يومئذٍ حلال، ثم أنزل الله تعالى بعد تحريمها ... وهذا قول حسن صحيح أخبر الله تعالى أنهم يفعلون هذا ونزل قبل تحريم الخمر) . انظر النحاس : ١٧٦ ، ومكي : ٣٣٣ .

(١) في م : (فنسخ بقوله) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ .

(٣) في م : (إنما) .

(٤) هذا قول جماعة من أهل العلم والنظر ، منهم أبو عبيدة ، وقال غيره : السَّكر : سدّ الجوع ، مشتق من قولهم : سكرت النهرَ ، أي سددته . انظر النحاس : ١٧٦ .

(٥) في م : (يقال) .

(٦) في م : (هذا) .

(٧) ليست في م .

(٨) مكي : ٣٣٣ .

(٩) سورة النحل ، الآية : ٨٢ .

(١٠) مطموسة في الأصل .

(١١) (بنا) : ليست في م .

(١٢) (في مثل هذه) : ليس في م .

(١٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ ، وانظر : النحاس : ١٧٧ .

منسوخة[1] بآية السيف[2] ، وفيه بُعدٌ لأنّ الجدالَ لا يُنافي القتالَ ولم يقل[3] له اقتصر على جدالهم .

- الآية الرابعة : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[4]. قال جماعة من المفسرين[5] : أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ، ثم نسخت[6] بآية السيف ، وقال آخرون : هي محكمة لأنها نزلت[7] فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالم[8] أكثر مما نال الظالم .

- الآية الخامسة : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[9] . هذه متعلقة بالتي قَبلها فحكمها[10] حكمها . وقد زعم[11] بعضهم أنّ الصبرَ هاهنا [12] منسوخ[13] بآية السيف .

---

(١) في م : (ذهب جماعةٌ إلى نسخها) .

(٢) ابن سلامة : ٢١٠ ، وابن حزم : ٤٤ ، ومكي : ٣٣٦ ، وقيل : هو محكم .

(٣) (له) : ليست في م .

(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .

(٥) (من المفسرين) : ليست في م .

(٦) في م : (ثم نسخ) .

(٧) (نزلت) : ليس في م .

(٨) في م : (ظالمة) .

(٩) سورة النحل ، الآية : ١٢٧ .

(١٠) في م : (وحكمها) .

(١١) في م : (وزعم) .

(١٢) في م : (هنا) .

(١٣) في م : (نسخ) .

باب ذكر ما في سورة بني إسرائيل[١]

- الآية الأولى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾[٢] . ذهبَ بعضُ المفسّرين[٣] إلى أنّ هذا الدعاء المطلقَ نُسِخَ منه الدعاء للوالدين المشركين[٤]) وهذا ليس بنسخٍ عند الفقهاء ، إنّما هو تخصيصٌ للعام[٥] .

- الآية الثانية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾[٦] ، قد ادّعى بعضهم[٧] نسخها بآية السيف[٨]، وقد منَعنا ذلك في ذكر نظائرها المتقدّمة[٩] .

---

(١) في م : (سورة الإسراء) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٤.

(٣) في م : (ذهب بعضهم) .

(٤) الزهري : ٣٢ ، قتادة : ٤٧ ، وابن سلامة : ٣١٢ ، وابن حزم : ٤٤ ، والنحاس : ١٧٨ ، ومكي : ٣٣٧ ، والبارزي : ٣٩ ، وقال ابن حزم : (نسخ بعض حكمها وبقي البعض على ظاهره ، فهو في أهل التوحيد محكم ، وبعض حكمها في أهل الشرك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ . انظر : ابن حزم : ٤٤ .
وقال مكي : (من جعل هذا الأمر عاماً في جميع الأحياء والأموات من المؤمنين والمشركين ، قال : هو منسوخ منه بعضه بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١١٣ ، وبقوله : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة / ١١٤] ، وهو قول ابن عباس . ويجوز أن تكون هذه الآية محكمة مخصوصة في الآباء والأموات المؤمنين) . مكي : ٣٣٧ .

(٥) في م : (العام) .

(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٥٤ .

(٧) في م : (زعم بعضهم) .

(٨) البارزي : ٣٩ .

(٩) (المتقدمة) : ليست في م .

باب ذكر ما في سورة طه

- الآية الأولى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[١] وقال جماعة من المفسرين[٢] : معناها فاصبرْ على ما تسمعُ من أذاهم ، ثمّ نُسخت[٣] بآية السيف[٤] .

- الآية الثانية: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ﴾[٥]. قالوا: هي منسوخةٌ بآية السيف[٦].

باب ذكر ما في سورة الحج

- الآية الأولى : ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ ﴾[٧] فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٨] . للمفسّرين[٩] فيمن عني بها قولان : أحدهما : المشركون[١٠] ، ثم نسخت بآية السيف[١١] . والثاني[١٢] : المنافقون[١٣] كانت[١٤] تَظهر منهم فلتات ثم يُجادلون عنها فأُمر أنْ يكلَ أمرهم إلى الله تعالى[١٥] والآية على هذا محكمة[١٦] .

---

(١) سورة طه ، الآية : ١٣٠ .

(٢) في م : (قيل) .

(٣) في م : (فنسخ) .

(٤) ابن سلامة : ٢٢٤ ، وابن حزم : ٤٥ ، والبارزي : ٤١ .

(٥) سورة طه ، الآية : ١٣٥ .

(٦) ابن سلامة : ٢٢٥ ، وابن حزم : ٤٥ ، والبارزي : ٤١ .

(٧) مطموسة في الأصل .

(٨) سورة الحج ، الآية : ٦٨ .

(٩) في م : (قال بعض المفسرين) .

(١٠) عبارة : (فيمن عنى .... المشركون) : ليست في م .

(١١) ابن سلامة : ٢٣٣ ، والبارزي : ٤٢ .

(١٢) في م : (وقيل) .

(١٣) في م : (المنافقين) .

(١٤) في م : (كان) .

(١٥) (تعالى) : ليست في م .

(١٦) في م : (فعلى هذا الآية محكمة) .

- الآية الثانية : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[١] قد زعم قومٌ أنّها منسوخةٌ[٢] لأنّ فعلَ ما فيهِ وفاءٌ لحق الله[٣] تعالى لا يُتَصَوَّر من أحدٍ . وفي ناسخِها عندهم قولان : أحدهما : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٤] ، والثاني[٥] : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٦] وقال آخرون[٧]: بل هي محكمة ، والمرادُ منها بدل الإمكان على ما بينّا في قوله : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٨] .

باب ذكر ما في سورة المؤمنين[٩]

- الآية الأولى : ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[١٠] . فيها قولان[١١]: أحدهما : أنها نسخت بآية السيف[١٢] . والثاني[١٣] : أن معناها التهديد فهي محكمة .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٢) في م : (قيل) .

(٣) (تعالى) : ليست في م .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٥) في م : (قيل) .

(٦) سورة التغابن ، الآية : ١٦ .

(٧) في م : (قيل) . وانظر ابن سلامة : ٢٣٤، ومكي : ٣٥٦ ، والبارزي : ٤٢.

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ . قال النحاس : ١٩٨ : (وهذا لا نسخ فيه) . وقال مكي : ٣٥٦ (... والقول في هذا أنه محكم ، ومعناه : جاهدوا في الله بقدر الطاقة ، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فهو مثل : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ .

(٩) في م : (سورة المؤمنون) .

(١٠) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٤.

(١١) في م : (قيل : نسخت) .

(١٢) ابن سلامة : ٢٣٤ ، وابن حزم : ٤٦.

(١٣) في م : (قيل) .

- الآية الثانية : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾(١) . قد(٢) ادّعى بعضُهم نسخها بآية السيف(٣) ولا حاجةَ بنا إلى هذه الدعوى ؛ لأنّ المداراة محمودةٌ ما لم تضرَّ بالدين ولم تؤدِّ إلى إبطال(٤) حقٍّ أو إثباتِ باطل .

باب ذكر ما في سورة النور(٥)

- الآية الأولى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾(٦) . وقال سعيد بن المسيب(٧) : نسخها : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾(٨) .

- الآية الثانية : ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾(٩) الآية . قال بعضُ ناقلي

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٦.

(٢) (قد) : ليست في م .

(٣) ابن سلامة : ٢٣٥ ، وابن حزم : ٤٦، والبارزي : ٤٢ .

(٤) في م : (لم تؤد إلى إثبات باطل وإبطال حق) .

(٥) في م : (سورة النور) .

(٦) سورة النور ، الآية : ٣ .

(٧) في ك : (ابن المسيب) ، ورأي ابن المسيب أحد أربعة آراء ، قال النحاس معلقاً على هذا الرأي: (وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الفتيا ... يقولون : من زنى بامرأةٍ فله أن يتزوجها ، ولغيره أن يتزوجها ، وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن أنس... وهو قول أبي حنيفة وأصحابه . وقال الشافعي في الآية : القول فيها كما قال سعيد ابن المسيب إن شاء الله تعالى إنها منسوخة) . أما الآراء الثلاثة المتبقية فهي : ١- النكاح ههنا الوَطْء . ٢- الزاني ههنا المجلود في الزنا لا ينكح إلا زانية مجلودة في الزنا أو مشركة ٣- الزانية هي التي تكتسب بزناها وتنفق على زوجها . وروى عن الحسن أنها محكمة . انظر النحاس : ١٩١ ، ومكي : ٣٥٩ ، ٣٦٠.

(٨) سورة النور ، الآية : ٣٢ ، وانظر : تفسير الطبري : ١٨ : ٧٥ ، والقرطبي ١٢ : ١٦٩ .

(٩) سورة النور ، الآية : ٢٧.

التفسير[١] نُسخ منْ هذا النهي العام حكم البيوتِ التي ليسَ لها أهلٌ يُستَأذَنون[٢] بقوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا[٣] بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[٤] . وهذا تخصيصٌ لا نسخ[٥].

– الآية الثالثة: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾[٦] قال بعضُهم : هي منسوخةٌ بآية السيفِ[٧] وليسَ هذا صحيحاً[٨] لأنّ[٩] الأمرَ بقتالهم لا يُنافي أنْ يكونَ عليهِ ما حُمِّلَ وعليهم ما حُمِّلوا وإذا لم يقع التنافي[١٠] فلا نسخَ .

باب ذكر ما في سورة الفرقان[١١]

من ذلك : ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[١٢] قال بعضهم[١٣] : نسختْ بآية السيف

(١) قال مكي : (أكثر المفسرين : الآيتان محكمتان) مكي : ٣٦٥ .

(٢) في م : (يستأذنون) .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) سورة النور ، الآية : ٢٩ ، وينظر : ابن سلامة : ٢٤٥ ، ومكي : ٣٦٥ ، والنحاس : ١٩٣ ، وابن حزم : ٤٨ .

(٥) جعل بعضهم الآيتين محكمتين ، قال النحاس : (القول الثاني : أنهما محكمتان قول أكثر أهل التأويل) . النحاس : ١٩٣ ، وانظر : مكي : ٣٦٥.

(٦) سورة النور ، الآية : ٥٤ .

(٧) في م : (نسختها) . وانظر : ابن سلامة : ٢٤٧ ، قال : (وباقي الآية محكم) . وانظر : ابن حزم: ٤٨ ، والبارزي : ٤٢ .

(٨) في م : (وليس بصحيح) .

(٩) في م : (لأن) .

(١٠) في م : (تنافي) .

(١١) م : (سورة الفرقان) .

(١٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤٣ .

(١٣) في م : (نسختها) بدلاً من (قال بعضهم : نسخت) .

وليسَ بصحيح ؛ لأنّ معناها : أفأنتَ تكون عليه[1] حفيظاً تحفظُه من اتباعِ[2] هواهُ فليسَ للنسخِ وجهٌ .

باب ذكر ما في سورة النمل

من ذلك : ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾[3] . قال بعضهم : هي منسوخة[4] بآية السيف[5] . وقد تكلَّمنا على جنْس ذلك[6] وبينا[7] عدم النسخ .

باب ذكر ما في سورة القصص[8]

من ذلك: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾[9] الآية.

قال الأكثرون : إنها نسخت[10] بآية السيف[11] .

---

(١) في م : (عليهم) .

(٢) في م : (تحفظ من اتبع) .

(٣) سورة النمل ، الآية : ٩٢ .

(٤) قال بعضهم : نسختها .

(٥) البارزي : ٤٤ .

(٦) في م : (في ضمن هذا) ولا وجه له .

(٧) في م : (وهنا) ، والصواب ما في الأصل ، ولعلها كلمة لم يحسن المحقق الفاضل قراءتها ، ذلك أنه علق عليها في الحاشية بقوله : (لعلها : وقلنا) .

(٨) في م : (سورة القصص) .

(٩) سورة القصص ، الآية : ٥٥ .

(١٠) في م : (نسختها) .

(١١) ابن سلامة : ٢٥٣ ، وابن حزم : ٤٩، ومكي : ٣٧٥ ، والبارزي : ٤٥ ، وقال مكي : (والذي عليه أهل النظر - وهو الصواب - أن الآية محكمة) .

باب ذكر ما في سورة العنكبوت[١]

من ذلك : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢] . فيها قولان[٣]: أحدهما أنّها منسوخة[٤] بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٥] الآية. والثاني[٦] أنّها ثابتةُ الحكمِ[٧]، وأنّ من[٨] أدّى الجزيةَ منهم لم نقل[٩] له إلاّ الحَسَن[١٠].

باب ذكر ما في سورة السجدة[١١]

من ذلك : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[١٢] . ذكر[١٣] أنها نسخت بآية السيف[١٤] .

---

(١) في م : (سورة العنكبوت) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ ، وانظر قتادة : ٤٨ .

(٣) في م : (قيل) ، وقال النحاس : (فيها ثلاثة أقوال : من العلماء من قال : هي منسوخة ، ومنهم من قال : هو محكم ، يراد به ذوو العهد منهم ... ومنهم من قال : هو محكم يراد به من ليس منهم ... وقول مجاهد أحسن - وهو الرأي الثالث - لأن أحكام الله تعالى لا ينبغي أن يقال فيها : إنها منسوخة إلا بدليل قاطع أو حجة من معقول) . انظر النحاس : ٢٠٤ .

(٤) ابن سلامة : ٢٥٥ ، ومكي : ٣٧٧ ، وهذا الرأي مروي عن قتادة . انظر : قتادة : ٤٨ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٦) في م : (قيل) .

(٧) في م : (أنها محكمة) .

(٨) في م : (فمن) .

(٩) في م : (لم يقل) .

(١٠) قال مكي : (وقال ابن زيد : هي محكمة ، وبذلك قال مجاهد) . مكي : ٣٧٧ .

(١١) في م : (سورة السجدة) .

(١٢) سورة السجدة ، الآية : ٣٠ .

(١٣) في م : (ذكروا) .

(١٤) النحاس : ٢٠٧ ، وابن سلامة : ٢٥٧ ، والبارزي : ٤٦.

باب ذكر ما في سورة الأحزاب[1]

من ذلك : الآية الأولى : ﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾[2] زعمَ جماعةٌ منَ المفسِّرين أنها نُسِخَت بآية السيف[3] .

- الآية الثانية : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ ﴾[4] اختلفَ العلماء لمن هذه المتعة[5] ؟ فقال الأكثرون : هي لمنْ لم يسمّ لها مَهْر لقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[6]، وهل هذه المتعة مستحبّةٌ أو واجبةٌ ؟

للعلماء فيها قولان ، وعلى هذا الآية محكمة . وقال قوم : المتعة واجبةٌ لكلِّ مطلقةٍ ثمَّ نُسِخَتْ بقوله تعالى : ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾[7] .

- الآية الثالثة : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾[8] . فيها قولان[9] : أحدهما :

(١) في م : (الأحزاب) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٨.
(٣) ابن سلامة : ٢٥٨ ، وابن حزم : ٣٧٩ ، ومكي : ٣٨١ ، والبارزي : ٤٦ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٩ .
(٥) عبارة : (اختلف ... الأكثرون) : ليست في م .
(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .
(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٧ .
(٨) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٢ .
(٩) ذكر النحاس فيها ثمانية آراء ، فمنهم من قال : هي منسوخة بالسنّة ، ومنهم من قال : هي منسوخة بآية أخرى، .. ومنهم من قال : هي محكمة ، لم يكن له أن يتزوّج سوى من كنَّ عنده، ثواباً من الله لهنّ ... ومنهم من قال : هي محكمة ، ولكن لما حظر عليهنّ أن يتزوجن بعد موته حُظِّر عليه أن يتزوج غيرهن ... ومنهم من قال : المعنى لا يحل لك من النساء من بعد هذه القصة، يعني (إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) ، ومنهم من قال : (لا يحلّ لك النساء) بعد المسلمات ، ولا تتزوج يهودية ولا نصرانية ... ومنهم من قال : المعنى : لا تبدل واحدة من أزواجك يهودية ولا نصرانية ... والقول الثامن أن النبي (ص) لما قال الله عز وجل: (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ، كان له أن يتزوّج من النساء من شاء بغير عدد محظور كما كان للأنبياء قبله .

أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾[١] عن عائشة : (ما قُبضَ رسولُ الله حتّى أحلّ الله ما شاءَ منَ النساءِ[٢]) والثاني[٣] : أنها محكمة ، ثم فيها قولان : أحدهما : أنّ الله أثابَ نساءً حينَ اخترْنَهُ[٤] بأن قصره عليهنّ فلم يُحلَّ لهُ غيرَهُنَّ ولم ينسخ هذا . والثاني[٥] : أنّ المرادَ بالنساءِ هاهنا : الكافراتُ ، قاله مجاهد[٦] .

باب ذكر ما في سورة سبأ[٧]

من ذلك : ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٨] . زعَموا أنّها نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ[٩] ولا وجهَ للنسخ، لأنّ الإنسانَ لا يُسْأل عنْ عمل غيره .

باب ذكر ما في سورة الصافات[١٠]

من ذلك : الآية الأولى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[١١] قال قتادةُ : إلى موتهم . وقال ابنُ زيد : إلى القيامة ، فعلى القولين يتوجّه النسخ بآية السيفِ[١٢].

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٠ ، وانظر ابن سلامة : ٢٥٢ ، وابن حزم : ١٥ ، والبارزي : ٤٦.

(٢) مكي : ٣٨٥، وقيل : (إنها منسوخة بالسنة ... وقيل : بالقرآن) .

(٣) في م : (وقيل : محكمة) .

(٤) في م : (نساء من اخترته) ، وهو وهم .

(٥) النحاس : ٢٠٧ ، وهذا القول مروي عن جماعة من جلة الصحابة ، كعلي وابن عباس .

(٦) النحاس : ٢٠٨ ، وقال سعيد بن جبير وعكرمة ، قال مجاهد : (لئلا تكون كافرةٌ أماً للمؤمنين، وهذا القول يبعد لأنه يقدره من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر) .

(٧) في م : (سورة سبأ) .

(٨) سورة سبأ ، الآية : ٢٥ .

(٩) ابن سلامة : ٢٥٩ ، وابن حزم : ٥١، والبارزي : ٤٦.

(١٠) في م : (سورة الصافات)

(١١) سورة الصافات ، الآية : ١٧٤، وقال ابن سلامة : ٢٦١ : (وبين الحينين فرق كثير ، فالحين الأول كناية عن وقت أمره بقتالهم ، فنسخ أربع الآيات بآية السيف) .

(١٢) انظر : الطبري ٢٣ : ١١٥ ، والقرطبي ١٥ : ١٣٩ ، وابن سلامة : ٢٦١ ، وابن حزم : ٥٢ ، والبارزي : ٤٧ .

– الآية الثانية : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾[1] . المعنى: انظر[2] إليهم إذا نزل بهم العذاب[3] ببدر فسوفَ يبصرون ما أنكروا وكانوا يستعجلونَ به تكذيباً[4] . وقوله بعد[5] هذا : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ[6] فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ تكرار لما تقدم توكيداً[7] .

باب ذكر ما في سورة الزمر[8]

من ذلك : الآية الأولى : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ[9] مَكَانَتِكُمْ ﴾[10]) . زعَمَ بعضهم[11] أنّها منسوخةٌ بآية السيف[12] والصّحيح أنّها محكمة وهو تهديد[13] .

– الآية الثانية : ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[14] . قد زعمَ قومٌ أنها نسخت[15] بآية السيف[16] . وقد تكلّمنا على نظائرها فلا نسخ .

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٧٥ .
(٢) في م : (انتظر) .
(٣) (العذاب) : ليست في م .
(٤) في م : (الدنيا) وهو وهم .
(٥) في م : (تهديداً) .
(٦) مطموسة في الأصل .
(٧) في م : (يقينه وتوكيده) ، ولست أرى له وجهاً .
(٨) في م : (الزمر) .
(٩) مطموسة في الأصل .
(١٠) سورة الزمر ، الآية : ٣٩ .
(١١) في م : (زعم قوم) .
(١٢) ابن سلامة : ٢٦٥ ، وابن حزم : ٥٣ ، والبارزي : ٤٨ .
(١٣) انظر مكي : ٣٩٧ .
(١٤) سورة الزمر ، الآية ٤١.
(١٥) في م : (زعم قوم : نسختها) .
(١٦) ابن سلامة : ٢٦٦ ، ومكي : ٣٩٧ ، وابن حزم : ٥٣ ، والبارزي : ٤٨ .

باب ذكر ما في سورة المؤمن[١]

من ذلك : قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[٢] . هي[٣] في موضعين . وقد ذكروا أنّها منسوخة بآية السيف[٤] ، وعلى ما قدرنا[٥] في نظائرها لا نسخ .

باب ذكر ما في سورة حم السجدة[٦]

- من ذلك : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٧]) . قال بعضهم[٨] : نسخت بآية السيف[٩] . وقال أكثر المفسرين : هو كدفع[١٠] الغضب بالصبر ، والإساءةِ بالعفو ، وذلك لا يختصُ بالكفّار[١١] فلا يتوجّه النسخ[١٢] .

باب ذكر ما في سورة حم عسق[١٣] .

من ذلك الآية الأولى : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾[١٤] قال قوم[١٥] منهم وَهْبُ

(١) في م : (سورة المؤمن) .
(٢) سورة غافر ، الآية : ٧٧.
(٣) ليست في م .
(٤) قال ابن سلامة : (نسخ أولها بآخرها) ، ابن سلامة : ٢٦٨ ، وابن حزم : ٥٣ ، وانظر : زاد المسير ٧ : ٢٣٢ .
(٥) في م : (قررنا) .
(٦) في م : (سورة حم السجدة) .
(٧) سورة حم السجدة (فصلت) ، الآية: ٣٤ . في الأصل ﴿ادفع بالتي هي أحسن ، السيّئة﴾ . والصحيح ما اثبتناه.
(٨) في م : (قيل) .
(٩) ابن سلامة : ٢٦٨ ، وابن حزم : ٥٣ .
(١٠) في م : (الأكثر أنه لدفع) .
(١١) في م : (وقيل : لا تخص الكفار) .
(١٢) ابن سلامة : ٢٦٨ ، وابن حزم : ٥٣ .
(١٣) في م : (سورة حم عسق) .
(١٤) سورة الشورى ، الآية : ٥ .
(١٥) (قال قوم) : ليست في م .

ابنُ منبه[1] : نسخت بقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] . وليسَ بصحيحٍ لأنّ المرادَ لمن[3] في الأرض من المؤمنين[4] .

- الآية الثانية : ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ[5] وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم[6] بِوَكِيلٍ﴾ . قالوا[7] : هي منسوخة بآية السيف[8] وقد ذكرنا مذهبنا في نظائرها فلا نسخ .

- الآية الثالثة : ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾[9] . قال الأكثرون اقتضت الاقتصارَ على الإنذارِ ثم نُسخت بآية السيف[10] . وقال بعضهم : معناها أنّ الكلام[11] بعد إظهارِ البراهين قد سقط بيننا فلم يبقَ إلا السيف ، فعلى هذا هي محكمة[12] .

---

(١) في م : (وغيره) .

(٢) سورة المؤمن ، الآية : ٧ . وانظر : ابن سلامة : ٢٦٩ ، والنحاس : ٢١٤ .

(٣) في م : (المراد بمن في الأرض المؤمنون) .

(٤) قال النحاس : (وهذا لا يقع فيه ناسخ ولا منسوخ لأنه خبر من الله تعالى ، ولكن يجوز أن يكون وهب بن منبه أراد هذه الآية على نسخه تلك الآية لا فرق بينهم ، وكذا يجب أن يتأول للعلماء، ولا يتأول عليهم الخطأ العظيم إذا كان لما قالوه وجه ... والدليل على ما قلنا : ما حدّثنا أحمد بن نافع قال : حدّثنا سلمة قال : حدّثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ ، قال : المؤمنين منهم ، وقال مكي : ٤٠٣ : (.. والصواب فيه أنه مخصوص ومبين بآية غافر ، وليس بمنسوخٍ لها) .

(٥) قال ابن سلامة : (هذا محكم) . ابن سلامة : ٢٦٩ .

(٦) سورة الشورى ، الآية : ٦ . وقال ابن سلامة ٢٦٩ : (وهذا منسوخ بآية السيف) .

(٧) في م : (قيل) .

(٨) ابن سلامة : ٢٦٩ ، والبارزي : ٤٩ .

(٩) سورة الشورى ، الآية : ١٥ .

(١٠) البارزي : ٤٩ .

(١١) في م : (معناها : الكلام بعد إظهار ...) .

(١٢) البارزي : ٤٩ .

الآية الرابعة : ﴿ومَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[1] . قال بعضهم : نسخ بقوله[2] : ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[3] ، وليس بصحيحٍ ، لأنّه لا يُؤتى إلا ما يشاءُ الله . ويمكن أن يكون[4] المعنى لمن نريد أنْ نثيبَه[5] .

- الآية الخامسة : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[6] . زعم قوم أنّها الانتصار بعدَ البغيِ لا قبله[7] ثم نسخ[8] ذلك[9] بقوله تعالى : ﴿ولَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾[10]، والتحقيق أنّها محكمة[11] ، لأنّ الانتصارَ / مباح والصبر[12] والغفران فضيلة .

- الآية السادسة: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾[13]،

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٢٠ .

(٢) قال النحاس : ٢١٦ : (والدليل على أنها منسوخة أنه خبر) . وهذا قول ابن عباس : وقال مكي: (أكثر العلماء أن الآية محكمة) . انظر : ابن سلامة : ٢٧١ ، ومكي : ٤٠٤ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٨ .

(٤) في م : (ويكون المعنى) .

(٥) في م : (نفتته) . وانظر النحاس : ٢١٦ ، والموافقات ٣ : ٦٥ .

(٦) سورة الشورى ، الآية : ٣٩.

(٧) (لا قبله) : ليست في م .

(٨) في م : (هذا) .

(٩) ابن سلامة : ٢٧٢ ، والبارزي : ٤٩ .

(١٠) سورة الشورى ، الشورى : ٤٣ .

(١١) النحاس : ٢١٨ ، وقال مكي : (قال ابن زيد : نسخها الأمر بالجهاد ، وقيل : الآية محكمة ، والانتصار من الظالم محمود حسن سواء كان الظالم مسلماً أو مشركاً ، والنسخ في هذا لا يحسن لأنه خبر) . مكي : ٤٠٥ .

(١٢) في م : (التبصر) ، ولا وجه لها .

(١٣) سورة الشورى ، الآية : ٤٨ .

زعمَ بعضُ المفسّرين[1] أنَّها منسوخةٌ[2] بآية السيفِ[3] ، وقد بيّنّا مذهبنا في نظائرِها ، وأنّه لا نسخ .

باب ذكر ما في سورة الزخرف

من ذلك : الآية الأولى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[4] . زعم بعضهم أنّها منسوخةٌ بآية السيفِ[5] وقد ذكرنا مذهبنا في نظائرِها، وأنّها واردةٌ للوعيد والتهديد ، فلا نسخَ إذاً[6] .

– الآية الثانية : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[7] ، قالوا : هي[8] منسوخةٌ بآية السيفِ[9] .

باب ذكر ما في سورة الدخان[10]

من ذلك قوله : ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾[11] . ذكر بعضُهم أنّها منسوخةٌ[12]

---

(١) في م : (زعم بعضهم) .

(٢) في م : (نسخها) .

(٣) ابن حزم : ٥٥ ، والبارزي : ٤٨ .

(٤) في م : (سورة الزخرف) ، سورة الزخرف ، الآية : ٨٣ .

(٥) ابن سلامة : ٢٧٦ ، وابن حزم : ٥٥ .

(٦) (إذاً) : ليست في م .

(٧) سورة الزخرف ، الآية : ٨٩ .

(٨) (هي) : ليست في م .

(٩) ابن سلامة : ٢٧٦ ، وابن حزم : ٥٥ ، والبارزي : ٤٩ .

(١٠) في م : (سورة الدخان) .

(١١) سورة الدخان ، الآية : ٥٩ .

(١٢) في م : (ذكر بعضهم نسخها) .

بآية السيفِ[1] ، وليس بصحيح لأنه لا تنافي[2] بين ارتقاب عذابهم وقتالهم .

باب ذكر ما في سورة[3] الجاثية[4]

من ذلك: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾[5] ، جمهور المفسّرين على[6] أنّها تضمّنتِ الأمرَ بالإعراضِ[7] عن المشركين ، ثم نسخت[8] بآية السيفِ[9] .

باب ذكر ما في سورة الأحقاف[10]

من ذلك: الآية الأولى: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾[11] . اختلفوا : هل المرادُ بذلك الدنيا أم الآخرة ؟ فمن قال الآخرة قال : نُسخت بقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[12] ، وقوله ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾[13] ، ومن

---

(١) ابن سلامة : ٢٧٧ ، والبارزي : ٥٠ .

(٢) في م : (لا يتأتى) . ولا وجه لها .

(٣) في م : (سورة الجاثية) .

(٤) قال مكي : ٤٧ : (ولا شيء في الجاثية) .

(٥) سورة الجاثية ، الآية : ١٤ .

(٦) (على) ليست في م .

(٧) ليست في م .

(٨) في م : (ثم نسخها) .

(٩) ابن سلامة : ٢٧٨ ، ومكي : ٤٠٩ ، والكشاف ٤ : ٤٨٨ ، والبارزي : ٥٠ .

(١٠) في م : (سورة الأحقاف) .

(١١) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ . وانظر قتادة : ٤٨ ، والزهري : ٢٥ ، وقال ابن سلامة : ليس في كتاب الله منسوخ طال حكمه كهذه الآية لأنه عُمِل بها بمكة عشر سنين ... وليس في كتاب الله تعالى كلمات منسوخة نسختها سبع آيات إلا هذه الآية) .

(١٢) سورة الفتح ، الآية : ٢ ، انظر : النحاس: ٢١٩ ، وابن حزم : ٥٦ ، والزهري : ٢٦ ، والبارزي: ٥٠ .

(١٣) سورة الفتح ، الآية : ٥ .

قال: الدنيا قال : ما أدري ما يجري من أمور الدنيا علينا وهذا[١] الصحيح ، ولا يُتَصَوَّر النسخ في مثل هذا[٢] لأنه إذا[٣] لم يُعلم بحاله ثم[٤] أعلم بها لم يكن ذلك نسخاً[٥] .

باب ذكر ما في سورة [٦] محمد ﷺ

من ذلك : ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[٧] . فيها قولان : أحدهما : أنّها محكمة ، وأنَّ حكم[٨] المنِّ والفداء باقٍ لم ينسخ ، وهذا مذهب أحمد والشافعي[٩] ، والثاني :

---

(١) مكي : ٤١١ – ٤١٢ ، وهو وقول الحسن ، وقال : والظاهر أن هذه الآية محكمة) .

(٢) في م : (هذه الآية) .

(٣) (لأنه) ليست في م .

(٤) في م : (يعلم الحالة) .

(٥) قال النحاس ٢١٩ : (... محال أن يكون فيها ناسخ ولا منسوخ من جهتين ... أحدهما أنه خبر، والآخر أنه من أول السورة إلى هذا الموضع خطاب للمشركين ، واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم ، فوجب أن يكون هذا أيضاً خطاباً للمشركين كما كان قبله وما بعده ، ومحال أن يقول (ص) للمشركين : ما أدري ما يفعل بي ربي ولا بكم في الآخرة ... والصحيح في معنى الآية قول الحسن ... في الدنيا ، وهذا أصح قول وأحسنه لا يدري (ص) ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة وغنى وفقر وغلاء ورخص) . النحاس : ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٦) في م : (سورة محمد) .

(٧) سورة محمد ، الآية : ٤ .

(٨) في م : (ولأن حكم ...) ، ولا وجه لهذا العطف .

(٩) انظر : تفسير البغوي ٧ : ٤٩٧ ، وابن كثير ٤ : ١٧٣ ، وقد أورد النحاس في هذه الآية خمسة أقوال : الأول : هي منسوخة ، وهي في أهل الأوثان ولا يجوز أن يفادوا ويمن عليهم ، والناسخ عندهم : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) . وهو رأي ابن جريج والسدي وجماعة وكثير من الكوفيين . الثاني : هي في الكفار جميعاً وهي منسوخة ، قول جماعة من العلماء وأهل النظر . الثالث : هي ناسخة ولا يجوز أن يقتل الأسير ولكن يمنّ عليه أو يفادى به ، مجاهد . الرابع : لا يجوز الأسر إلا بعد الإثخان والقتل فإذا أسر العدو بعد ذلك فللإمام ==

أنّ ذلك(1) نسخ(2) بقوله تعالى : ﴿اقْتُلُوا(3) الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(4) وهو قول أبي حنيفة(5) رحمة الله عليه(6) .

باب ذكر ما في سورة ق(7)

من ذلك : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾(8) : قالوا إنّها نُسخت بآية السيف(9) .

باب ذكر ما في سورة الذاريات

من ذلك الآية الأولى : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(10) من قال :

= أن يحكم فيه بما رأى من قتل أو من مفاداة . سعيد ابن جبير . الخامس: هي محكمة غير ناسخة ولا منسوخة ، والإمام مخير أيضاً . وهذا رأي كثير من العلماء عن ابن عباس . ورجح النحاس أنها محكمة ، فقال : (وهو قول حسن ، لأن النسخ إنما يكون بشيء قاطع فأما إذا كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قبل الأسر قتلناهم ، فإذا كان الأسر جاز القتل والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين ، وهذا القول يروى عن أهل المدينة والشافعي وأبي عبيد .

(1) في م : (وأنه) .
(2) ابن سلامة : ٢٨٩ ، وابن حزم : ٥٦ .
(3) في م : ﴿فَاقْتُلُوا﴾ .
(4) سورة التوبة ، الآية : ٥ .
(5) وهو قول قتادة : انظر الناسخ لقتادة : ٥١ ، والبارزي : ٥٤ ، وقال النحاس : (... وأما القول إنها منسوخة فلا معنى له لأنه ليست إحداهما - يريد الآية الثانية - وهي قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم ...﴾ [سورة الأنفال /٤١] تنافي الأخرى فيكون النسخ) . وقال ابن سلامة : ٣٠٢ ، والنحاس: ٢٣٤ ، ومكي : ٤٢٩ ، وابن حزم : ٥٩ ، وقال ابن سلامة : ٣٠٢ : (فيها ناسخ وليس فيها منسوخ وهي قوله تعالى : (ما أفاء ... الآية) .
(6) (رحمة الله عليه) : ليست في م .
(7) في م : (باب ذكر ما في سورة ق من الناسخ والمنسوخ) .
(8) سورة ق ، الآية : ٤٥ .
(9) انظر البارزي : ٥١.
(10) سورة الذاريات ، الآية : ١٩ .

أشار[١] به إلى الزكاة أو إلى التطوع رآه محكماً . ومن[٢] قال : هو شيء[٣] كانَ يجب غير[٤] الزكاة رآه منسوخاً بالزكاة[٥] .

- الآية الثانية : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[٦] . قالوا : نُسخت[٧] بآية السيف[٨] .

باب ذكر ما في سورة الطُّور[٩]

من ذلك :

- الآية الأولى : ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾[١٠] ، قالوا : نسخت بآية السيف[١١] ولا يصحُّ على ما بيَّنا في نظائرها[١٢] .

- الآية الثانية : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾[١٣] زعمَ بعضهم

---

(١) في م : (إشارة) .
(٢) هذا قول الحسن البصري وإبراهيم النخعي . انظر النحاس : ٢٢٧ .
(٣) مطموسة في الأصل .
(٤) في م : (سوى) .
(٥) ابن حزم : ٥٧ ، ومكي : ٤١٩ ، وهو رأي الضحّاك . وقال الحسن والنخعي الآية محكمة . وقال مكي : (والذي يوجبه النظر وقال به أهل العلم : أنها غير الزكاة) .
(٦) سورة الذاريات ، الآية : ٥٤ .
(٧) في م : (نسختها آية) .
(٨) ابن حزم : ٥٨ ، ومكي : ٤١٩ ، والبارزي : ٥٠ ، وهو قول الضحّاك وغيره .
(٩) في م : (سورة الطور) .
(١٠) سورة الطور ، الآية : ٣١ .
(١١) ابن سلامة : ٢٩٢ ، والبارزي : ٥٢.
(١٢) في م : (لما بينا) .
(١٣) سورة الطور ، الآية : ٤٥.

أنَّها نُسخَت بآية السيفِ[١] وإذا كانَ معناها الوعد[٢] فلا نسخ[٣] .

- الآية الثالثة : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٤] . قال بعضهم : معنى الصبر[٥] منسوخٌ بآية السيفِ[٦] ، وإنَّما يصحُّ هذا لو كان[٧] المرادُ الصبرَ عن القتالِ/ والصبرُ هاهنا[٨] مطلقٌ يمكنُ أنْ يُشارَ بهِ إلى الصبرِ على أوامرِ الله سبحانه[٩] .

باب ذكر ما في سورة النجم[١٠]

من ذلك : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾[١١]. زعموا أنّه منسوخٌ[١٢] بآية السيفِ[١٣] . ومثلها[١٤] في سورة القمر ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾[١٥] .

---

(١) البارزي : ٥٢.

(٢) في م : (الوعيد) .

(٣) في م : (فلا يصح) .

(٤) سورة الطور ، الآية : ٤٨ .

(٥) في م : (يعني الصبر منسوخ) .

(٦) ابن سلامة : ٢٩٢ ، والبارزي : ٥٢ .

(٧) (أنْ) : ليست في م .

(٨) في م : (هنا) .

(٩) (سبحانه) : ليست في م . وانظر : النحاس : ٢٢٧ .

(١٠) في م : (سورة النجم) .

(١١) سورة النجم ، الآية : ٢٩ .

(١٢) في م : (أنها منسوخة) ، ولعله الصواب .

(١٣) ابن سلامة : ٢٩٣ ، وابن حزم : ٥٨ ، ومكي : ٤٢٤ ، والبارزي : ٥٢ .

(١٤) في م : (ومثالها) .

(١٥) سورة القمر ، الآية : ٦ .

باب ذكر ما في سورة المجادلة[١]

من ذلك : ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[٢] . نسخت[٣] بقوله : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ[٤] صَدَقَاتٍ ﴾[٥].

باب ذكر ما في سورة الحشر[٦]

من ذلك : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[٧] . ذهب بعضهم أنها منسوخة بقوله تعالى[٨] : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[٩].

وقال آخرون : بل هي مبينة حكم (الفيء) وهو ما أخذ من أموال المشركين مما لم يوجف[١٠] عليه بخيل ولا ركاب[١١] ، كالصلح والجزية و العشور ، وآية الأنفال مبينة لحكم الغنيمة فلا نسخ[١٢]) .

---

(١) في م : (سورة المجادلة) .
(٢) سورة المجادلة ، الآية : ١٢ .
(٣) النحاس : ٣٣ .
(٤) مطموسة في الأصل .
(٥) سورة المجادلة ، الاية : ١٣ . انظر : ابن سلامة : ٣٠١ ، ومكي : ٤٢٦ ، وابن حزم : ٥٩ ، وقتادة : ٥٠ ، والبارزي: ٥٣ .
(٦) في م : (سورة الحشر) .
(٧) سورة الحشر ، الآية : ٧ .
(٨) (تعالى) : ليست في م .
(٩) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .
(١٠) في م : (لم يؤخذ) ، ولا وجه لهذه القراءة والصحيح ما أثبتناه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ [سورة الحشر / ٦].
(١١) وهذا قول سفيان الثوري ورواه عنه وكيع .
(١٢) في م : (فلا يصح) . قال مكي : (واستدلّ بعض العلماء على أنهما محكمتان أن آية الحشر إنما نزلت في بني النضير حين أجلوا عن بلادهم بغير حرب وتركوا بلادهم فجعل الله أموالهم للنبي خاصة فلم يستأثر النبي بها ، وفرقها في المهاجرين خاصة ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا لرجلين لسهل بن حنين ولأبي دجانة سِماك بن خَرَشة) .

باب ذكر ما في سورة الممتحنة

من ذلك :

- الآية الأولى والثانية : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾(1)، الآية (2) . قوله : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (3) . قال قتادة : نسخت بآية السيف (4) وقال ابن جرير : لا وجه لادِّعاء النسخ ؛ لأنّ برَّ المؤمنين المحاربين (5) إذا لم يكُن معونةً لهم على(6) الحربِ أو دلالة لهم على عودة (7) الإسلام، جائز(8) .

---

(1) سورة الممتحنة ، الآية : 8 .

(2) ليست في م .

(3) سورة الممتحنة ، الآية : 9 ، وانظر : ابن سلامة : 303 .

(4) النحاس : 237 ، وابن سلامة : 303 ، ومكي : 431 ، وقال : (قال ابن زيد : نسخها قوله : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة/ 22] نسخ معنى الآيتين بآية السيف) . وانظر مكي : 431 ، والبارزي : 54 .

(5) في م : (للمحاربين) .

(6) ليست في م .

(7) (عودة) : ليست في م . والكلمة الأقرب إلى المعنى (عورة) .

(8) ذكر النحاس فيها أربعة أقوال ، وهي : الأول : هي منسوخة ، وهو قول قتادة . الثاني : هي مخصوصة ، وهو قول مجاهد . الثالث : هي في حلفاء النبي ومَنْ بينه وبينه عهد . الرابع : عامَّة محكمة ، وقال النحاس مرجحاً هذا القول : (والقول الرابع أنها عامة محكمة قول حسن مبين . وحجته في ذلك أن ظاهر الآية يدل على العموم ، وأن الأقوال الثلاثة مطعون فيها ؛ لأنّ قول قتادة : إنها منسوخة قد ردّ عليه لأن مثل هذا ليس محظوراً . والقول الثاني أنها مخصوصة للمؤمنين الذين لم يهاجروا مطعون فيه ، لأن أول السورة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الممتحنة/ 1] ، والكلام متصل ، فليس من آمن ولم يهاجر يكون عدواً لله وللمؤمنين . والقول الثالث يرد بهذا فصحّ القول الرابع) . انظر : النحاس : 238 .

- الآية الثالثة والرابعة : ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[1] ، الآية[2] ، وقوله : ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾[3]، الآية[4]: اعلم أنّ الأحكامَ المذكورة في الآية من أداءِ المَهْرِ وأخذه من الكفار وتعويض الزوجِ من الغنيمة أو من صَداقٍ قد وَجبَ ردُّهُ على أهلِ الحربِ منسوخةٌ ، وقد نصّ أحمد على هذا . قال مقاتل ، كلّ هذه الآيات نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ[5] .

باب ذكر ما في سورة التغابن[6]

من ذلك : ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾[7] . قالوا : نسخ[8] بآية السيفِ ، وقد رَوَيْنا أنّ سببَ نزولِها : أنّ الرجلَ إذا أرادَ الهجرةَ منَعه أهلُه لإقامتهِ عندهم ، فلا نسخ[9] .

باب ذكر ما في سورة ن[10]

من ذلك :

- الآية الأولى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾[11]، قالوا : نسخت بآية

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ١٠ .
(٢) النحاس : ٢٣٩ ، وابن سلامة : ٣٠٣ - ٣٠٩ .
(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ١١.
(٤) النحاس : ٢٤٩ .
(٥) النحاس : ٢٣٧ - ٢٤٩ ، ومكي : ٤٣٧ ، وابن حزم : ٦٠ ، وقتادة : ٥١ - ٥٢ .
(٦) في م : (سورة التغابن) . وقال ابن سلامة : ٣١١ : (فيها آية واحدة ناسخة وليس فيها منسوخ، والناسخ قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن / ١٦] .
(٧) سورة التغابن ، الآية : ١٤ .
(٨) في م (نسخ) .
(٩) (فعلى هذا لا نسخ) .
(١٠) في م : (سورة ن) .
(١١) سورة القلم ، الآية : ٤٤ .

السيف[1] وإذا قلنا : إنّه وعيدٌ[2] فلا نسخ .

- الآية الثانية : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾[3] . قال بعضهم : معنى الصبر منسوخ[4] بآية السيف[5] ، وقد تكلّمنا عن نظائرها .

باب ذكر ما في سورة سأل سائل[6]

- الآية الأولى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾[7] . والآية الثانية : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾[8] . قال جماعةٌ من المفسّرين[9] : نُسِخَت بآية السيفِ[10] ، وقد تكلّمنا عن نظائرها ومنعنا النسخ[11] .

باب ذكر ما في سورة المزمّل[12]

من ذلك :

- الآية الأولى : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ ﴾[13]. كانَ قيام الليلِ فَرْضاً عليه

(1) ابن حزم : 61 ، والبارزي : 55 ، وهو وقول ابن زيد . انظر : النحاس : 252 ، وقال ابن سلامة 314 : (نصفها غير محكم وباقيها محكم ، فالنصف منسوخ بآية السيف) .

(2) في م : (أنه) .

(3) سورة القلم ، الآية : 48 .

(4) في م : (نسخ ، يعني الصبر بآية السيف) .

(5) ابن سلامة : 314 ، وابن حزم : 61 .

(6) في م : (سورة المعارج) .

(7) سورة المعارج ، الآية : 5 .

(8) سورة المعارج ، الآية : 42 .

(9) (من المفسرين) : ليست في م .

(10) ابن سلامة : 315 - 316 ، ومكي : 441 ، والبارزي : 55 .

(11) وقيل : هي محكمة . مكي : 441 .

(12) في م : (سورة المزمل) .

(13) سورة المزمل ، الآيتان : 2 ، 3.

وعلى أمّته ، ثم نسخ[1] بقوله تعالى[2] : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾[3] . وقيل : نسخ عن الأمة وبقي فرضه[4] عليه ، وقيل : بل كان فرضاً عليه دونهم[5] .

– الآية الثانية : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾[6] . ذهبَ أكثرُهم إلى أنها نُسختْ بآية السيفِ . وقال بعضهم[7]: المعنى : اصبرْ على ما يقولون مِنْ تكذيبِهم[8] واهجُرهُم هجراً لا جزَعَ فيه ، وفي الطارقِ : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾[9] .

– الآية الثالثة : ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾[10] هذا وعيد فهو محكم ، وقالوا : إنّه نسخ بآية السيف[11] ، ومثله في المدثر ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[12] .

---

(١) انظر قتادة : ٥٢. النحاس : ٢٥٤.

(٢) (تعالى) : ليست في م .

(٣) سورة المزمل ، الآية : ٢٠.

(٤) في م : (فرضاً) .

(٥) انظر مكي : ٤٤٣ ، وابن حزم : ٦٥ ، والزهري : ٢٧ ، والنحاس : ٢٥١ ، والتسهيل : ١٥٦.

(٦) سورة المزمل ، الآية : ١٠.

(٧) م : (وقيل) .

(٨) م (تلبيسهم) .

(٩) النحاس : ٢٥٤ ، وابن سلامة : ٣١٨ ، وابن حزم : ٦٢ ، والبارزي : ٥٦ .

(١٠) سورة المزمل ، الآية : ١١.

(١١) في م : (ومثلها في (هل أتى) : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ .

(١٢) سورة المدثر ، الآية : ١١. وانظر ابن سلامة : ٣١٩ ، وابن حزم : ٦٣ ، والبارزي : ٥٦.

باب ذكر ما في سورة الغاشية[1]

- ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2] قال بعضهم[3]: نسخت بآية السيف[4]، وقال[5] قوم: معناها لستَ عليهم بمسلَّط فتكرَههم على الإيمان ، فعلى هذا لا نسخ .

باب ذكر ما في سورة الكافرين[6]

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[7] . قال الأكثرون : نسخت بآية السيف[8] . وإنّما يصحّ هذا[9] أنْ لو كان المعنى . قد أَقْررتُكم على دينكم، فإذا لم[10] يكنِ المفهوم بعد النسخ[11] .

(١) في م : (سورة الغاشية) . وقال ابن سلامة ٣٢٧ : (ليس فيها ناسخ ولا منسوخ) .

(٢) سورة الغاشية ، الآية : ٢٢ ، وابن حزم : ٦٣ ، والبارزي : ٥٦.

(٣) في م : (قيل) .

(٤) ابن حزم : ٦٥ ، والبارزي : ٥٨ .

(٥) في م / (وقيل) .

(٦) في م : (سورة الكافرين) .

(٧) سورة الكافرون ، الآية : ٦ .

(٨) ابن سلامة : ٣٣٦ ، وابن حزم : ٦٨ ، والبارزي : ٥٩ .

(٩) (أن) : ليست في م .

(١٠) في م : (وإذا) .

(١١) في م بعد هذا : (والله أعلم ، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلم تسليماً) .

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم** .

٢ - **الإتقان في علوم القرآن** . جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ؛ تحقيق د . مصطفى البغا ٠- ط١ ٠- دمشق : دار ابن كثير ، ١٩٨٧م .

٣ - **الإحكام في أصول الأحكام** . أبو محمد علي بن حزم الظاهري (ت ٦٠٤ هـ) ٠- ط ١ ، ١٩٧٨ .

٤ - **أحكام القرآن** . أبو بكر الجصّاص (ت ٣٧٠هـ) ، دار الكتاب العربي ، ١٣٣٥هـ .

٥ - **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) ٠- ط١ ، ١٩٣٧م .

٦ - **الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار** . ابن حازم (ت ٥٨٤هـ) ٠- ط١ ٠- حمص، ١٩٦٦م.

٧ - **الأعلام** . خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦هـ) ٠- ط٤ ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م.

٨ - **الإيضاح لناسخ القرآن ومَنسوخِهِ** . مكي بن طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ؛ تحقيق د . أحمد فرحات ٠- ط١ ، ١٩٧٦م .

٩ - **البرهان في علوم القرآن** . الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٩م .

١٠- **بغية الوعاة** . جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٥م .

١١- **تاج العروس** . المرتضى الزبيدي (ت ٢٠٥هـ) ؛ تحقيق لجنة من العلماء ، مطبعة حكومة الكويت .

١٢- **تاريخ الأدب العربي** . كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م) ؛ ترجمة د. عبد الحليم نجار وزميله ٠- القاهرة : دار المعارف .

١٣- **تذكرة الحفاظ** . شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ٠- ط ٣ ٠- حيدرآباد، ١٩٥٥م.

١٤- **تفسير القرآن العظيم** . ابن كثير الدمشقي / عدة طبعات .

١٥- **تفسير مجاهد** . مجاهد بن جبر المخزومي ؛ قدَّم له وعلَّق حواشيه عبد الرحمن السورتي ، مجمع البحوث الإسلامية ، إسلام آباد ، ١٩٧٦م .

١٦- **التكملة لوفيات النقلة** . زكي الدين عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ) ؛ تحقيق د. بشار عواد معروف ٠- ط ٢ ٠- مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م .

١٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** . ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٣٠هـ ، نسخة مصورة .

١٨- **الجامع لأحكام القرآن** . أبو عبد الله القرطبي (ت ٦١٧هـ) ؛ صححه أحمد عبد العليم البردوني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

١٩- **ذيل الروضتين** . أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) ٠- القاهرة ، ١٩٤٧م .

٢٠- **الذيل على طبقات الحنابلة** . ابن رجب الحنبلي ٠- القاهرة .

٢١- **شذرات الذهب** . ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٩٨ هـ) ط . مصورة ٠- بيروت .

٢٢- **شرح الكوكب المنير** . ابن النجّار (ت ٩٧٢هـ) ط ١٩٨٢م .

٢٣- **العبر** . شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ؛ تحقيق د . صلاح الدين المنجد ٠- الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦م .

٢٤- **العدَّة في أصول الفقه** . أبو يعلى الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) ؛ تحقيق أحمد المباركي، ١٩٨٠م .

٢٥- **الفقيه والمتفقه** . الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ط ١٩٧٥م .

٢٦- **الفهارس العربية لكتاب تاريخ الأدب العربي** ؛ إعداد درية الخطيب ، معهد التراث العربي العلمي ، جامعة حلب ١٩٩٠م .

٢٧- **فهرس المخطوطات الظاهرية (علوم القرآن)** ؛ وضعه محمد صلاح الخيمي ٠- دمشق : طبعة مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٤م .

٢٨- **كشف الظنون** . حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ٠- بغداد : مكتبة المثنى .

٢٩- **الكليات** . أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ؛ حققه وعلق عليه د . عدنان درويش وزميله ٠- ط٢ ٠- دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٢م .

٣٠- **لسان العرب** . ابن منظور ٠- القاهرة : دار المعارف.

٣١- **مباحث في علوم القرآن** . د صبحي الصالح ٠- ط١٠ ٠- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م.

٣٢- **معجم الأدباء**. ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار إحياء التراث العربي .

٣٣- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** . محمد فؤاد عبد الباقي ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٣٤- **مرآة الزمان** . سبط ابن الجوزي ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥١م .

٣٥- **المستصفى في أصول الفقه** . أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ؛ صححه د. محمد يوسف نجم ٠- ط١ ، دار صادر ، ١٩٩٥م .

٣٦- **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ** . ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)؛ تحقيق د. حاتم الضامن ٠- بيروت : عالم الكتب .

٣٧- **المعتمد في أصول الفقه** . أبو الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي (ت ٤٣٦هـ) طبعة دمشق ، ١٩٦٤م .

٣٨- **معرفة الناسخ والمنسوخ** . ابن حزم (ت ٣٢٠ هـ) طبعة ١٩٦٠م .

٣٩- **مفهوم النص** . د . نصر حامد أبو زيد ٠- ط ١ ٠- المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.

٤٠- **مقاييس اللغة** . أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ؛ تحقيق المرحوم عبد السلام هارون ٠- بيروت : دار الفكر .

٤١- **الناسخ والمنسوخ** . ابن شهاب الزهري (ت ١١٨هـ) ؛ تحقيق د . حاتم الضامن ٠- بيروت : عالم الكتب .

٤٢- **الناسخ والمنسوخ** . قتادة السدوسي (ت ١١٨هـ) .

٤٣- **الناسخ والمنسوخ** . أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ؛ تحقيق محمد صالح المديفر ، ١٤٠٥هـ .

٤٤- **الناسخ والمنسوخ** . أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ؛ دراسة وتحقيق د . سليمان اللاحم ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة .

٤٥- **الناسخ والمنسوخ** . هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠هـ) ٠- ط١ ٠- المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م .

٤٦- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** . القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري (ت ٥٤٣هـ) ؛ تحقيق د. عبد الكريم المدغري، ١٩٨٨م ٠- المغرب : وزارة الأوقاف .

٤٧- **ناسخ القرآن ومنسوخه** . ابن البارزي (ت ٧٣٨هـ) ؛ تحقيق د . حاتم الضامن ٠- بيروت : عالم الكتب .

٤٨- **النسخ في دراسات الأصوليين** . د . نادية العمري، مؤسسة الرسالة ٠- طبعة ١٩٨٥م.

٤٩- **النسخ في القرآن الكريم** . د . مصطفى زيد ٠- ط ١ ، ١٩٦٣م.

٥٠- **هدية العارفين** . إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ) .

٥١- وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)؛ تحقيق د . إحسان عباس، دار صادر .

الدوريات :

مجلة جامعة مؤتة (النسخ عند السيوطي)، مجلد١٠ ، ع٣، آب ١٩٩٥م.

ثقافة النص المترجم

الترجمة وتحريف الكلم

الدكتور: محمد خير البقاعي*

* إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق ١٩٨٠م .
- دبلوم دراسات عليا (القسم اللغوي من جامعة دمشق ١٩٨١م .
- دبلوم دراسات معمقة (ماجستير) من جامعة ليون الثانية - فرنسا ١٩٨٦م.
- دكتوراه في علوم اللغة من جامعة ليون الثانية - فرنسا ١٩٩٢م.
- يعمل الآن عضواً في هيئة التدريس قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الملك سعود .

قابل نايدا وتابير في عام ١٩٧١م في كتابهما: «الترجمة: نظرية ومنهج»(١) بين نوعين من الترجمة ، الأول: تقليدي ، أداناه، وهو النوع الذي يتمثل في ترجمة التمعني(٢)، وإظهار ثقافة الآخر؛ وهذا ما يسميانه «التراسل الصوري»، ويقابلان هذا بمنهج جديد يسميانه «المعادل الحيوي» ، الذي لا يلقي كبير أهمية لشكل الرسالة، ويولي كل الأهمية لرد فعل المتلقي . وهما بهذا يقران إذاً بأن المقصود بالترجمة هو القارئ ، وينبغي ، والحال هذه، أن يكون فهم هذا القارئ ورد فعله مطابقين لفهم قارئ النص الأصلي، وأن يكون له رد الفعل نفسه. وإذا قوبلا بالقول: إن القارئ متنوع الأنماط والمستويات ، فإنهما يجيبان بأن المقصود هنا هو القارئ «المتوسط»، وهذا بالدرجة نفسها في مستوى النص الأصلي والنص المترجم. وتقضي الترجمة تشكيل النص المترجم حسب قالب اللغة

---

(1) *NIDA E. A., TABER Ch.- R., : La traduction : théorie et méthode, Alliance Biblique universelle. Londres,1971.*

(٢) نترجم بالتمعني كلمة *signifiance* ، وتعني المعنى مقروناً بالمتعة .

المترجم إليها و«عبقريتها»، باللجوء إلى معادلات تضفي على النص المترجم سمتاً طبيعياً بدلاً من أن تتركه يشف عن الغرابة. فالأولوية إذاً هي بوضوح للمعنى واللغة. وليس من مقاصد الترجمة إضفاء البريق على خطاب الآخر، الذي يخضع للغة الترجمة، أما الشكل والأسلوب فإنهما يأتيان في المقام الأخير إذا سمحت المعادلة بذلك. والترجمة بهذا المفهوم هي قراءة تنقل النص المترجم من محيط ثقافي إلى محيط ثقافي آخر، وقد يحصل الاختلاف في القراءة حتى بين اللغات المتقاربة في البنية والشكل؛ مثال ذلك أن وليم جونز الإنجليزي ترجم في عام ١٧٧٤م معلقة امرئ القيس إلى الإنجليزية، ولما وصل إلى قول الشاعر العربي: (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل) ترجم نسيم الصبا بعبارة *eastern gale*، ومعناها "الريح الشرقية الهوجاء"، وعندما جاء الشاعر الألماني الكبير جوته ليترجم في عام ١٧٨٣م شذرة النسيب من معلقة امرئ القيس إلى الألمانية انطلاقاً من الترجمة الإنجليزية غير عبارة "الريح الشرقية الهوجاء" إلى عبارة معناها بالألمانية «الريح الغربية»؛ ويتساءل الباحث الأمريكي ياروسلاف ستيتكيفتش عما يكمن وراء مثل هذا الانطلاق المبهرج على نحو مبتذل من السلطة الفيلولوجية لجونز، ويقول: هل كان جوتة ببساطة متهاوناً أو مشوشاً بسبب أن إنجليزية جونز عتيقة جعلته يدعو نسيم الصبا الرقيق ريحاً شرقية هوجاء؟ أو أن جوته، الكلاسيكي من الطراز الأول ارتكب ببساطة سوء فهم إبداعي آخر ، فتحولت لديه ، بفعل كلاسيكيته الدقيقة، وفي ارتباط شعري ملزم إذا جاز التعبير ، الريح العربية الرقيقة إلى زفير أي ريح غربية *der West-wind*؛ وتلقي قصيدة آخرى ضوءاً على فهم جوته المعقد للصبا العربية، فهو يوقع على نحو صحيح ومثير للإعجاب على موتيف الريح الشرقية/الصبا في القصيدة التي تبدأ بقوله:

(وقد يحزن العدو على قتلاه=*Seine Toten mag der Feind betrauern*)، ويصله فيها بمكان النُعمى *locus amoenus* الذي ينتهي إلى الجنة السماوية الإسلامية، وهو يجعل تلك الريح تحمل سرباً من الحوريات إلى أولئك الذين من المخلصين الذين سقطوا في معركة بدر، يقول:

والآن تأتي رياح رقيقة من الشرق بسرب من حوريات الجنة

ربما يجعلن العدو يحزن على موتاه(١) .

ويبدو أن هذا المثال أكثر الأمثلة مناسبة لما نحن فيه بصدد ثقافة النص المترجم التي تعد في رأينا من أخطر القضايا التي تواجه المترجمين الحقيقيين، الذين تؤرقهم الترجمة، وتأخذ بألبابهم بحثاً عن معادلات يقتربون بوساطتها من ثقافة النص المترجم. إن «المعادلات» قضية ثقافية، لها ارتباط بما يعبر عنه النص، وبالتالي عن رؤية مؤلفه للعالم المحيط به، لأن فوق كل شعب، كما يقول نيتشة، سماء من المفاهيم الموزعة توزيعاً رياضياً؛ وعليه، وحسب مقتضيات الحقيقة، يعتقد ذلك الشعب أن كل الإله المدرك بالحس لا يمكن التماسه في أي مكان سوى في فلكه نفسه(٢) . أما اللغة والأسلوب فينبغي على المترجم أن ينتقل بهما من عبقرية لغة الانطلاق إلى عبقرية لغة الوصول، لأن لكل لغة عبقريتها، وإتقان المترجم لهذه العبقرية من شروط الترجمة الناجحة. ويقول عبد السلام بنعبد العالي في هذا

(١) انظر فيما أوردناه في الحديث عن جونز وتعليق ستيتكيفتش كتاب : صبا نجد ، شعرية الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي ، تأليف البروفسور ياروسلاف ستيتكيفتش ؛ ترجمة الدكتور حسن البنا عز الدين ، نسخة مخطوطة ، ص٢٣٧ - ٢٣٨ الهامشان ٧٥ و ٩٧ .

(٢) انظر لذة النص ، لرولان بارت ؛ ترجمة محمد خير البقاعي ٠- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨م ، ص٣٦ .

السياق: "إن مصير أعظم الترجمات وأكثرها إتقاناً هو الزوال. بهذا المعنى، فالمترجم مبدع في لغة أخرى، أو على الأصح مبدع في اللغة. ومن أجل ذلك، فلا يكون عليه أن ينقل النص الأصلي وينسخه، ولا أن يهتم بتبليغ معناه الأصلي؛ إذ لا علاقة للترجمة بالتبليغ والإخبار. مهمة المترجم هي أن يسمح للنص بأن يُنقل من ثقافة إلى أخرى، وأن يمكنه من أن يبقى ويدوم. ولا معنى للنقل إن لم يكن انتقالاً، ولا للبقاء إن لم يكن تحولاً وتجدداً، ولا للتجدد إن لم يكن نمواً وتكاثراً»[1] .

لكن الإشكالية تظل في قضية «المعادلات» ، وخصوصاً عندما يجد المترجم نفسه أمام نص مقدس، موحى كنص القرآن الكريم، الذي يدخل في تقليد توحيدي انطلقت منه، أو من المفترض أن تكون كذلك، الكتب السماوية التي حدثنا عنها، والتوراة والإنجيل على وجه الخصوص. كيف يمكن لنص معجز أوحي به لنبي يدعو إلى التوحيد أن ينتقل بمفاهيمه التوحيدية إلى مجتمعات وثنية عبر لغات لن يجد فيها المعادلات المطلوبة، حتى لو وجد فيها العبقرية اللغوية المساعدة. تلك هي القضية فيما يأتي:

يتحدث المؤرخون عن أن يعقوب (الملقب بإسرائيل)، هاجر حوالي القرن السابع عشر ق. م. هو وأولاده وحفدته من بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) إلى مصر، على إثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة، وما أصاب مراعيها من جفاف، وكان عددهم سبعين نفساً بحسب ما تذكره أسفارهم. وكان الوزير الأول بمصر هو يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسه، فأكرم مثوى أبيه وإخوته، وعطّف عليهم قلب فرعون ملك مصر حينئذٍ، وأقطعهم بأمره أرضاً في أخصب البقاع، وانقسم بنو إسرائيل في هذه الفترة اثنتي عشرة قبيلة تنحدر كل قبيلة منها من ولد من أولاد

(١) في الترجمة . عبدالسلام بنعبد العالي ·- بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م ، ص٣١ – ٣٢.

يعقوب الاثني عشر، وهم الذين يعبر عنهم في القرآن بالأسباط. ومن هؤلاء قبيلة لاوي (أوليفي) التي عهد إليها فيما بعد بالإشراف على الشؤون الدينية، وكان منها موسى وهارون ومريم البتول وعيسى[١] . ويبدو من استعراض ما جاء في القرآن الكريم عن التوراة أنها في أصلها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى، ولكن هذا الكتاب كما يبدو اندثر بموت موسى وهارون، وانصرفت عنه بنو إسرائيل إلى عباداتها الوثنية التقليدية التي جاءت التوراة لتنهاهم عنها، وقد أنزل الله على الرسول ﷺ ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة الصحيحة من عقيدة وشريعة وقصص، فأحياها في صورتها الأولى نقية بيضاء، حتى إن موسى عليه السلام لو بعث الآن لاتبع محمداً وتبرأ من توراتهم؛ يقول تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢] . ولكي تتضح لنا الفرضية التي نود طرحها لا بد من القول: إن لغة التوراة هي العبرية اعتماداً على قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، والعبرية لغة بني إسرائيل الذين هاجروا إلى مصر وخرجوا منها مع موسى عليه السلام، وإذا استعرضنا الملخص الذي جاء في القرآن الكريم رأينا أن التوراة الصحيحة هي توراة المفاهيم التوحيدية التي أرساها إبراهيم عليه السلام، وجاءت

---

(١) اليهودية واليهود ، بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي ، د . علي عبدالواحد وافي ٠- القاهرة : نهضة مصر ، د . ت ، ص١١٢ . وفيه معلومات مستفيضة عن كل ما يتعلق باليهود وتاريخهم ، وفرقهم . وانظر كتاب الدكتور فضل بن عمار العماري ، اليهود دراسة تاريخية٠- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، وهي دراسة تبصرية اعتمد فيها على دقة فهم النصوص لتغيير بعض ما استقر بين الناس على أنه حقائق .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٧٩ ؛ وانظر الآيتين ٤٥ و ٤٦ من سورة النساء ؛ والآية ١٣ من سورة المائدة.

في كل الكتب السماوية واحدة. أما أسفار العهد القديم التسعة والثلاثون[1] فقد كتبت بالعبرية أيضاً، وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار، وتنم على العصور التي ألف فيها كل سفر منها. ولا يستثنى من ذلك إلا أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية، وهي اللغة التي صرعت العبرية وحلت محلها، وكان تغلبها على العبرية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ويدخل في هذا القسم بعض أجزاء من سفري عزرا، ودانيال، وفقرة واحدة من سفر أرمياء، وكلمتان اثنتان في سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، وأن ما ألف من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ قبل الميلاد[2].

إذاً، التوراة الصحيحة، التي نجد ملخصاً لها في القرآن الكريم، وبعض آثارها في الأسفار الخمسة الأولى مما يسمى بالعهد القديم اليوم، كتبت باللغة العبرية،

---

(١) ينقسم العهد القديم إلى أربعة أقسام : القسم الأول ، كتب موسى أو الأسفار الخمسة ، أو البانتاتيك ، وهي : سفر التكوين ؛ وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وهي التوراة في نظر اليهود ؛ والقسم الثاني ، يسمى الأسفار التاريخية وهي اثنا عشر سفراً تتضمن تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين ، وهي : يوشع ، والقضاة ، وراعوث ، وصموئيل (سفران) ، والملوك ، وأخبار الأيام (سفران) ، وعزرا ، ونحميا ، وإستير ؛ والقسم الثالث يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهي خمسة : سفر أيوب ، ومزامير داود ، وأمثال سليمان، والجامعة من كلام سليمان ، ونشيد الأناشيد لسليمان ؛ والقسم الرابع يسمى أسفار الأنبياء ، وهي سبعة عشر سفراً تعرض لتواريخ الأنبياء الذين أرسلوا لبني إسرائيل بعد موسى وهارون ، وهي : أشعياء ، وأرمياء ، ومراثي أرمياء ، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونس، وميخا ، وناحوم ، وحَبَقوق ، وصُفُنْيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاحي . انظر كتاب اليهود واليهودية، م . س ، ص٩ - ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٨ .

وليس بالمستغرب أن نجد فيها بعض الكلمات الآرامية فهما لغتان من أصل واحد، وربما كانت تلك الكلمات التي نجدها في الآرامية ذات أصل عبري. وأود الوقوف عند فترة عزرا الذي يرجع الفضل إليه في إعادة طائفة من بني إسرائيل في القرن الخامس ق. م من منفاهم في بابل إلى أوطانهم. وقد حرر الديانة اليهودية وأعاد بعض معالمها، وجدد بناء بيت المقدس. وإليه ينسب تحرير كثير من أسفار العهد القديم التي كانت احترقت في أثناء الغزو البابلي. وقد نال عزرا في نفوس بني إسرائيل منزلة كبيرة حتى لقد اعتقدت بعض فرقهم أنه ابن الله، وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾(1) . أقف عند هذه المرحلة

---

(1) سورة التوبة ، الآية : ٣٠ ، وانظر المصدر السابق ، ص١٢ ، الحاشية (٨) . وجلجامش كان ثلثه بشري وثلثاه إلهي حسب الملحمة . وانظر حول عزرا وحياته بحثاً بعنوان : التوراة بين تحريف اللفظ وتحريف المعنى مع دراسة لكاتبها عزرا للدكتور عبدالحليم كل أحمدي ، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية** ، جامعة الكويت ، العدد ٤٥ ، السنة ١٦ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص١٢١ - ١٧١ ؛ وخلص الباحث إلى إثبات أن التوراة حرفت لفظاً ومعنى ، وأنه لا دليل على نبوة عزرا كاتب التوراة ، وأن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ... إلخ فقد اختلف فيه العلماء بين أرميا وعزير ، وعلى فرض أن يكون الثاني ، فلا دليل يؤكد أنه عزرا كاتب التوراة ، ولا سيما أن المصادر اليهودية نفسها تعتبره كاهناً أو كاتباً وليس نبياً ؛ وانظر في السياق نفسه ، وفي المجلة السابقة نفسها ، العدد ١٧ ، السنة ٧ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م بحثاً بعنوان : فرض في التوراة قابل للتحقيق للدكتور حمدي عبدالعال ، ص١٩ - ٦١ . ويذكر فيه أن عزرا توفي سنة ٤٤٤ ق . م ، ويفترض أن ما بين أيدينا اليوم من التوراة هو صورة لأسفار عزرا في تاريخ بني إسرائيل ، اعتمد في كتابتها على مصادر ومراجع شتى ، لم يكن منها توراة موسى عليه السلام مرجعاً مستقلاً ، ولدعم هذه الفرضية قسم البحث على النحو التالي : تأريخ لتوراة موسى عليه السلام ومصيرها الذي آلت إليه ، مقدمة ضرورية للفرض الذي طرحه في توراة عزرا ومسوغاته ؛ وختم بالضوابط التي يجب مراعاتها لمن يريد تحقيق هذا الفرض . وانظر في قضية كتابة عزرا التوراة كتاب نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة ، تأليف أحمد حجازي السقا -- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٦م ، ص٧٢ - ٩٤ ؛ ١٢١ - ١٢٧ ؛ ١٤٢ - ١٤٦ .

لأشير إلى أول ملامح فرضيتنا التي سميناها ثقافة النص المترجم. إن هذه الفكرة (ابن الله) فكرة بعيدة عن الفكر التوحيدي الإبراهيمي الموسوي، وهي فكرة وثنية كانت شائعة في بلاد الرافدين منذ جلجامش، ولا بد أن عزرا قد استوحى هذه الفكرة من تراث السومريين كما نراه في ملحمة جلجامش التي دونت باللغة الأكدية (أو العقدية على الأرجح)، فملأ الصياغة الجديدة لما احترق من التوراة بمفاهيم تعدد الآلهة وغيرها من المفاهيم الوثنية التي كانت شائعة في بلاد الرافدين التي عاش كثير من اليهود فيها سنين طويلة. وقد كانت هذه الفكرة شائعة في الحضارة اليونانية التي نجد لديها معادل جلجامش لدى السومريين والعقديين والبابليين والأشوريين، وهو هرقل الذي كان «ثلثاه، شأنه شأن جلجامش، إلهي، والثلث الباقي بشري»[(١)] . وستنتقل هذه الفكرة، فكرة ابن الله، إلى العقيدة المسيحية، تأثراً بالعقلية الوثنية التي كانت شائعة لدى اليونان كما سنرى. ولعل هذه ثانية خطوات التحريف الذي طال التوراة الأصلية[(٢)] ، أما الأولى فهي بلا شك التحريف الذي طاله بعد موت موسى، ويبدو لنا أن هناك نوعين من التحريف: تحريف داخلي،

---

(١) انظر ملحمة جلجامش ، ترجمها عن الألمانية د . عبدالغفار مكاوي ؛ راجعها على الأكدية د. عوني عبدالرؤوف ·- الكويت ، ١٩٩٤م ، ص٧٠ ، وانظر المقدمة ، وحديثها فيها عن تأثر ما يسمى بالعهد القديم بهذه الملحمة .

(٢) انظر في رأي العلماء المسلمين في معنى التحريف ، أحمد أمين في ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٢٧ - ٢٢٨ ·- مصر : مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٤م ، وهو يعتمد فيما يقوله على كتاب ابن قيم الجوزية . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج٢ ، ص٣٥١ ؛ وانظر كتاب نقد التوراة ، د . أحمد حجازي السقا ، م . س ، ص١٧١ - ١٨٣ .

وينقسم بدوره إلى قسمين: تحريف بالزيادة والتبديل والنقصان[١]، وذلك بدس نصوص غير موحاة في ثنايا النص الموحى سعياً إلى مكاسب دنيوية، وقد عمد إلى ذلك أحبار اليهود مستغلين جهل عامة اليهود بكتابهم المقدس؛ أما النوع الثاني فهو تحريف بالتأويل[٢] ، ويدخل في هذا الإطار تأويل ما صح من نصوص التوراة وما لم يصح حسب الأهواء والمصالح، وتغيير ذلك منذ القديم، وقد نتج عن هذا التأويل ما سمي بالتلمود، أو المشناة بمعنى المثنى أو المكرر، ثم شرحت هذه المشناة وسميت الجمارا أي الشرح والتعليق، ومن المشناة والجمارا تألف التلمود الذي يعني «التعاليم»، وأصبح لا يقل أهمية عن التوراة، وقد كتب المشناة بالعبرية الربانية[٣] ، وألفت شروحه الجمارا بالآرامية. إن هذا التأثر بالتراث الرافدي الوثني[٤] في

---

(١) وقد تحدث عنه رحمة في كتابه **إظهار الحق** ٠- الدوحة ، قطر : دار إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٣م ، ص٢٠٧ - ٢٩٨ ، في ثلاثة مقاصد ؛ التحريف اللفظي بالتبديل ، والتحريف بالزيادة ، والتحريف بالنقصان ، وأورد أمثلة لذلك كله ، من التوراة والأناجيل . ومثال تحريف النقصان ما استفاض في كتب التفسير من مسألة رجم الزاني وغير ذلك .

(٢) وهو ما يسميه رحمة الله في كتابه **إظهار الحق** ، ص٢٠٩ التحريف المعنوي ، ويقول : ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني ، لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات ، التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح ، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود .

(٣) وهي تختلف اختلافاً غير يسير عن العبرية التي دونت بها أسفار العهد القديم . انظر كتاب **اليهودية واليهود** ، م . س ، ص٢٨ .

(٤) ولعل من المظاهر الدالة في هذا السياق : أن الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ثاني أئمة الدولة السعودية الأولى عندما عيره باشا بغداد بأن بلاده هي بلاد مسيلمة فأجابه: وإذا كانت بلادنا بلاد مسيلمة ، فإن بلادك شهدت ولادة عبادة الأوثان ، وكان أهلها يعبدون النار قبل أن ترى النور ، انظر **تاريخ مصر في عهد محمد علي** لمؤلفه فليكس مانجان (بالفرنسية) ، ج٢ ، ص٥٤٠ .

صياغة عزرا، والتأرجح بين العبرية، لغة التوحيد في الأصل، والآرامية لغة الوثنيين، وترجمة الكتاب المقدس إليها في مدرسة بيت المقدس، إذ كانوا يكتبون الفقرة بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية، وقد أطلق على كتبهم هذه اسم «الترجوم» ؛ أما السريان الذين انشقوا حسب قولهم عن الآراميين الوثنيين، وسموا لهجتهم الآرامية السريانية ليتميزوا من الوثنيين، فإنهم وقعوا في حبال وثنية آخرى هي الوثنية اليونانية، قرينة الوثنية الرافدية، فترجموا العهدين القديم والجديد إلى اللغة السريانية، ولم يترجموه عن العبرية بل ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية، وكذلك فعل المسيحيون الفلسطينيون الذين ترجموه إلى لهجتهم الآرامية الحديثة عن الترجمة اليونانية. كل هذه التراجم حرفت[1] النص الأصلي باختلاف الثقافة التي كان النص ينتقل إليها. وقد كان الأمر على فداحته لا يزال في إطار اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة. وحصل التحريف الكبير عندما انتقلت تلك النصوص والأسفار إلى ثقافة أخرى بعيدة بروحها وتفكيرها عن ثقافة النص

---

(١) كل الذين تحدثوا عن التحريف عرضوا إلى دور الترجمة فيه ، ولكنهم أوردوا أمثلة عليه دون أن يعرضوا الأساس النظري في ذلك ، انظر نقد التوراة ، م . س ، ص ٥٣ - ٥٩ ؛ ٦٥ ؛ وفيها رأي مهم للفيلسوف اليهودي اسبينوزا عن الترجمة ؛ وانظر ص٢٠٧ أيضاً . ويقول شاهين مكاريوس في تاريخ الإسرائيليين ، ص٣٧ : «في عهد بطليموس فيلادلفوس ٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م تُرجمت التوراة العبرية إلى اللغة اليونانية ، وقام بها اثنان وسبعون عالماً من علماء اليهود، وانتهوا منها في اثنين وسبعين يوماً . وكان يهود فلسطين يعتبرونها مزيفة ، لكثرة التحريفات والزيادة التي أوقعها فيها النساخ ، وحسبوا اليوم الذي تمت فيه الترجمة من أيام نحسهم ، وهي تحتوي أسفار الأبوكريفا ، أي غير القانونية» . وسميت بالسبعينية لهذا السبب. ووضع لتصحيح هذه الترجمة ثلاث ترجمات يونانية لا نعرف عنها إلا اسمها؛ وهناك ترجمات آرامية تعرف بالترجوم ؛ وسريانية ، ولاتينية (فولجات) ، وهي الترجمة الرسمية للكنيسة الرومانية . انظر المرشد إلى الكتاب المقدس ٠- بيروت ، ١٩٥٨م ، ص٥٥ - ٥٦ .

الأصلي، فلئن كان في الآرامية بلهجاتها المختلفة، والعقدية والسومرية بعض ملامح الفكر التوحيدي، الذي هو إرث المنطقة، وإن تفاوتت العصور في التمسك به، لقد كان انتقال التوراة أولاً، العهد القديم، والإنجيل[1] ثانياً إلى اللغتين اليونانية

---

(١) هو الكتاب الذي جاء به عيسى عليه السلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة / ٤٦] . وما في أيدي المسيحيين اليوم ليس إنجيلا واحداً ، وإنما المعتمد عندهم أربعة أناجيل : (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) من بين نيف ومئة إنجيل ، ألف بعضها تلامذة المسيح ، وبعضها ألفها تلاميذ تلامذته أو من بعدهم ، وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المئة ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها ، وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من انقطاع السند ، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقي أو المترجم ، ومبلغ أمانته الدينية ، وحرصه على الصدق ، وعلى ما بينها من اختلاف حقيقي في المضمون المفضي إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب . وكلمة الإنجيل في حقيقتها أعجمية معربة عن اليونانية ، ومعناها في اليونانية البشارة ، أي الجُعل الذي يُدفع للبشير ، ومن ثم أطلق على البشرى الطيبة مجازاً ، ومن اليونانية انتقلت إلى الآرامية *ewangliwan* ، ومن الآرامية إلى الحبشية *wangil* ، ومنها إلى العربية إنجيل بعد إبدال الواو فيها همزة ، ولما عُرِّبت الكلمة أصبحت جزءاً من الثروة اللفظية للعربية الفصحى فاشتقوا منها واشتقوا لها كما يفعلون بالكلم العربية صليبة ، وما ذلك إلا لأنها وافقت أصلاً من أصولهم بعد تعريبها فجاءت على وزن (إفعيل) كإزميل ، وإحليل وإكليل وإسفين ونحوها ، وأضافوا لها معاني أخرى لا علاقة لها بمعناها الأساس وهو البشارة ، فقال ابن دريد في الجمهرة في تقاليب مادة (ن ج ل): (... واستنجل الماء إذا ظهر ... ويمكن أن يكون اشتقاق الإنجيل من هذا) ؛ وقال ابن فارس في المقاييس : (... ويقال : الإنجيل عربي مشتق من نجلت الشيء : استخرجته ، كأنه أمر أُبرز وأظهر ما فيه) . أما الزمخشري فقد أدرك على ما يبدو ما أصاب هذه الكلمة من تعسف الاشتقاقيين حين تكلفوا لها أصلاً عربياً يشتقونها منه بقوله : (التوراة والإنجيل : اسمان أعجميان ، وتكلف اشتقاقهما من الرمي والنجل ، ووزنهما بتفْعلَة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين) ؛ وذكر صاحب اللسان أن الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى ==

واللاتينية تخلياً تاماً عن مفاهيم التوحيد التي تبدو حتى فيما تبقى منها غريبة على ذينك المجتمعين وعن ثقافتهما، وكان لا بد للنصوص التي تترجم إليهما أن تضع ذلك نصب عينيها. إذاً، النوع الثاني من التحريف هو ما سميناه التحريف الخارجي، ونعني به التحريف بالترجمة؛ وهو قسمان أيضاً: تحريف إطاري، أي في إطار اللغات من أسرة واحدة، وتحريف بعدي، وهو تحريف في خارج إطار لغات الأسرة الواحدة، وهذا ما حدث بانتقال الكتابين المقدسين إلى اللغتين اليونانية واللاتينية، وقد صارت هاتان اللغتان لغتي مصدر لهذين الكتابين ترجما عنهما إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها، بل ترجما عنهما إلى واحدة من أقرب لغات الأسرة السامية

== عليه السلام ، وهو اسم عبراني أو سرياني وقيل : هو عربي ، وقرأ الحسن أنجيل بفتح الهمزة ، وليس هذا المثال في كلام العرب . قال الزجاج : وللقائل أن يقول : هو اسم أعجمي، فلا ينكر أن يقع بفتح الهمزة ، لأن كثيراً من الأمثلة الأعجمية يخالف الأمثلة العربية نحو آجر ، وإبراهيم ، وهابيل ، وقابيل . والذي ذهب إليه ابن منظور نقلاً عن الزجاج من جعل أنجيل بفتح الهمزة أعجمياً صحيح في جملته ، لكنه ليس عبرانياً أو سريانياً ، وإنما هو يوناني دخل العربية عن طريق الحبشية لأن الصورة الحبشية *Wangil* هي أقرب إلى الصورة العربية إنجيل من غيرها . ويذكر معجم روبير الصغير للغة الفرنسية أن كلمة *Evngile* دخلت الفرنسية في القرن الثاني عشر الميلادي من أصل لاتيني هو *evangelium* ، ويوناني هو *euaggelion* ، ويبدو لنا أن الكلمة ، شأنها شأن الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام ، ذات أصل آرامي بمعنى البشارة ، ولما كانت الآرامية لغة سامية فلا عجب أن نجد الكلمة في السريانية والعبرية ، ولما انتقلت إلى اليونانية مع انتقال المسيحية إليها مع ترجمة الإنجيل اكتسبت في اليونانية حق المواطنة ، ثم طافت أوربا وغيرها من البلاد التي حلت بها المسيحية ولكن بثيات يونانية ، ثم ما لبثت أن وضعت عصا الترحال في جزيرة العرب . انظر: هجرة الكلم أو سياحة الألفاظ للدكتور إبراهيم آدم إسحق ، **مجلة جامعة أم درمان الإسلامية** ، العدد الثالث ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٦٨ - ٧١ .

إلى اللغة السامية الأم، إنها العربية، مستودع أسرار الساميين وتوحيدهم[١] . وقد تناول الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي في كتابه «إظهار الحق» قضايا التحريف المرتبطة بالترجمة[٢] فجاء بالعجائب في هذا الباب في رده على

---

(١) الترجمة السبعينية إلى اللغة اليونانية ، وتمت بأمر من ملك مصر بطليموس فيلادلف على يد اثنين وسبعين فقيهاً ، وتشتمل على أربعة عشر سفراً لا وجود لها بالأصل العبري ، وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللاتينية ، وعلى الرغم من ذلك فإن التحريف والزيادة والنقصان قد اعترت تلك الترجمة مقارنة بأصلها اليوناني . انظر كتاب **اليهودية واليهود** ، م . س ، ص١٩-٢٣.

(٢) تحدث عبدالمجيد همو في كتابه: **التوراة تحريف وتزوير** ٠- دمشق: دار الحافظ، ١٩٩٨م، ص٣١-٩٤ عن ثلاثة أنواع من التحريف سماها: تحريف ترجمة ، تحريف سهو ، وتحريف عمْد ، وعن أسباب التحريف ، وهي لديه سببان: تعدد المصادر وفقدان التوراة. وهو ينقل في هذا القسم عن كتاب إظهار الحق ؛ لأنه في رأيه خير من تحدث عن تحريف الترجمة ، وهو شأنه شأن إظهار الحق يتحدث عن نتائج هذا التحريف دون الوقوف على مسبباته. وانظر كتاب **تاريخ سورية العام** للدكتور أحمد يوسف داود ، ص٤٩٠ ؛ وكتاب فراس السواح ، **الحدث التوراتي**، ص٢١٧ . فقد تحدثا عن أخطاء الترجمة أيضاً . وقسم همو العلماء العرب الذين عالجوا قضية التحريف إلى زمر أولهم: علماء قدامى عاصروا الزيف اليهودي وتحريف توراته وكتابتها ومنهم كما يقول : فيلون الجبيلي وسانخونياتن البيروتي ؛ إذ ترجم الأول كتب الثاني إلى اليونانية للرد على اليهود الذين ترجموا التوراة إلى اليونانية وبدلوا في صيغة الأسماء والمواقع . وقد عاش فيلون الجبيلي بين عامي ٦١ ق . م - ١٤١م ، وهو القائل عن اليهود : «لقد ألفت آذاننا منذ سنواتنا الباكرة سماع مروياتهم الكاذبة ، ونفوسنا التي تشربت هذه الأباطيل منذ قرون تحفظ الخرافات المصطنعة كأنها كنز ثمين» . انظر كتاب همو ، م . س ، ص٢٣-٢٤ ؛ و٥٠ ؛ أما الزمرة الثانية فهم العلماء العرب المسلمون ؛ والثالثة: علماء مسلمون في العصر الحالي ، والزمرة الرابعة هم علماء عرب مسلمون وغير مسلمين ؛ ونقل همو في ص٦٦ عن إظهار الحق ، م . س ، ما ذكره مؤلف الكتاب عن رسالة الهادية لعبدالسلام ، الحبر اليهودي الذي أعلن إسلامه ، وقال في رسالته : «واعلم أننا وجدنا ==

القس البريطاني الشهير فندر *Funder* ، وتحدث فيه عن مواطن التحريف في العهدين القديم والجديد، وحديثه عن العهد الجديد مستفيض بين أنه لا يوجد لدى أهل الكتاب سند متصل لكتاب من كتب العهدين القديم والجديد، وقال إن هذه الكتب مليئة بالاختلافات والأغلاط مما يثبت أنها من عند غير الله اعتماداً على قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء، ٨٢] . إذاً، لقد تحدث القدماء والمحدثون عن التحريف، وتحدث رحمة الله عن دور الترجمة في التحريف، ولكنه لم يربط بين هذا وبين ما جاء في كتاب الله عن القضية، يقول: «إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد، وإنهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون إلى الامتياز، وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم، ومن تأمل في تراجمهم المتداولة بألسنة مختلفة وجد شواهد تلك الأمور كثيرة»(١) ولكي نتبين الأساس النظري لفرضيتنا أقول: ذكرت في موضع آخر(٢) إن لقضية "تحريف الكلم"

== في أشهر تفاسير التوراة المسمى عندهم بالتلمود أن تلماي الملك ، وهو بعد بختنصر ، طلب من أحبار اليهود التوراة ، ولم يعتمدوا على إظهاره ؛ لأنه كان منكراً ، فاجتمع سبعون رجلاً من أحبار اليهود فغيروا ما شاءوا من الكلمات التي كان يذكرها ذلك الملك خوفاً منه ، فإذا أقروا على تغييرهم فكيف يؤتمن على آية واحدة» .

(١) إظهار الحق ، م . س ، ص٥١١ وما بعدها . وقد ذكر أمثلة من التراجم المختلفة للأناجيل جاء فيها الاختلاف واضحاً بيناً .

(٢) محاضرة بعنوان : الأسس الفكرية لترجمات القرآن الكريم في أحدية الشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري التي عقدت في ١٢ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/١٧م ؛ ولقيت المحاضرة اهتماماً إعلامياً تجلى في التغطيات الصحفية التي تحدثت بالتفصيل عن المحاضرة ، وفي مبادرة ملحق ثقافة اليوم في صحيفة «الرياض» إلى إجراء حوار مع كاتب هذه السطور ==

الواردة في القرآن الكريم علاقة بالترجمة، وهي قضية لم أر من طرحها قبل اليوم، وفي غير هذا المكان، ولم أرد أن تظل فكرة خطيرة كهذه مجرد فكرة، فاخترت أن أعمق البحث فيها وأفصلها؛ ولا بد لي بادئ ذي بدء من استعراض الآيات التي ورد فيها الحديث عن تحريف الكلم في القرآن الكريم، وهي أربع آيات، أولها قوله تعالى في سورة البقرة/٧٥: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وقوله في سورة النساء/٤٦: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. وقوله في سورة المائدة/١٣: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. وقوله في سورة المائدة/٤١ أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

== حول الموضوع، أجراه الأستاذ محمد الهويمل في العدد رقم ١٢٥٨٠، بتاريخ ٢٨ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/٣م؛ وكتب عنها الأستاذ علي القحطاني في صحيفة الجزيرة في عددها ١١٠١٤ بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ / ٢٤ نوفمبر «تشرين الثاني» ٢٠٠٢م، ص٣١؛ والأستاذ محمد عبدالله الهويمل في صحيفة «الرياض»، العدد ١٢٥٧٠، بتاريخ ١٨ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/٢٣م، ص٥؛ وصحيفة الشرق الأوسط في عددها ٨٧٦٢ بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/٢٤م، ص١٧.

خزيٌ ولَهُمْ في الآخِرةِ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ . ولو استعرضنا ما قاله القرطبي في تفسير الآية لوجدناه يقول: (قال مجاهد والسدي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالاً والحلال حراماً اتباعاً لأهوائهم). واستعراض السياق القرآني الذي جاءت فيه الآية يدل على قضية العلم بالتوراة الحقيقي، وما فيه من صفات الرسول ﷺ ، تلك الصفات التي غيرها أحبار اليهود حسداً وبغياً. ودليل ذلك قوله تعالى في سورة البقرة/٧٩: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ وجاء في أسباب نزول هذه الآية فيما أخرجه النسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن العباس قال: نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا: نجده طويلاً، أزرق، سبط الشعر.

أما الآية السادسة والأربعون من سورة النساء، فقد قال القرطبي في تفسيره: (يتأولونه على غير تأويله. وذمهم الله تعالى بذلك ؛ لأنهم يفعلونه متعمدين. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي «الكلام» . قال النحاس : و«الكلم» في هذا أولى ؛ لأنهم يحرفون كلم النبي ﷺ ، أو ما عندهم في التوراة وليس يحرفون جميع الكلام) .

وقال في تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة: (أي يتأولونه على غير تأويله، ويلقون ذلك إلى العوام . وقيل : معناه يبدلون حروفه وقرأ السلمي والنخعي «الكلام» بالألف، وذلك أنهم غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم) .

أما الآية ٤١ من سورة المائدة فقد قال القرطبي في تفسيرها : (أي يتأولونه



على غير تأويله بعد أن فهموه عنك وعرفوا مواضعه التي أرادها الله عز وجل وبين أحكامه).

إذاً، القضية المطروحة في هذه الآيات تتعلق بتحريف الكلم؛ والكلم أخص من الكلام، وهذا أعم، فالمقصود هو تغيير الكلم الذي جاءهم به الأنبياء، وليس الكلام كله؛ قال الطبري[1] في تفسيره: «والكلم جماع كلمة، وكان مجاهد يقول: عنى بالكلم التوراة». أما التحريف فهو عدْل الكلام عن جهته، وتفسيره تفسيراً مغرضاً ينطوي على صرفه عن معانيه[2] . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: «وتحريف الكلم على

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ؛ تحقيق الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج٧ ، ص١٠٣ ؛ وانظر للفرق بين الكلم والكلام معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي ؛ تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٧٥٦ - ٧٦١ .

(٢) والتحريف في علم تحقيق المخطوطات هو : الاختلاف بين الأصل المخطوط والنسخ التي أُخذت عنه . انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية ، مجدي وهبة وكامل المهندس٠- ط٢ ٠- بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م ، ص٨٩ ؛ وقال المرتضى الزبيدي في التاج ، (حرف) : «والتحريف التغيير والتبديل ، ومنه قوله تعالى : (ثم يحرفونه) ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ ، وهو في القرآن والكلمة : تغيير الحرف عن معناه ، والكلمة عن معناها ، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه». وقال سيد قطب في ظلال القرآن : «لقد بلغ من التوائهم ، وسوء أدبهم مع الله عز وجل أن يحرفوا الكلام عن المقصود به ، والأرجح أن ذلك يعني تأويلهم لعبارات التوراة بغير المقصود منها ، وذلك كي ينفوا ما فيها من دلائل على الرسالة الأخيرة ؛ ومن أحكام كذلك وتشريعات يصدقها الكتاب الأخير ؛ وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد ، وتبعاً لهذا على صحة رسالة النبي ﷺ . وتحريف الكلم عن المقصود به ليوافق الأهواء ظاهرة ملحوظة في كل رجال دين ينحرفون عن دينهم ، ويتخذونه حرفة وصناعة ، يوافقون بها أهواء ذوي

وجهين، إما بتغيير اللفظ، وقد فعلوا ذلك في الأقل، وإما بتغيير التأويل، وقد فعلوا ذلك في الأكثر، وإليه ذهب الطبري، وهذا كله في التوراة على قول الجمهور، وقالت طائفة: هو كلم القرآن، وقال مكي كلام النبي محمد ﷺ، فلا يكون التحريف على هذا إلا في التأويل، وقرأ النخعي وأبو رجاء: يحرفون الكلام»[1] .

ويبدو لي، والله أعلم، أن القضية في تحريف الكلم أعمق من التأول على غير

السلطان في كل زمان ؛ وأهواء الجماهير التي تريد التفلت من الدين ... واليهود أبرع == == من يصنع ذلك . في ظلال القرآن ، مج٢ ، ج٥-٧، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص٦٧٥ . وانظر في معنى التحريف بحثاً للدكتور وليد سراقبي في مجلة عالم الكتب السعودية ، مج٢٢ ، العددان الأول والثاني ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص٥١-٥٥ . ونقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله : «والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها ...» وعنده أن التحريف لا علاقة له بهيئة الكلمة ، وإنما هو تغيير دلالتها فحسب ، أما التصحيف فهو التغيير في هيئة الكلمة . وذهب آخرون كالشريف الجرجاني وابن حجر والسيوطي إلى أنه تغيير في الشكل بتقديم أو تأخير.

(١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ج٢ ، ص٦٢. وقال أحمد مصطفى المراغي في تفسيره ·- ط٢ ·- القاهرة : طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م ، ج٤ ، ص... : «التحريف يطلق على معنيين : أحدهما تأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له ، كما يؤولون البشارات التي وردت في النبي ﷺ ويؤولون ما ورد في المسيح ويحملونه على شخص آخر ولا يزالون ينتظرونه إلى اليوم . وثانيهما أخذ كلمة أو طائفة من الكلم من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر ، وقد حصل هذا في كتب اليهود ، خلطوا ما يؤثر عن موسى بما كتب بعده بزمن طويل ، وكذلك ما وقع في كلام غيره من أنبيائهم ، واعترف بهذا بعض العلماء من أهل الكتاب ، وقد كانوا يقصدون بهذا التحريف الإصلاح في زعمهم ، وسبب هذا النوع من التحريف أنه وجدت عندهم قراطيس متفرقة من التوراة بعد فقد النسخة التي كتبها موسى عليه السلام ، وأرادوا أن يؤلفوا بينها فجاء فيها ذلك الخلط بالزيادة والتكرار ، كما أثبت ذلك بعض الباحثين المسلمين كالشيخ رحمة الله الهندي في كتابه «**إظهار الحق**» وأورد له من الشواهد

الوجه الصحيح؛ وأن للأمر علاقة بما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريف طالهما شكلاً ومضموناً، وقد جرى هذا التحريف على مرحلتين، وبشكلين مختلفين نوضحهما فيما يلي:

نزلت التوراة باللغة العبرية تصديقاً لقوله تعالى في سورة إبراهيم/٤: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وما لبث أحبار اليهود، جرياً على عادتهم في عصيان الله، وإيذاء رسله، أن بادروا إلى تحريف هذا الكتاب بأن دسوا فيه كثيراً من أهوائهم بغياً، وسعياً وراء منفعة دنيوية، أو حسداً كما هو الحال في كل ما يتعلق بالإسلام ؛ لأننا إذا كنا نعتقد أن التوراة الحقيقية شأنها شأن القرآن هي من عند الله، فالرسالة فيهما متشابهة، وما في القرآن الكريم تكملة وإتمام لرسالة التوحيد التي جددها الله على يد إبراهيم عليه السلام، ورسخها بإنزاله التوراة على موسى عليه السلام، ودعمها برسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وختمها وأتمها بمحمد عليه الصلاة والسلام. ولم يكتف الأحبار بتشويه التوراة، ولكنهم كانوا في كل امتحان امتحنهم الله به في التفرق والشتات يترجمونه إلى لغات الأقوام الذين ينزلون في ديارهم، ولا يتورعون عن تضمينه ما يجدونه من معتقدات غريبة على الرسالة السماوية الحقيقية، وذلك طمعاً، أو رغبة، أو تزلفاً، أو لغايات أخرى تدخل فيما ذكره الله عز وجل من صفاتهم. إذاً، ترجمة التوراة المشوهة إلى اللغات الأخرى، واليونانية القديمة واللاتينية على وجه الخصوص، زادها تشويهاً، ودس المترجمون فيها عقائد اليونان واللاتينيين البعيدة كل البعد عن التوحيد الذي جاءت التوراة لترسيخه كما قلنا. لقد حاول المترجمون أن ينتقلوا من ثقافة النص المترجم، التي هي ثقافة التوحيد، إلى ثقافة اللغة التي يترجمون النص إليها، وهي ثقافة الوثنية، والشرك، ما لا يحصى.

والظواهر الطبيعية وغير ذلك ، مما يتعارض مع التوحيد. لقد كان السبي البابلي وغيره من الكوارث التي حاقت باليهود مجالاً للتحريف والتشويه، وهو تحريف الكلم الذي يتحدث عنه القرآن الكريم. وما حدث للتوراة حدث للإنجيل الذي هو في الأصل كتاب واحد، سماوي أنزله الله على المسيح عيسى بن مريم لتدعيم رسالة التوحيد الموسوية، والخروج بها من أسر التعصب والانغلاق إلى رحابة الإنسان، وكانت الخطوة التالية التي أرهصت بعالمية رسالة التوحيد كما اكتملت ببعثة النبي محمد ﷺ. ويذكر بعض المؤرخين أن اللغة التي تكلم بها رسول الله عيسى عليه السلام هي «الآرامية»[1] التي كانت منتشرة في فلسطين في عهده، فتكون هي اللغة

(١) بينما يقول رحمة الله في إظهار الحق ، ص٥١٥ : «... وهذه الأقوال المسيحية الأربعة التي نقلتها من الشاهد الأول إلى ههنا ، تدل على أن المسيح عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني الذي كان لسان قومه ، وما كان يتكلم باليوناني وهو قريب القياس أيضاً ؛ لأنه كان عبرانياً ابن عبرانية ، نشأ في قومه العبرانيين ، فنقل أقواله في هذه الأناجيل نقْل بالمعنى ، وهذا أمر آخر زائد على كون أقواله مروية برواية الآحاد» . ويبدو أن ابن حزم أول من نص على دور بولس الرسول في تحريف الإنجيل ، وهو قول سبق به علماء النصرانية واللاهوت النصراني في العصر الحديث . انظر : نجاح محمود الغنيمي ، **علماء الملل والنحل** - القاهرة : دار المنار ، ١٩٨٧م ، ج١ ، ص٧٧ ؛ وبحثاً للدكتور عبدالله العسكر بعنوان : الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات ، مقدم إلى **ندوة حوار الحضارات** (مخطوط) ، ص١٨ - ١٩. ومن العلماء الذين جادلوا حول تناقضات الإنجيل وبرهنوا على صدق وقوع التحريف في التوراة الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في كتابه «**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**» ، المصدر السابق ، ص١٨ ؛ ويبدو أن التحريف كان ، واستمر وما زال موجوداً وسيبقى ، فقد ذكر أن موسى بن ميمون (ت ٦٠٣هـ) تأول معظم النصوص التجسيمية الواردة في التوراة بناء على ملحوظات ابن حزم ونقده ، المصدر

التي نزل بها الإنجيل، في حين أن مؤرخي الكتب المقدسة يقولون إن الإنجيل الذي ينسب إلى متَّى الآن، وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم، ليس من تصنيفه يقيناً ، بل ضيعوه بعدما حرفوه ؛ لأن قدماء المسيحيين كافة وغير المحصورين من المتأخرين يقولون إن إنجيل متى كان باللسان العبراني، وهو ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية، والإنجيل الموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم أيضاً باليقين إلى هذا الحين، كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم، فضلاً عن أحوال المترجم؛ نعم يقولون رجماً بالغيب، لعل فلاناً أو فلاناً ترجمه... ونقل رحمة الله عن الموسوعة البريطانية قولها : «كُتب كل كتاب من العهد الجديد في اللسان اليوناني إلا إنجيل متى والرسالة العبرانية، فإن تأليفهما باللسان العبراني أمر يقيني بالدلائل، وقال لاردنر في الصفحة ١١٩ من المجلد الثاني من الكليات: (كتب بي بيس أن متى كتب إنجيله بالعبرانية وترجمه كل أحد على قدر لياقته)[١] . أما الأناجيل[٢] التي نجدها بالسريانية فهي من أقدم الأناجيل، والسريانية لهجة من اللغة الآرامية، إذ ما لبث الآراميون أن انقسموا إلى وثنيين، شأنهم شأن حكامهم الرومان، ومؤمنين برسالة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، أرادوا أن يميزوا أنفسهم من الوثنيين فسموا أنفسهم السريان، ولغتهم السريانية، وهي لهجة آرامية ميزت المؤمنين بالمسيح من الوثنيين، ولم يكن الاختلاف بين اللغتين ذا بال، إلا أن الاختلافات الكبيرة حدثت عندما رفع المسيح عيسى بن

السابق، ص١٧ .

(١) انظر **إظهار الحق** ، م . س ، ص٢٥٥ - ٢٥٨ .

(٢) انظر حول التحريف الذي طال الإنجيل كتاب : **مناظرتان في استكهولم** للداعية أحمد ديدات مع كبير قساوسة السويد استانلي شونبرج ؛ ترجمة علي الجوهري .- القاهرة : دار

مريم، وتولى حواريوه نشر تعاليمه في روما، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى نقل تلك التعاليم التي جاءت في الإنجيل الحقيقي إلى اللغة اللاتينية، ومنها انتقل إلى أكثر من ١٣٠٠ لغة ولهجة أخرى، ناهيك عما وجدوه مترجماً من التوراة إلى هذه اللغة منذ القديم فضموها إلى كتابهم وسموها العهد القديم بعد أن ترجموه إلى اللاتينية، وسموا تعاليم المسيح عليه السلام كما ترجموها من إنجيل متى العبراني، وكما كتبها بقية أصحاب الأناجيل باللغة اليونانية العهد الجديد، وحرفوها لتتناسب مع ثقافة المدعوين وعقائدهم السائدة قدر الإمكان، فتغيرت ثقافة النص المترجم التوحيدية لتسوده ثقافة المجتمع الذي انتقل إليه، وهي ثقافة وثنية مهيمنة، كان لا بد من عملية تلفيق يقوم بها المترجمون للمناسبة، وهذا هو تحريف الكلم، الذي صار معه الإنجيل الواحد أناجيل، اختلفت باختلاف المترجمين، وبابتعادهم أو قربهم من الإنجيل الحقيقي.

وإذا كان الكلم حين يهاجر إلى لغات أخرى لا صلة لها من حيث أرومتها باللغة الأم ثم تقفل راجعة إلى مهدها الأول تبدو وكأنها كلم أخرى غير تلك التي خرجت من حجر أمها[(١)] ، فإنه أحرى بالمعاني أن تتغير عندما تنتقل من مجتمع إلى مجتمع آخر؛ وقد تلقفت اليونانية نص الإنجيل المنزل ولما يمض على نزوله قرن من الزمن، وأقامت الترجمات مقام الأصل الآرامي، واعتمدتها أصولاً حقيقية، وهي من وضع القديسين وتعاطت الكنيسة نقلها إلى اللغات الأوربية، ثم اللغات الإفريقية واللغات الآسيوية، حتى إن بعض الألسنة لم تستكمل بيانها وتبسط نفوذها إلا بفضل هذه الترجمات، فهذا اللسان الألماني مثلاً قد استفاد أيما استفادة من ترجمة «لوثر»

الفضيلة ، ١٩٩٢م .

(١) انظر : هجرة الكلم أو سياحة الألفاظ للدكتور إبراهيم آدم إسحق ، مجلة جامعة أم درمان

لإنجيل في ترسيخ قواعده وتوسيع آدابه، ولما كان منطلق الترجمة هو الاشتغال قل الأناجيل اشتغالاً متواصلاً اتصف في بعض أطواره بصفة التوجيه المحكم التنسيق الشامل، فلا غرو أن تصير الترجمة الإنجيلية هي النموذج الأمثل الذي حتذيه عموم النقلة في مختلف دوائر المعرفة الإنسانية، قصدوا إلى ذلك أو لم قصدوا، صرحوا بذلك أو لمحوا، كما أنه لا غرو أن يستمد التصور الشائع عن العمل ترجمي أسبابه وأوصافه من هذه الممارسة المسيحية للترجمة، حتى إن المؤلفات لأولى التي اجتهدت في تأسيس علم الترجمة الحديث كانت من إنشاء أولئك الذين سندت لهم الرئاسة في ترجمة الأناجيل من أمثال نيدا، بل إن أولئك الذين لم عجبهم نمط هذا التأسيس، وانتقدوا مبادئه النظرية ومناهجه العملية كانوا ممن هد له بطول الباع في الترجمة المقدسة مثل هنري ميشونيك *H. Meschonnic*(1).

إن اللغة اليونانية حاملة ثقافة وثنية، تقوم على تعدد الآلهة، وعلى أنصاف آلهة، وعلى أبناء الآلهة وما شابه ذلك من معتقدات يتلمسها قارئ أساطيرهم معتقداتهم، وعندما يكتب المرء بهذه اللغة فلا يستطيع التحلل من سيطرة هذه فاهيم الوثنية، وعندما يترجم إليها لا يستطيع ذلك أيضاً، وهذا ما حدث للأناجيل التي كتبت باليونانية وترجمت إلى اللاتينية، أو الإنجيل الأصلي الذي يبدو أنه كتب عبرية ثم انتقل منها إلى اللغات الأخرى. ويبدو لي أن قوله تعالى في سورة المائدة/الآية ٤١ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا أفواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ

الإسلامية ، العدد الثالث ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٦٥ - ٦٦ .

(1) انظر : فقه الفلسفة : ١- الفلسفة والترجمة ، طه عبدالرحمن ،- ط١ ،- بيروت : المركز

اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إشارة إلى النوع الأول من التحريف، وهو الذي سميناه التحريف الداخلي ويكون بالزيادة والنقصان والتأويل؛ لأنه تعالى قال في هذا الموضع: (يحرفون الكلم من بعد مواضعه)، وفي بقية المواضع: (يحرفونه، أو يحرفون الكلم عن مواضعه)، وقال الطبري في تفسير الآية: «يحرفون الكلم يعني هؤلاء اليهود، والمعنيُّ حكم الكلم فاكتفى بذكر الخبر من تحريف الكلم عن ذكر الحكم لمعرفة السامعين لمعناه. وكذلك قوله من بعد مواضعه، والمعنى من بعد وضع الله ذلك مواضعه. فاكتفى بالخبر من ذكر مواضعه عن ذكر وضع الله ذلك، كما قال تعالى ذكره: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. والمعنى: ولكن البر برُّ من آمن بالله واليوم الآخر. وقد يحتمل أن يكون معناه: يحرفون الكلم عن مواضعه. فتكون «بعد» وضعت موضع «عن»، كما يقال: جئتك عن فراغي من الشغل. يريد: بعد فراغي من الشغل[1]. ولم يخرج المفسرون الآخرون في أقوالهم عن ذلك، ويبدو أن في قوله تعالى إشارة إلى انتقال الكلم عن مواضعه، هذا الانتقال الذي غير الأحكام التوحيدية في الزنا وفي غيره من الأمور التي أشار إليها المفسرون، لأن كل تغيير أسلوبي في القرآن الكريم يتبعه تغيير معنوي، والأسلوب القرآني بإشاراته الموجزة، وبلاغته المعجزة، يذكر الأشياء لمحاً يحتاج إلى تدبر. إن تغير تلك الأحكام التي أشار إليها المفسرون في حديثهم عن تفسير هذه الآية، عائد إلى تحريف الكلم بعد أن وضعه الله تعالى في مواضعه، وهو إشارة إلى التحريف الداخلي الذي قلنا إنه تحريف بالزيادة والنقصان والتأويل.

الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥م ، ص٦٣ .

أما بقية المواضع التي جاء فيها يحرفون الكلم عن مواضعه، فمن المعروف أن عن تدل على التجاوز، والتجاوز هنا هو انتقال النص من لغة إلى أخرى، وقد كان في تكرار هذه الصيغة في القرآن الكريم (مرتين؛ ٤/٤٦، ٥/١٣) دليل على أهميتها في قضية التحريف، وقد جاء إجمال نوعيّ التحريف (الداخلي والخارجي في قوله تعالى (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه/٢/٧٥). وبذلك يكون القرآن الكريم قد أجمل في أسلوبه التلميحي المعروف المعجز أنواع التحريف في هذه الآيات، ثم فصل ذلك في بعض المواضع الأخرى (البقرة/٧٩).

إن الانتقال من عالم ثقافي إلى آخر عبر الترجمة يقتضي البحث عما يسميه أوجين نيدا *Eugène Nida* "الأعدال"[(١)] ، والانتقال من مجتمع توحيدي إلى مجتمع وثني يثير مشكلات ثقافية ولغوية لم يستطع مترجمو التوراة والإنجيل إلى اليونانية واللاتينية أولاً، ومنهما إلى اللغات الأخرى لاحقاً، أن يتغلبوا عليها دون أن يقعوا فيما سماه الله سبحانه وتعالى تحريف الكلم. "لقد خضع الكتاب المقدس بعهديه لسلسلة طويلة من التحولات بين أيدي قرائه المتعاقبين. فمن ناموس العهد القديم الذي تكرس في القرن الثاني بعد الميلاد على يد الحاخام أكيبا بن يوسف إلى ترجمة جون ويكليف الإنجليزية في القرن الرابع عشر، نجد أن الكتاب الموسوم بأنه المقدس لم يكن هو ذاته من حين إلى آخر، فثمة الترجمة السبعينية اليونانية في القرن الثالث للميلاد (وهي الأساس الذي ارتكزت عليه الترجمات اللاتينية اللاحقة)؛ وما يدعى بالترجمة المقبولة (ترجمة القديس جيروم اللاتينية في أواخر القرن الرابع الميلادي)، والكتب المقدسة اللاحقة في العصور الوسطى: القوطيّ، والسلافي، والأرمني،

---

(١) تفسير الطبري ، م . س ، ج٨ ، ص٤٢٣ ؛ وانظر : **المحرر الوجيز** ، م . س ، ج٢ ، ص١٩٢ .

(١) انظر : كتاب المسائل النظرية في الترجمة لجورج مونان ، الترجمة العربية للطيف زيتوني -

والإنجليزي القديم، والساكسوني الغربي، والأنغلو-نورمندي، والإيرلندي، وفي البلاد الواطئة (هولندا)، وفي وسط إيطاليا، والبروفنسالي، والإسباني، والكاتالاني، والبولندي، والويلزي، والتشيكي، والهنغاري، وكل واحد من هذه الكتب كان عند قرائه هو الكتاب المقدس، مع أن كلاً منها كان يفسح المجال لقراءة مختلفة "[1].

إن الديني، وهو مصطلح[2] أوسع من الدين، لأنه يتناول النص الأصل وقراءات النص عبّر التاريخ، أصولاً ثقافية متشابكة مع جملة البنى المكونة للمجتمع؛ وإن لتلك القراءات قدسية اكتسبتها من انتمائها إلى ذلك الحقل الواسع، وإن ما يمنحها تاريخية هو انتماؤها إلى الفعل الإنساني المتدرج في الزمان صعوداً لا يعرف التراجع والالتواء؛ فالديني إذاً يتجاذبه مصطلحان هما المقدس والتاريخ. وقد أدت قراءة المقدس في السياق التاريخي إلى ما أدت إليه من تحريف تأويلي مصدره عمق المفارقة بين النص الديني والقراءة الثقافية للنص والممارسات الاجتماعية للموروثات التحريمية على سبيل المثال، سواء كان ذلك في إطار النظرية الدينية أو في إطار المحرمات الاجتماعية المحلية[3] . إن ما جاء في بحث "الحرام في التوراة والقرآن" مثال للتحريف التأويلي الذي أصاب التوراة والإنجيل، وهو يتهدد القرآن الكريم إن لم نعمد إلى ضبط المفاهيم التي نعالج فيها كتاباً سماوياً موحى مقابل كتب أصابها التحريف بكل أشكاله.. يقول صاحب البحث المذكور: "وتكاد كل التجارب الدينية على اختلافها لا تشكل مقدساً جديداً، وإنما تعيد تنظيم الموروث التحريمي القديم

بيروت : دار المنتخب العربي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص١٠٣ - ١١٠ .

(١) انظر بحثاً بعنوان : **المترجم بوصفه قارئاً** ، لألبرتو مانويل ؛ ترجمه عن الإنجليزية : ثائر ديب دمشق ، ونشرته **مجلة الكرمل** الفلسطينية في العدد ٦٠، صيف عام ١٩٩٩م، ص٢٥٣-٢٥٨.

(٢) انظر بحثاً بعنوان : الحرام في القرآن والتوراة : الطعام والجنس نموذجاً ، في **مجلة إبلا** *IBLA* ، وهي مجلة تصدر عن معهد الآداب العربية ، العدد ٦٤ ، ٢٠٠١ - ٢ ، ص٧ - ٨ .

تنظيماً يتلاءم وعقائدها ومقولاتها الإيمانية. فيتحول محرم الإنسان إلى نص مكتوب بعد أن كان نصاً شفويا صاغته أجيال متلاحقة رسمت توازنات الحياة الإنسانية بواسطة تشكيلات رمزية من أعمق الأنظمة الدلالية في الكون". هذا الكلام إذا كان ينطبق على التوراة والإنجيل بعد تحريفهما[١]، فهو لا يمكن أن ينطبق على القرآن؛ لأن أول شروط التعامل مع نص القرآن الكريم هو الانطلاق من أنه نص موحى، وأي بداية أخرى يكون لها تأثير كبير في دقة التعامل وموضوعيته. وإذا كانت البيئة المغربية مختلفة عن البيئة التي نزل الوحي بلسانها، كما يقول كاتب "الحرام بين التوراة والقرآن"[٢]، فكيف عندما يتعلق الأمر بالبيئة الرافدية الوثنية التي عاش فيها عزرا الذي أعاد كتابة التوراة، وكيف بالبيئة اليونانية واللاتينية الوثنيتين عندما انتقل إليها بالترجمة نصا التوراة والإنجيل.

وإذا أقر المرء بالتحريف الذي طال التوراة والإنجيل في رحلة الترجمة من لغتيهما الأصليتين إلى اليونانية واللاتينية، فإن الأمر أشد وأدهى عندما صار المترجمون في الحقب اللاحقة يترجمون عن اليونانية واللاتينية إلى اللغات الأخرى، ودخلنا بذلك في حالة سماها الدكتور صفاء الجنابي[٣] : الترجمة الوسيطة، وربما كان الأوضح أن نقول: الترجمة عن لغة وسيطة، مثال ذلك ما قام به القديس جيروم الذي كلفه البابا داماسو عام ٣٨٤م بترجمة الكتاب المقدس من اللغة الإغريقية إلى

---

(٣) السابق، ص ٨٢ .

(١) انظر : القرآن والعلم المعاصر للدكتور موريس بوكاي ؛ ترجمه وقدم له وعلق عليه د . محمد إسماعيل بصل ، ود. محمد خير البقاعي -٠ حمص ، سورية : دار ملهم ، ١٩٩٥م ، ص٣٣ .

(٢) مصدر سابق ، ص٨١ .

(٣) انظر بحثاً له بعنوان : الترجمة الوسيطة ودورها في التفاعل الثقافي بين الحضارات في مجلة «دراسات» ، الفصلية التي تصدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ، العدد ١٣ ، السنة

اللاتينية، واستغرق إنجاز تلك الترجمة اثنين وعشرين عاماً، وكان ذلك ما حدث للترجمة الإنجليزية التي أمر بإنجازها الملك جيمس الأول ملك إنجلترا في عام ١٦١١م، واختار لإنجازها خمسين عالماً الذين كان من أهم الشروط التي ينبغي توافرها فيهم إتقان اللغتين اللاتينية والإنجليزية. والترجمة عن لغة وسيطة داهية الدواهي في الترجمة، لأنها ترجمة الترجمات كما يسميها الدكتور سعيد علوش. وهي في رأينا نقل للنص المترجم كما وضعه مترجمه الأول، وليس نقلاً للنص الأول بكل أبعاده ودلالاته.

وسعى الأوربيون منذ زمن طويل إلى أن يطبقوا على القرآن الكريم ما طبقوه على كتبهم المقدسة المحرفة من دراسات، فتحدثوا عن مصادر القرآن، وعن النقد الداخلي والخارجي، وعن الاستعانة بالنظريات التأويلية الوضعية للتعامل مع النص. وتعاملوا مع تفاسير الفرق المختلفة، ومع الآراء الغريبة على أنها تشكيك في قضية الوحي، وكانت ترجمة القرآن الكريم حلقة من حلقات التعامل مع هذا النص المعجز[١].

الثانية عشرة، ٢٠٠٠م، ص٤١ - ٦٦.

(١) ناهيك أن مصدر الترجمة الخاطئة، وفي الغرب على وجه الخصوص، قد يكون أمراً أكثر خفاء؛ ذلك أن بعض المستعربين يحاولون قبل أي اعتبار آخر تمرير مفهوماتهم التي لا يرقى إليها الشك عندهم؛ وهي أن القرآن عمل إنساني ... وإن ترجماتهم محكومة بآراء مسبقة لم تخضع للنقد ... انظر موريس بوكاي، م. س، ص١٢٨. ويقول القس باستر استانلي شويبرج في رده على أحمد ديدات: «... حسناً، دعوني أخبركم أولاً أن هذا هو خامس مجلد أحصل عليه من القرآن. ولقد اكتشفت أن للقرآن أنواعاً مختلفة من الترجمة تماثل كيفية ترجمة الإنجيل. وأنا أستطيع أن أثبت أن القراءة في إحداها مثل ترجمة عبدالله يوسف علي تختلف عن القراءة من هذه الأخرى التي كنت اشتريتها من لاهور، وهي ترجمة مولانا محمد علي». انظر كتاب: مناظرتان في استكهولم بين الداعية أحمد ديدات، وكبير

وإن من مظاهر التحريف في التوراة كما أشار إلى ذلك رحمة الله في "إظهار الحق"، وسبق ذكرها في هذا البحث، أن المترجمين يترجمون الأسماء بمعانيها، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد، وهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم ولا يشيرون إلى ذلك، وهذا ما يفعله مترجمو القرآن الكريم في تعاملهم مع الأعلام الواردة في القرآن الكريم، ولا سيما ذات الصلة بالأديان السابقة، والأعلام بحكم طبيعتها لا ينظر فيها إلى المعاني بل إلى المسميات لكونها تطلق على ذوات معينة دون إرادة غرض آخر، بخلاف أسماء الجنس (أو الأسماء العادية) التي

قساوسة السويد باستر استانلي شويبرج ، ترجمة علي الجوهري ، م . س ، ص٣٧ . وفي==

== الكتاب إشارات كثيرة إلى قضية الترجمة ودورها في التحريف ، سواء في تعليقات المترجم أو في كلام القس أو الداعية ، انظر ص١٣٦ - ١٣٩ على وجه الخصوص . وانظر حديثاً مفصلاً وموثقاً عن ترجمات الأناجيل في كتاب محمد عطا الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، ترجمة عادل حامد محمد ـ القاهرة : مركز الحضارة العربية ، ٢٠٠١م ، ص١٧ - ٥٣ . وانظر كتاب **الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية** ، د. صابر طعيمة ـ بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٢٥٥ - ٢٦٦ . وينقل الدكتور محمد عبدالحليم أبو السعد في كتابه : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٤٤٠ ، ينقل عن كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي قول بيري : «كان عيسى يهودياً ، وقد ظل كذلك أبداً ، ولكن شاول (بولس) كون المسيحية على حساب عيسى ، فشاول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب العامة من اليهود ، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وخاصة في (متراس) و (كابولي) فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس ، وعمد كذلك ليرضي مثقفي اليونان ، فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف فيلو فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة ، أو ابن الإله أو

تطلق على عناصر تنتمي إلى مجموعة من الكائنات والأشياء(١) ، ويؤدي الاضطراب وعدم الدقة في نقل الأعلام القرآنية إلى إخلال بالمعنى العام للسياق الذي وردت فيه أو إلى مساس بمبدأ عقدي أو أصل من أصول الدين(٢). كل ذلك يدعونا إلى القول: إن ما يشيع اليوم من التحرج من القول: ترجمة القرآن الكريم، والعدول عن ذلك إلى ترجمة معاني القرآن الكريم خطر لم يتنبه إليه غير العارفين بطبيعة الترجمة، والذين لم يخطر ببالهم ما أسهمت به الترجمة المعنوية من تحريف في التوراة والإنجيل؛ لأن الترجمة المعنوية قراءة شخصية، تفسيرية، تأخذ في الحسبان ثقافة المترْجَم لهم، وقد حدث ذلك في ترجمة الكتابين المذكورين، وهو في سبيله إلى الحدوث في ترجمات القرآن الكريم. إن الترجمة بالمعنى خطر يتهدد نص القرآن الكريم، وينبغي أن نترجم النص بمفاهيمه التوحيدية، والثقافية الأصلية، وبمعانيه الحقيقية، وإذا احتاج المترجم إلى مراعاة ثقافة المترجم إليهم فليفعل ذلك في الحاشية، وليقل فيها ما يشاء من وجهات نظر دون تدخل في المعنى الأصلي. إن القرآن الكريم حمال أوجه، أي أنه نص جعلته تلك الأوجه التي يتحملها صالحاً ،كما نعتقد، لكل زمان ومكان، ولكن ترجمة هذه الأوجه ينبغي أن تخضع لكثير من التمحيص والفحص لأداء النص بثقافته التوحيدية الأصلية.

وقد يعترض على قولنا هذا بأن نص القرآن الكريم الأصل موجود، وقد وعد

الروح القدس» . فتأمل .

(١) انظر بحثاً بعنوان : تعامل مترجمي القرآن الكريم إلى الفرنسية مع الأعلام ، ولا سيما ذات الصلة بالأديان السابقة ، للدكتور محمد بن محمد أكماضان ، بحث مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم ، ص٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص٣ وفيه أمثلة كثيرة على هذا النوع من التحريف والإخلال بالمعنى . ومن ذلك اختلافهم في ترجمة كلمة (أحمد) ، وإضافتهم كلمة المعمدان عند ذكر يحيى ، والتعميد طقس مسيحي، وربما يوحي استخدام الكلمة لغير المتخصص بأن هذا الطقس معمول به في

الله تعالى بحمايته، وهذا ما ينفي صفة التحريف عن ترجماته؛ والرد على ذلك يكمن فيما يقوله العارفون بمشكلات الترجمة من أن أي نص يترجم إلى لغة غير لغته الأصلية يتضمن بعد الترجمة معاني ليست في الأصل، وإذا أردنا العودة بالنص المترجم إلى لغته الأصلية فينبغي أن نعيده مع المعاني الجديدة التي أضافتها إليه الترجمة، مع أن نصوصه الأصلية موجودة. إذاً، وجود الأصل لا ينفي التحريف المتعمد أو غير المتعمد، أما حمايته سبحانه وتعالى لكتابه الكريم، فإنه وعد حق، ووعده سبحانه وتعالى مقضي على خير ما يكون، ولكن الوقوف مكتوفي الأيدي أمام مظاهر التحريف هو تواكل دعانا الله إلى نبذه، وحثنا على العمل للحصول على كل ما وعدنا به من نصر ورزق وغير ذلك من نعمه على عباده المسلمين.

إن مهمة التصدي لقضايا التحريف في ترجمات القرآن هي من باب ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة/١٠٥]، والوقوف موقف المتفرج منها هو من باب : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة/٢٤].

إذاً، إن تحريف الكلم الوارد في القرآن الكريم أربع مرات ذو صلة وثيقة بالترجمة التي هي تأويل حَرِصَ أحبار اليهود، ورهبان النصارى على أن يكون متناسباً مع البيئات التي انتقلت إليها التوراة أولاً، ثم الإنجيل ثانياً، فتحولت التوراة إلى قصص خرافية، وتحول الإنجيل إلى أناجيل تجد فيها ثقافة الشعوب التي انتقلت إليها النصرانية في عهودها الأولى، ولا تجد فيها أي أثر للثقافة التوحيدية التي دعا الكتابان إليها، وكأن المسيح عليه السلام ولد في كلوني، أو أن موسى عليه السلام كلم ربه في جبال البرينيه.

إذاً، ترجم كتاب اليهود المقدس إلى اليونانية، ومنها إلى لغات أخرى، ومثل ذلك حدث للإنجيل، ولما عادت تلك النصوص المترجمة أصلاً لتترجم إلى العربية حدث ما نستدل به على حدوث التحريف، وفي ذلك نقول: أثبت الباحث عدنان

الإسلام ، وهذا تحريف خطير

السيد محمد العوامي[1] أن رب إبراهيم ليس من أرباب اليهود ببراهين أكثرها وضوحاً أن اسم الرب (إيل) المقابل لاسم (الله) لا وجود له إلا في سيرة إبراهيم من سفر التكوين، ثم يختفي في سفر الخروج، ويحل محله الرب (يهوه) ، رب الجنود ، ويعلق العوامي بأنه من الواضح أن إطلاق لفظ (الله) في التوراة المترجمة إلى العربية لا يعدو أن يكون من وضع المترجمين، بل إن هذا الاحتمال هو الراجح؛ لأن هذا الاسم لم يرد في الترجمات النصرانية القديمة للعهد القديم *Old testament*، وإنما الوارد فيها *Lord* ، ويعني السيد، أو *God* ، ويعني الرب مطلقاً، ولا يراد بالتخصيص إلا بعنوان *jehovah* ، وليس مقابلاً للفظة (الله) مما يعني أن المترجمين استعاروا هذا الاسم من لفظة (إيل) في تسميتهم عيسى عليه السلام بعمانوئيل (الذي تفسيره: الله معنا. إنجيل متى ١ : ٢٣). ويقول العوامي مدعماً ما نحن بصدده: "وينبغي ألا نستكثر هذا التصرف من مترجمي التوراة، فقد وقفنا على ما لو قصدنا استقصاءه منه لاحتجنا إلى مجلدات. ونحن نرى أن التحريف الذي حل بالكتب المقدسة قبل القرآن الكريم كان على نوعين: تحريف نسميه داخلياً؛ وهو ما قام به أحبار اليهود ورهبان النصارى في إدراجهم في النص ما ليس منه باللغة التي كتب فيها؛ وتحريف خارجي: نشأ عن الترجمة وظروف المجتمعات الجديدة التي انتقل إليها التوراة والإنجيل، فتغيرت المفاهيم لتتلاءم مع المفاهيم الجدية؛ كيف يمكن لحبر يهودي يعيش في مجتمع جديد لا يؤمن بديانته التي دخلها التحريف أصلاً، أن يترجم إلى لغة القوم الذين استضافوه كلمة *sheqets* التي تعني (حيوان نجس) أو (مخلوق كريه) أو بغيض، وللتغطية على ذلك ترجموها بما يفيد (عبيد)، وكذلك كلمة *Goyim* التي تترجم بمعنى (غير اليهودي) ستراً لمعناها الحقيقي البشع في لغة اليهود (اليديش *Yiddish*) وهو

(١) الصهاينة هل هم صهاينة ، الله ويهوه : وتحريف التوراة ؟ (٢) ، عدنان السيد محمد عوامي،

مخلوقات شيطانية. فليس كل أحد يعلم أنهم يعدون كل غير يهودي شيطاناً غوياً *(Goyim)* إذاً، مر التحريف الذي كان القرآن الكريم أول كتاب نبه الغربيين إلى حدوثه في الكتب المقدسة التي يتداولونها على أنها من عند الله بمرحلتين: مرحلة التحريف الداخلي المبكرة، في مواطن ذينك الكتابين بإدراج ما ليس من عند الله فيهما، ومرحلة التحريف الخارجي الذي نشأ عن ترجمة هذين الكتابين إلى لغات غير لغاتهما الأصلية، وثقافة غير ثقافتهما الأصلية. وقد قضت الترجمة على آخر آثار الرسالة الإلهية التوحيدية فيهما، فأصبحا يغصان بالمفاهيم الوثنية القائمة على تعدد الآلهة وصراعها. ونسخ الكتاب المقدس اليوم بترجماته المختلفة مليئة بالتناقضات من لغة إلى أخرى كما أوضح ذلك بجلاء العوامي في بحثه المشار إليه. إذاً، عندما أراد المترجمون المحدثون ترجمة الكتاب المقدس لليهود والنصارى إلى اللغة العربية، استعاروا لترجمتهم معادلات تتفق مع المفاهيم التوحيدية التي طبع بها الإسلام اللغة العربية، فاستخدموا اسم الجلالة للتعبير عن رب لا علاقة له بالله رب إبراهيم وموسى. وإذا حصل ذلك اليوم والمترجمون يعيشون بأمن وأمان فكيف فعل أحبار اليهود في الشتات، والحواريون في غربتهم إلى روما؟ لقد أجمل القرآن الكريم بأسلوبه المعجز قضية التحريف في آيات بينات كانت محل دراسة وتدبر .

ومما سبق يتضح خطر الترجمة على نص القرآن الكريم إن لم يتول عملية الترجمة توحيدي الثقافة والمفاهيم، ويظهر أن مراجعة الترجمات والتنبيه على خطرها من أهم وظائف المسلمين ممن يتقنون اللغات التي يترجم إليها. ونقد الترجمة فن جليل يحتاج إلى دراية بلغة الانطلاق ولغة الوصول، وهذا مكانه في بحث آخر إن شاء الله.

إننا لا نتحرج من نسبة تفسير القرآن الكريم إلى بشر من أمثال الطبري، والقرطبي، والبيضاوي، والزمخشري وغيرهم، فلمَ لا نقول قياساً على ذلك: ترجمة القرآن الكريم ؟ والله تعالى أعلم، وهو من وراء القصد.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

١ - آربري وآراؤه في ترجمة القرآن .- الكويت ، **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد ٣١١، ذو القعدة ١٤١٠هـ.

٢ - **الأسفار المقدسة قبل الإسلام - دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية**، د. صابر طعيمة .- بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٣ - **الإسلام في الصين** . فهمي هويدي ، سلسلة عالم المعرفة ٤٣.

٤ - إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن الكريم . عبد النبي ذاكر .- جدة : **مجلة المنهل** ، عدد خاص ١٤١٩هـ/١٩٩١م.

٥ - **إظهار الحق** . رحمة الله .- الدوحة ، قطر : ط. دار إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٨٣م.

٦ - **إعلام الموقعين عن رب العالمين** . ابن قيم الجوزية ؛ تح محيي الدين عبد الحميد .- ط١ .- القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٩٥٥م.

٧ - **البرهان في علوم القرآن** . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .- بيروت : دار المعرفة ، د.ت.

٨ - **البيان والتبيين للجاحظ**، ط. عبد السلام هارون .- بيروت : دار الجيل ، ١٣٦٧هـ/١٩٨٣م.

٩ - **تاريخ التراث العربي** . فؤاد سزكين ؛ ترجمة د. محمود فهمي حجازي ومراجعة ومرافقة د. عرفة مصطفى و د. سعيد عبد الرحيم، ط. جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٠- **تاريخ سورية العام** للدكتور أحمد يوسف داود،

١١- تاريخ مصر في عهد محمد علي . فليكس مانجان، القسم الخاص بالدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ؛ ترجمة الدكتور محمد خير البقاعي، قيد النشر في دارة الملك عبد العزيز.

١٢- تحريف التوراة والعهد القديم وسياسة إسرائيل . محمد علي بار، **مجلة الحج**، الجماديان ١٤٢٢هـ.

١٣- تراث الإسلام . تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، مجموعة من المترجمين .- ط٣ ؛ ومعلق محقق، ومراجع، **عالم المعرفة الكويتية**، العدد ٢٣٣، ج١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٤- تراجم القرآن الكريم الأجنبية في الميزان (١-٢)، أحمد محمد أبو فراخ، **مجلة كلية أصول الدين**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .- الرياض ١٩٨٤، العدد ٥.

١٥- ترجمات المستشرقين الفرنسيين لمعاني القرآن الكريم . حسن عزوزي، **حوليات كلية اللغة العربية** بمراكش، العدد الثامن، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٦- ترجمات القرآن الكريم إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك . للدكتورة زينب عبد العزيز .- القاهرة : دار الصابوني، دار الهداية، د. ت.

١٧- ترجمة شعرية للقرآن باللغة الألمانية . فريد قطاط، **مجلة الحياة الثقافية** (تونس) السنة ٢٤، العدد ١٠١، جانفي"كانون الثاني" ١٩٩٩م.

١٨- ترجمة القرآن . محمد الخضر حسين،، **لواء الإسلام**، العدد ٨، ربيع الآخر ١٣٧٠هـ.

١٩- ترجمة القرآن . الشيخ عبد الغفار الدروبي .- حمص : مكتبة الإرشاد ، ١٩٦٧م.

٢٠- ترجمة القرآن الكريم . محمد بن الحسن الحجوي ، **نور الإسلام** ، ٣ ربيع الأول ١٣٥٥هـ.

٢١- **ترجمة القرآن الكريم، من الأصالة** . أكمل الدين إحسان أوغلي، الجزائر، ملتقى القرآن الكريم، وزارة الشؤون الدينية، ١٩٨٣م.

٢٢- **ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية** . الأستاذ محمد حميد الله، انظر المصادر الأجنبية.

٢٣- ترجمة القرآن . ليلى رضوان ، **الوعي الإسلامي** ، العدد ٤٣، رجب ١٣٨٨هـ.

٢٤- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية هي منطلق الفكر الاستشراقي . عباس أرحيلية، **مجلة الأمة** ٠- الدوحة، قطر، م٧١، ذو القعدة ١٤٠٦هـ.

٢٥- ترجمة معاني القرآن وتطور فهم الغرب للإسلام . فؤاد شعبان، **مجلة جامعة دمشق** العدد ٣، ١٤٠٥هـ.

٢٦- ترجمة معاني القرآن الكريم وما يدور حولها . محمود محمد عز الدين بركات، **الإسلام** ٠- القاهرة، العدد ٤، المحرم ١٣٥٥م.

٢٧- الترجمة الوسيطة ودورها في التفاعل الثقافي بين الحضارات في مجلة "**دراسات**"، الفصلية التي تصدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، العدد ١٣، السنة الثانية عشرة ٢٠٠٠م.

٢٨- **تعامل مترجمي القرآن الكريم إلى الفرنسية مع الأعلام ، ولا سيما ذات الصلة بالأديان السابقة** للدكتور محمد بن محمد أكماضان، بحث مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم.

٢٩- **تفسير المراغي** . أحمد مصطفى المراغي ٠- ط٢ ٠- القاهرة : طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

٣٠- **تفسير معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية** . الدكتور محمد محسن خان والدكتور محمد تقي الدين الهلالي ·- الرياض: طبعة مكتبة دار السلام، ١٩٩٤م.

٣١- التوراة بين تحريف اللفظ وتحريف المعنى مع دراسة لكاتبها عزرا . الدكتور عبد الحليم كل أحمدي، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت، العدد ٤٥، السنة ١٦، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٢- **التوراة تحريف وتزوير** . عبد المجيد همُّو ·- دمشق : دار الحافظ ، ١٩٩٨م.

٣٣- **جامع البيان عن تأويل القرآن** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري؛ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ·- القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٤- **الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات** . الدكتور عبد الله العسكر بعنوان: مقدم إلى ندوة حوار الحضارات (مخطوط) .

٣٥- **الحدث التوراتي** . فراس السواح،

٣٦- الحرام في القرآن والتوراة: الطعام والجنس نموذجاً . المبروك الشيباني المنصوري، **في مجلة إبلا** *IBLA*، وهي مجلة تصدر عن معهد الآداب العربية، العدد ٦٤.

٣٧- **الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية** . بارت رودي؛ ترجمة مصطفى ماهر ·- القاهرة، ١٩٦٧م.

٣٨- **دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً** . الدكتور محمد عبد الحليم أبو السعد ·- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٩- **دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية**، التي أعدها ريجيس بلاشير، للشيخ فودي سوريبا كمارا ، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم.

٤٠- **شرح العقيدة الطحاوية** . لابن أبي العز، علي بن محمد؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ٠- دمشق : دار البيان، ١٤٠١هـ.

٤١- **صبا نجد، شعرية الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي** . تأليف البروفسور ياروسلاف ستيتكيفتش؛ ترجمة الكتور حسن البنا عز الدين، نسخة مخطوطة.

٤٢- الصهاينة هل هم صهاينة، الله ويهوه: وتحريف التوراة ؟ (٢) . عدنان السيد محمد عوامي، **مجلة الواحة**، العدد ٢٢، الربع الثالث ٢٠٠١م.

٤٣- **ضحى الإسلام** . أحمد أمين ٠- مصر : مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٤م.

٤٤- **علماء الملل والنحل** . نجاح محمود الغنيمي ٠- القاهرة : دار المنار ، ١٩٨٧م.

٤٥- **عيسى المسيح والتوحيد** . محمد عطا الرحيم؛ ترجمة عادل حامد محمد ٠- القاهرة : مركز الحضارة العربية ، ٢٠٠١م.

٤٦- فرض في التوراة قابل للتحقيق . الدكتور حمدي عبد العال، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد ١٧، السنة ٧، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٧- **فقه الفلسفة: ١- الفلسفة والترجمة** . طه عبد الرحمن ٠- ط١ ٠- بيروت - الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٥م.

٤٨- **في الترجمة** . عبد السلام بنعبد العالي ٠- بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م.

٤٩- القرآن: بحث علمي تاريخي أثري . الفيكونت فيليب دو طرازي *Le Viconte Philippe de Tarrazi*، **مجلة المجمع العلمي** بدمشق ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م.

٥٠- القرآن في الاتحاد السوفياتي، طه الولي، **مجلة الفكر العربي**، العدد ٣١، كانون الثاني - آذار، ١٩٨٣م.

٥١- **القرآن، نزوله وتدوينه** . ريجيس بلاشير؛ ترجمة رضا سعادة ٠- ط١ ٠- دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٤م.

٥٢- **القرآن وعلم القراءة** . جاك بيرك؛ ترجمة وتعليق الدكتور منذر عياشي ٠- حلب: مركز الإنماء الحضاري ٠- بيروت : دار التنوير ، ١٩٩٦م.

٥٣- **القرآن والعلم المعاصر للدكتور موريس بوكاي**؛ ترجمه وقدم له وعلق عليه د. محمد إسماعيل بصل و د. محمد خير البقاعي٠- حمص ، سورية: دار ملهم، ١٩٩٥م.

٥٤- الكلام في ترجمة القرآن . إبراهيم الجبالي، **مجلة نور الإسلام**، الجزء الأول من المجلد الثالث، ١٣٥١هـ.

٥٥- **لذة النص** . لرولان بارت؛ ترجمة محمد خير البقاعي ٠- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨م.

٥٦- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، مكارم الغمري، **سلسلة عالم المعرفة** ١٥٥.

٥٧- **المبسوط** للسرخسي،

٥٨- المترجم بوصفه قارئاً . لألبرتو مانويل ؛ ترجمه عن الإنجليزية: ثائر ديب ٠- دمشق، ونشرته **مجلة الكرمل الفلسطينية** في العدد ٦٠ ، صيف عام ١٩٩٩م.

٥٩- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** . للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦٠- **المسائل النظرية في الترجمة** لجورج مونان ؛ الترجمة العربية للطيف زيتوني٠- بيروت : دار المنتخب العربي ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٦١- **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم** للدكتور محمد صالح البنداق ٠- بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٢- **معجم الكليات** لأبي البقاء الكفوي؛ تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري٠- بيروت : طبع مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦٣- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** . مجدي وهبة وكامل المهندس ٠- ط٢ ٠- بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م.

٦٤- معنى التحريف بحثاً للدكتور وليد سراقبي في **مجلة عالم الكتب السعودية**، مج ٢٢، العددان الأول والثاني ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٦٥- **ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق جاك بيرك** . الدكتور حسن بن إدريس عزوزي، بحث مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم.

٦٦- **ملحمة جلجامش** ؛ ترجمها عن الألمانية د. عبد الغفار مكاوي ؛ راجعها على الأكدية د. عوني عبد الرؤوف ٠- الكويت عام ١٩٩٤م.

٦٧- **مناظرتان في استكهولم** للداعية أحمد ديدات مع كبير قساوسة السويد استانلي شونبرج؛ ترجمة علي الجوهري ٠- القاهرة : دار الفضيلة، ١٩٩٢م.

٦٨- **موسوعة المستشرقين** ؛ إعداد عبد الرحمن بدوي ٠- ط٢ ٠- دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.

٦٩- **نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة** . تأليف أحمد حجازي السقا ٠- القاهرة ؛ مصر : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٦م.

٧٠- نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية . محمد الخضر حسين، **مجلة نور الإسلام**، المجلد ٢، ١٣٥٠هـ.

٧١- هجرة الكلم أو سياحة الألفاظ . للدكتور إبراهيم آدم إسحق ، **مجلة جامعة أم درمان الإسلامية**، العدد الثالث ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٢- **اليهود دراسة تاريخية** . الدكتور فضل بن عمار العماري ٠- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٣- **اليهودية واليهود** . بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، د. علي عبد الواحد وافي ٠- القاهرة : نهضة مصر ، د. ت.



ثانياً : المصادر الأجنبية :

1-Balagna Josée, L'imprimerie Arabe en Occideent XVI, XVII, Et XVIII siecle, Maisonneuve et Larose, Paris, 1984, p. 23-24.

2-Bencheikh, J. E, Sourrate d'Al-Kahf, neuf traductions du coran, Analyses Et Théorie, Université Paris VIII, 1980/3.

3- Berque, Jacques, Le Coran, ed. Sindibade, Paris 1990.

4-......... Mémoires des deux rives, Paris 1998.

5- Bucaille, Maurice, Mohamed Talbi, Reflexions sur le Coran, Seghers, Paris 1989.

6- Hamideellah, Mohammad, en collaboration avec M. Léturuiy Le saint Coran, traduction intégrale et notes, 8e d. 1973.

7-Kritzeck; J. , Peter the venrable and Islam, Princeton, 1964.

8-Kritzeck; J., Robert of Ketton's translation of the quran, Islamic quarterly II, 1955.

9- Mingana, Ancient Syriac Translation of the kuran, Manchester, 1925.

10-Montet, E. , Le coran, selection seulement, Paris, 1925, complet: 1929, 1949,1958, 1963, en 2 vol.

11-Montet. E. , Le coran: Traduction nouvelle avec notes d'un choix de sorate Précédées d'une introduction au coran, Payot, Paris, 1925.

12-Montgomery Watt: Bell's Introduction to the Quran, Edinsburg, 1970.

13-NIDA E. A., TABER Ch.-R., : *La traduction: théorie et méthode, Alliance Biblique universelle. Londres, 1971.*

14-Norman Daniel: *The Arabs and Medieval ages, Longman-London, 1979.*

15-Sale, George, *The koran commonly colld Alcoran of Mohammed Translated into English immediately from the Arabic, 2 vol., London, 1734.*

16-Southern, R. W., *western views of islam in the middle ages, Cambridge, 1962.*

ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم ومراجعة كريتزك لها

إضاءة تاريخية - نقدية

الدكتور
فؤاد
عبدالمطلب*

* إجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها عام ٧٥-١٩٧٦م جامعة دمشق .
- ماجستير في الأدب الإنكليزي عام ٨٠-١٩٨١م جامعة دمشق.
- دكتوراه في الآداب ٨٨ - ١٩٨٩م جامعة اسكس انكلترا .
- له العديد من الأعمال المنشورة بين تاليف وترجمة وأبحاث منشورة في العديد من الدوريات المحلية والعربية والدولية .

يطرح أحد الباحثين العرب المسلمين في بداية دراسة له حول ترجمة القرآن الكريم تساؤلاً وجيهاً حيث يقول: "ترجم غير المسلمين القرآن الكريم إلى لغاتهم بقصد الرد عليه، وأول ترجمة من هذا النوع كانت إلى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى [يقصد ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم]. ثم ترجم آخرون من هؤلاء في العصور الحديثة إلى لغات أوربية أهمها الإنكليزية والفرنسية. ولكن لم يترجمه أحد من المسلمين حتى العهد الأخير، وجلُّ هؤلاء إن لم يكن كلهم من غير العرب أو ممن دخلوا الإسلام حديثاً. فما أسباب ذلك، مع أن كثرة المؤمنين برسالة محمد - ﷺ - هم من غير العرب ولا يتكلمون العربية ؟"(١). ويخوض هذا الباحث في موضوع أحكام ترجمة القرآن وتاريخها ويقدم في نهاية دراسته تفسيره لإحجام العرب عن ترجمة القرآن وإقدام غيرهم من المسلمين. ويرى أن أهم أسباب ذلك الإحجام يكمن في آيات القرآن الصريحة، فما جعله الله

---

(١) الدكتور عبد اللطيف الطيباوي . " **أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها** " في، دراسات عربية وإسلامية ٠- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٣م، ص٨٠ .

عربياً لم يجسر عربي على أن يجعله غير ذلك، فللقرآن في روع كل عربي واقفٍ على أسرار بلاغته العربية منزلة من التعظيم والتكريم لا تعلو عليها منزلة، فهو يضمر في قلبه حرصاً على إبقاء هذين التراثين، القرآن الكريم ولغته الشريفة، متكاملين على الوجه الذي أراده الله وارتضاه رسوله وألِفهُ العرب[1]. إن ما يهمنا في هذا الكلام أن الأوربيين لم ينتظروا العرب والمسلمين كي يترجموا القرآن الكريم[2] بل قاموا بترجمته إلى اللاتينية في وقت مبكر من تاريخ عدوان الغرب الأوربي ضد العرب والمسلمين، في حقبة الحروب الصليبية، التي كانت ترمي في ظاهرها إلى

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٨٠.

(٢) يبدو أن السريان من غير المسلمين ترجموا شيئاً من آيات القرآن . يذكر الدكتور محمد حميد الله: أن في مكتبة مانشستر مخطوطاً فيه ترجمة هذه الآيات، وأن واضع الترجمة هو بار صليبي المعاصر للحجاج بن يوسف. ويضيف أن في متحف لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية تعود إلى عهد خلافة هشام بن عبد الملك وفيها بعض آيات القرآن الكريم مترجمة إلى هذه اللغة. ويقول الفيكونت فيليب دوطرازي أن ابن الصليبي مطران ديار بكر (ت ١١٧١م) نقل، في القرن الثاني عشر إلى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن الكريم ضمها في مؤلف خاص انطوى على ٣٠ فصلاً في ١٤٤ صفحة (كتاب الجدل)، وهو مخطوط في مكتبة بطريركية السريان ببيروت. ويضيف طرازي "واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن الكريم. ويتبادر إلى الظن أن مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذي كان من أبرع كتاب تلك الحقبة وأبلغهم وقد أفلتت هذه المخطوطة النادرة من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرها وأهلها عام ١١٤٥م يوم احتلها الزنكي ملك الموصل (٥٤٢-٥٩١هـ)". انظر: مقالة فيكونت فيليب دو طرازي *Le Viconte Philippe De Tarazi* بعنوان "القرآن: بحث علمي تاريخي أثري" التي اهتمت بها ونشرتها مجلة المجمع العربي بدمشق، مجلد ١٩ سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ص ٤١٦-٤٨٨، انظر أيضاً، كتاب الدكتور محمد صالح البنداق . المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ·- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص٩٧-٩٨.

تخليص بيت المقدس من يد المسلمين، وفي حقيقتها إلى تدمير الإسلام والسيطرة على الشرق العربي الإسلامي بما فيه من خيرات ومراكز[1].

لذلك هدفت الدراسة الحالية تقديم إضاءة حول إحدى الترجمات المبكرة التي وضعها أناس معادون أساساً للإسلام ، وحول شخصية أصحابها ونفسيتهم ومواقفهم السلبية والعدائية المستترة وراء غطاء أيدلوجي مزيف اتخذوه خدمة لمآربهم وأهدافهم وأهداف من هم وراءهم، وتستند في ذلك إلى مطالعة في الوضعية التاريخية التي تساعد في تحقيق عملية الإحاطة بالقضية المطروحة، كما يساعد نقل مراجعة جيمس كريتزك إلى العربية في التعرف إلى الترجمة وواضعيها والحكم عليهم. والحق، إن الفائدة الحقيقية تكمن في دراسة الترجمة ذاتها دراسة متأنية؛ بيد أن المحاولة هنا ترمي إلى إثارة النقاش ولفت انتباه المترجمين والباحثين ضمن الحدود المرسومة لهذا العمل ؛ تاركة للمتخصصين النوعيين مهمة البحث والتحقق والتدقيق والرد، فمثل هذه الأمور تحتاج إلى معرفة متخصصة ووقت طويل وجهد متواصل للوقوف عليها.

في معرض حديثه عن تاريخ الاستشراق وميدانه ودوافعه يتحدث الدكتور مصطفى السباعي عن صعوبة تحديد من هم الغربيون الأوائل الذين عنوا بالدراسات الشرقية؟ وفي أي وقت كان ذلك؟ ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان

---

(١) يناقش الدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدي هذا الموضوع ويذكران آراء بعض المستشرقين بخصوص فشل الحروب الصليبية ويريان أن دول أوربا قد خابت في انتزاع القدس من يد المسلمين وأن تقيم مملكة مسيحية في الشرق الأدنى بالسيف فسعت للتعويض عن تلك الهزيمة بشن حرب صليبية جديدة عن طريق التبشير، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات وفرق المبشرين. انظر : **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** ·- بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥م، ص١١١-١١٦.

الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم. ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٥م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده وبطرس الجليل (١٠٩٢-١١٥٦م) وجيراردي كريمون (١١١٤-١١٨٧م). وما أن عاد هؤلاء إلى بلادهم حتى نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية - وهي لغة العلم في جميع أوربا يومئذٍ - استمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعدها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون. ثم يذكر الدكتور السباعي دوافع الاستشراق الدينية والاستعمارية والتجارية والسياسية والعلمية، ويقسم أهداف المستشرقين في جملتهم إلى ثلاثة أقسام أولها : وهو ما يهمنا منها هو : الهدف العلمي المشبوه الذي يهدف التشكيك بصحة رسالة النبي (ﷺ) ومصدرها الإلهي، وإنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله وإنما هو ملفق - عندهم -من الديانتين اليهودية والمسيحية[1]. ويتطرق شكيب أرسلان إلى بعض الطعن والقذف والتشويه الذي حمله الغربيون تجاه النبي محمد ﷺ وتأكيد بعض المستشرقين لتلك الأباطيل:"فقد مثّل هؤلاء محمداً كرجل كاذب، والإسلام كعمل من أعمال الشيطان، والمسلمين كقوم همج، والقرآن ككتاب منسوج من أوله إلى آخره بالمُحالات. وكانوا بزعمهم لا يجدون حاجة إلى الأخذ والرد في هزوٍ كهذا. ثم إن "بطرس الجليل"

---

(١) انظر: الدكتور مصطفى السباعي . **الاستشراق والمستشرقون** ·- بيروت: دار الوراق: طبعة جديدة ١٩٩٩م، ص١٩-٣٦ حول هذه الأفكار وما يليها؛ انظر فصول كتاب د. محمد خليفة حسن . أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ·- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.

Pierre le Venerable مؤلف أول كتاب ضد الإسلام تَرجَمَ مع ذلك في القرن الثاني عشر القرآن إلى اللاتينية. ثم في القرن الرابع عشر ظهر "بيير باسكال" فعلِم عن الإسلام أكثر من غيره. ثم إن "البابا اينوشانيوس الثالث" قال عن محمد: إنه المسيح الدجال. ولكن في القرون الوسطى بدأوا ينظرون إليه نظرتهم إلى رجل مبتدع ممن يقال لهم الهراطقة. ثم ظهر ريموند لول في القرن الرابع عشر وغليوم بوستل في القرن السادس عشر وولان وغانييه في القرن الثامن عشر والأب دوبروغلي وريتان في القرن التاسع عشر وكانت أحكامهم في هذا الموضوع متفاوتة ليست على وتيرة واحدة .. ولا يزال للإسلام إلى يومنا هذا أعداء شديدو العصبية"[(١)]. وفي هذا الإطار يعقب الدكتور محمد صالح البنداق على عمل هؤلاء المستشرقين الذين نتحدث عنهم الذي لم يكن قائماً على مبدأ العمل المتجرد والبحث العلمي النزيه، ثم يتطرق إلى اندفاعهم إلى ترجمة القرآن الكريم بالذات وإنتاج ترجمات اعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم كتاب الإسلام، فجاءت "قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر، وهي إنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم إن كان يريد بيان ما يفهمه، وإنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمد تحريف كلمه عن مواضعه، على أنه قلما يكون فهمهم تاماً صحيحاً، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمناً، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما: قصور فهمه، وقصور لغته".[(٢)] ويسوق الدكتور البنداق عدداً من الأهداف التي توخاها المستشرقون من ترجمة

---

(١) السيرة النبوية للأمير شكيب أرسلان في كتاب لوثروب ستودارد . **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد الأول، ج١ ٠- ط٣ ٠- دار الفكر ، ١٩٧١م، ص٨٤-٨٥.

(٢) يستند الدكتور البنداق في مناقشته إلى رأي الشيخ محمد رشيد رضا فيما يتعلق بالأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن التي يعزوها إلى الجهل ببلاغة كتاب الله، انظر : المستشرقون وترجمة القرآن، المعطيات مذكورة سابقاً، ص ١٠٠ - ١٠١.

القرآن، منها : التزامهم بحرية الترجمة ، فتأتي الترجمة موافقة لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال وغير ذلك، ومنها ترجمتهم للقرآن ليحاربوه، وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها. وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة باعثها معاداة الإسلام. ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها موركيوندو اي أو أوكراتوندو وعنوانها هكذا بكل صراحة:

" القرآن مترجم بأمانة إلى الإسبانية ومعلقاً عليه ومدحضاً طبقاً للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني "[(١)] وهي بدون تاريخ، كما أن هؤلاء المستشرقين اندفعوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية أو حتى النسبية لحد ما، إمعاناً في التحريف والتضليل خوفاً من أن يعتنق الإسلام من يقف من الأوربيين على حقيقة النصوص القرآنية فيما لو حصل على ترجمة صادقة أو صحيحة، ومنها أيضاً تعمد التحوير في ترجمة بذاتها بحيث يبرز شرح أو تفسير كلمة مغايرة لما كان عليه في الطبعة الأولى .. مما يدل على روح التضليل، ومنها تحبيذ نشر ترجمات معينة مضللة أو إعادة نشرها وترجمتها إلى لغات أخرى، وخصوصاً الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والتحويرات والأخطاء والشطحات التي سداها الحقد والتعصب الذميم. إن ذكر هذه الأهداف والآراء هنا ليس نقلاً أو ترفاً فهو يتصل على نحو مباشر بقضية ترجمة كيتون للقرآن والظروف التي تمت فيها ؛ لأن تلك الأهداف تتجسد على نحو أو آخر في حال هذه الترجمة المذكورة كما أن الغرض من الحديث حول أهداف المستشرقين بخصوص ترجمة القرآن يؤسس للنقاش لاحقاً في هذا العمل.

---

(١) انظر: المرجع، السابق، ص ١٠١ - ١٠٦.

إضافة إلى ذلك كله، يتطرق أحد الباحثين والمترجمين في عمل له أيضاً إلى بعض أهداف من قاموا بترجمة القرآن الكريم في الماضي، فيذكر منها: الاطلاع على ما جاء في القرآن لمحاربته؛ ومحاولة إبراز قدرات استشراقية على فهم العربية، وتصديها للنص القرآني، ولكنها لم تسلم من الخلفيات الدينية أو الفكرية التي واجهتها، ومنها سعي فرق مذهبية بعيدة عن الإسلام لتدس في القرآن عقائدها وآراءها؛ ومنها إظهار حسن النية في ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمات تميزت بالتعمق في اللغتين العربية والأجنبية على ما فيها من مآخذ، كأن تنحو منحى العامية أحياناً، وتحكمها الأهواء أحياناً أخرى. وسعى إلى هذا الأمر بعض المستشرقين واليهود ممن تعاطفوا معهم فترجموا القرآن الكريم وتعللوا بحجة الدراسة النقدية المنهجية، وكان غرضهم التهجم على الإسلام وإنكار أصالة ما جاء فيه، والنيل من قيمه الدينية[1]. وتماشياً مع كثير من الأهداف المذكورة يمكن القول: إن ذلك كان إلى حد كبير حال أول ترجمة لاتينية أوربية مسيحية للقرآن الكريم وهي الترجمة التي ظهرت في أوربا في بداية عصر المواجهة بين المسلمين والمسيحيين الغربيين في الأندلس، إبان حقبة الحروب الصليبية[2]. وقد أنجزت هذه

---

(١) انظر : الدكتور محمد خير البقاعي ." ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد٢٣٩، ص٣٥-٣٦.

(٢) جرت الترجمة اللاتينية الثانية مباشرة عن القرآن الكريم على يد لودفيكو ماراكسي *Ludovic Marraci (Marracci)* التي طبعت أول مرة عام ١٦٩٨م. ثم ظهرت ثانية، مع إضافات وشروح، قام بها رينيكوس *Reineccius* عام ١٧٢١م، وقام بعد ذلك نيرتر *Nerrter* إلى الألمانية؛ انظر: الدكتور محمد صالح البنداق . **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، ص١٠٦؛ وانظر: **موسوعة الإسلام**، مج٣، ليدن: إي. جى. بريل، ١٩٦٩م ص٤٣١ (بالإنجليزية).

الترجمة بتكليف من الراهب بطرس الجليل الذي كان رئيساً لدير رهبان كلوني من عام ١١٢٢م إلى عام ١١٥٦م وهي سنة موته. ولد هذا الراهب في منطقة أوفرني في فرنسا عام ١٠٩٢م، وكان ناشطاً مسيحياً كبيراً، وصديقاً لآباء الكنيسة والملوك. دفعه حب الاطلاع عام ١١٤١م إلى زيارة الأديرة البنديكتية، أديرة الرهبان من أتباع بنيديكت في طليطلة، فسحرته روعة الحضارة العربية الإسلامية التي شهدها بأم عينه، واعترته الرهبة، واعتزم الاطلاع على العوامل الباعثة لهذه الحضارة التي رأى فيها منافساً جباراً للمسيحية، فقرر أن يطلع على مصادر الإسلام. وصادف هناك قساً إنكليزياً يدعى روبرت أوف كيتون، ففوضه مع آخرين بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية[1]، فأنهى ذلك القس الترجمة عام ١١٤٣م، ومخطوطتها موجودة بخطه في مكتبة الأرسنال في باريس. وقد ظهرت على ترجمة روبرت أوف كيتون حواشٍ وتعليقات تنم عن روح صليبية عدائية تجاه القرآن الكريم والنبي محمد (ﷺ)، مما يدخل في إطار القدح الكريه. وعلى الرغم من ذلك فإن السلطات الكنسية آنذاك لم تسمح بظهور هذه الترجمة مباشرة نظراً لسيادة الشعور الصليبي المغالي، وخوفاً من أن تؤدي هذه الترجمة على مساوئها ، غرض التعريف بالإسلام وانتشاره عوضاً عن الهدف الأصلي، وهو محاربة الإسلام (مع أن أوساطاً دينية مسيحية كثيرة اطلعت عليها وتأثرت بها). ظهرت هذه الترجمة مطبوعة في عام ١٥٤٣م في مدينة بال السويسرية لدى الناشر بوكمان ببلياردي، وأعيد طبعها مرتين في زيورخ عام ١٥٥٠م وعام ١٥٥٦م. لقد كانت الغاية المعلنة من مشروع الترجمة هذا

---

(١) وردت هذه التفاصيل حول بطرس الجليل وترجمة روبرت أوف كيتون في عدد من المصادر؛ انظر: على سبيل المثال، الدكتور محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١٧٥؛ الدكتور محمد خير البقاعي. "ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد٢٣٩، ص٣٢-٤٠؛ وانظر أيضاً: موسوعة الإسلام، مج٣، ١٩٦٩م، ص٤٣١ (بالإنجليزية).

معرفة كتاب الإسلام، والهدف الحقيقي هو أن تكون الترجمة سلاحاً يستخدمه المسيحيون ضد المسلمين في حقبة انطلاق أهم الحملات الصليبية إلى الشرق العربي الإسلامي. وقد قال نورمان دانييل عن روبرت في ترجمته إنه "كان دائماً يغلو ويبالغ في ترجمة نص غير عدائي كي يضفي عليه طابعاً كريهاً أو إباحياً،أو لتفضيل تفسير غير محتمل ومكروه على تفسير محتمل ومقبول"[١] .

إن ظهور هذه الترجمة ينطوي على مفارقة جلية، فقد تزامن ذلك مع الأحداث الدامية التي شهدها الشرق ؛ نتيجة للحقد الصليبي المسلح ضد العرب والمسلمين، ومع حركة فكرية ودينية إصلاحية في الغرب جاءت نتيجة ردة فعل للحروب الصليبية ولعوامل عديدة أخرى. وقد أشار غير باحث إلى هذه النقطة؛ فقد أوضح محمد أبو طالب في هذا السياق: "أنَّ من غريب المصادفات أنَّ بعض ترجمات القرآن الكريم صدرت في ظروف معينة من تاريخ الحضارة الفكرية والاجتماعية والدينية في الغرب. فالترجمة الأولى صادفت حركة الإصلاح الديني التي انطلقت من كلوني *Cluny* في فرنسا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وكانت تهدف إرساء قوانين مؤسسة الكنيسة من جهة، والعمل على تحرير الفرد من شتى القيود من جهة أخرى. ونذكر على سبيل المثال الانقسام الذي وقع بين اليونان وبين الروم داخل الكنيسة سنة ١٠٥٤" .

ومن رواد هذه الحركة المشرف على الترجمة المذكورة القس المعروف ببطرس الجليل *Petrus Venerabilis* سنة ١١٤٣م. وقد ظهرت الطبعة الثانية إبان النهضة الحاسمة في تاريخ المسيحية التي قادها مارتن لوثر *Martin Luther* (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) الذي كان له اهتمام نسبي بالإسلام، وكان من بين الملحين على إصدار هذه

(١) اقتباس وارد في موسوعة الإسلام، مج٣، ص٤٢٩.

الترجمة التي كتب لها تقديماً. وعلى الرغم من الموقف المعادي للإسلام آنذاك، فمما لاشك فيه أن هذه الترجمة كانت عنصراً فعالاً في تطوير الفكر الألماني خاصة والغربي عامة"[1]. ستحاول المناقشة التالية التطرق إلى تلك الثنائية الغريبة بطرفيها الصليبي والإصلاحي وبيان تأثيرها في ترجمة روبرت أوف كيتون.

ففي الشرق، كانت الحرب الصليبية الأولى التي جرت ما بين الأعوام ١٠٩٦-١١٤٦م بمثابة الشرارة التي أشعلت الحرب بين الشرق الإسلامي وأوربا الصليبية التي بدأت في أعقاب خطبة البابا أوربان الثاني خارج مدينة كليرمون في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٠٩٥م/٤٩٦هـ أمام حشد كبير من الناس، ودعوة بطرس الناسك الذي هجر الدير وأخذ يتجول في شتاء عام ١٠٩٥-١٠٩٦م في أرجاء فرنسا داعياً لحملة البابا. وكان بطرس الناسك في مقدمة جيش الحملة في ربيع عام ١٠٩٦م/٤٩٧هـ الذي زحف باتجاه مدن الشرق فاستولى عليها كمدينة نيقية، عاصمة الدولة السلجوقية، ومدينة أنطاكية التاريخية، والقدس، وارتكب الصليبيون ما ارتكبوا من مجازر وسلب ونهب ولاسيما في بيت المقدس (انظر، ابن خلدون في كتابه: "العبر"، وويلز في كتابه: "موجز تاريخ الشرق الأوسط" والمؤرخ نقولا زيادة في كتابه: "الصليبيون في الشرق"). كما تمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على معظم ساحل البحر الأبيض المتوسط باستثناء صور وعسقلان. ودار خلال ذلك عدد من المعارك والمواجهات، وما لبث أن ظهر عماد الدين الزنكي الذي دانت له الموصل عام ١١٢٧م/٥٢١هـ فغدا أقوى حاكم مسلم ليقود حركة الجهاد ضد

---

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد أبو طالب. **"ملاحظات حول ترجمة القرآن"**، ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي: مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة، المجلد ٨، العدد ٢، أكتوبر ١٩٩٩م، ص١٢-١٣.

الغزاة الصليبيين. وتمكن عماد الدين الزنكي من توحيد الصفوف وتوجيه ضربات قوية للصليبيين، فبعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً استطاع أن يدخل الرها ويستولي عليها بعد أن قضى على الصليبيين فيها. فكانت الرها هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، ويشاء الله أن تكون أول إمارة تتحرر. وقد سبب سقوط الرها صدمة مؤلمة وعنيفة للصليبيين، ترددت أصداؤها في كل من الشرق والغرب، إذ كانت المدينة ترتبط بتراث مسيحي باكر، كما أن سقوطها بعد ما يقارب خمسين عاماً على استيلاء الصليبيين عليها كان نذير شؤم بالنسبة إليهم. وخلف نور الدين محمود أباه عماد الدين الزنكي في إمارة الموصل بعد عامين من تحرير الرها إثر مقتله غيلة عام ١١٤٦م/٥٤١هـ. ولم يستكن نور الدين الزنكي عن توحيد الإمارات الإسلامية في الشرق للقضاء على الكيان الصليبي وتحرير بيت المقدس.

أحدث سقوط إمارة الرها *(Edessa)* وتحريرها على يد عماد الدين الزنكي هزة كبيرة في أوربا، وفي الشرق - حيث مستوطنات الصليبيين - كان الإحساس بالهزيمة مريراً، فذهب وفد من فرنجة الشرق إلى بلاد البابا ايجنيوس الثالث، وذهب وفد من الأرمن يستنهض همم البابوية وملوك الغرب لمحاولة استرداد الرها التي ضاعت منهم، ونتيجة لمساعي القديس برنارد وخطبه الدينية أمام بارونات فرنسا التي كان يؤكد فيها أن سقوط الرها لم يكن كارثة ولكنها إرادة الرب في أن يمتحنهم من أجل أن يهبوا لاستردادها. وشرع برنارد يبارك البارونات في أرجاء فرنسا و"الحجاج" المحاربين الصليبيين من أجل أن يهبوا في حملة صليبية جديدة إلى المشرق ستعد لاحقاً من أشد الحملات المتطرفة دينياً. كان برنارد مصمماً على أن تكون الحملة عالمية يشترك فيها جميع أبناء العالم المسيحي في الهجوم على

المسلمين ومن ثم لتدمير الإسلام نهائياً [1]. ونتيجة لذلك تجمع جيش فرنسي كبير قوامه سبعون ألفاً على رأسه لويس السابع ملك فرنسا، وتجمع جيش ألماني قوامه سبعون ألفاً أيضاً على رأسه إمبراطور ألمانيا "كونراد" الثالث. سلك الجيش الألماني طريق البحر ورست سفنه على شواطئ آسيا الصغرى، وعلى أراضي السلاجقة هاجمه المسلمون وأجبروا قسماً منه على العودة، واضطر الإمبراطور الألماني إلى التخفي واستطاع أن يفلت من الحصار ويصل إلى بيت المقدس. أما الجيش الفرنسي فسار بطريق البر حتى وصل إلى القسطنطينية وعرف هناك أن حشوداً إسلامية كبيرة تنتظره في إمارة الرها، فالتف حولها، متجنباً الصدام معها، وتقدم نحو بيت المقدس. وفي بيت المقدس اتفق كل من الملك الفرنسي والإمبراطور الألماني مع بلدوين الثالث ملك بيت القدس على الزحف إلى دمشق واحتلالها. وحاصر الصليبيون مدينة دمشق، لكنها كانت بالغة القوة والتحصين. فسارعت قوى إسلامية عديدة لإنقاذ دمشق وفك الحصار من حولها، مما اضطر الجيوش الصليبية إلى التقهقر والانسحاب ليتفادوا معركة دموية كبرى لم يجرؤوا على الدخول فيها. وفشلت الحملة الصليبية في استرداد الرها وانسحبت جيوش الصليبيين إلى أوربا وهي تشعر بمرارة الخزي والهزيمة. وقد دامت أحداث الحملة الصليبية الثانية من أواخر ١١٤٧م/٥٣٢هـ إلى أواخر عام ١١٤٩م/٥٣٤هـ [2].

---

(١) انظر كتاب كارين أرمسترونغ : **الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**، لندن: ماكميلان، ١٩٨٨م، ص ١٤٦. (بالإنجليزية)، وعموماً الفصل المخصص للقديس برنارد وجهوده في التحضير لأشد الحملات الصليبية تطرفاً من الناحية الدينية.

(٢) انظر مصطفى وهبة : **موجز الحروب الصليبية** - مصر ، المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٧م؛ وكتاب كارين أرمسترونغ، السابق ذكره، وخصوصاً الفصل الثاني الذي يتحدث عن الحملة الصليبية الثانية.

وفي الغرب، خصوصاً في فرنسا كانت هناك نزعة فكرية تتجه نحو التعلم؛ بالإضافة إلى الروح المسيحية المتدينة السائدة. فبدلاً من الرحلة العدائية تلك التي تقود إلى الفتح وإلى عالم محدد مادياً، برزت الآن الرحلة الصوفية المتدينة باتجاه عالم ليس ذا نهاية مادية. ففي آخر رومانسيات (قصص الفروسية والبطولة) للكاتب كريتيان " قصة الكأس المقدسة " التي لم يكملها، يسعى فرسان إلى الكأس المقدسة التي استخدمها المسيح في العشاء الأخير والتي تحتوي دمه الحقيقي. وتتحول الكأس فيما بعد من أثر مقدس إلى رؤيا خيالية مقدسة لا يسعى فيها الفرسان إلى مدينة القدس ولكن إلى مدينة أراس السماوية التي ليس لها مكان جغرافي محدد في هذا العالم. وبدأ سعي الناس إلى أيدلوجية غير مهووسة بحيازة الأراضي بالقوة أو بالعودة إلى جذور جغرافية محددة. وحاولوا تحرير العنصر المقدس من العنصر المادي ابتغاء خلق بديل أيدلوجي للحيلولة دون الوقوع في براثن العنف الانتحاري للأيدلوجية الصليبية المسلحة. وفي بداية قصة " كليجية *Cliges*" يلقي كريتيان نظرة إلى الماضي:

"فمن الكتب التي بقيت لنا من الماضي نتطلع إلى الأعمال العظيمة للرجال الذين عاشوا في غابر الزمان. وتخبرنا كتبنا هذه أن أمثلة الفروسية والعلم كانت في الماضي تنتمي إلى الإغريق. ثم انتقلت الفروسية إلى روما. مع العلم الكبير الذي بدأ يأتي الآن إلى فرنسا. نرجو من الرب أن يحظى العِلمُ بمكانة هنا وأن يُرحب به هنا وألا يفارقنا الشرق الذي حظينا به بسبب ذلك في فرنسا: لقد منحها الرب فرصة جديدة، ولكننا لم نعد نسمع عن الإغريق والرومان، فقد ولى زمانهم، وخمدت جذوتهم[1] .

(١) اقتباس في كتاب كارين أرمسترونغ . **الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**، ص١٥٦.

كان هذا يمثل شعوراً إفرنجياً جديداً؛ فبدلاً من النظر إلى الوراء أي إلى الإمبراطور شارلمان فقط، نرى هنا سعي كريتيان لتأسيس علاقة مع الإغريق والرومان، مع أبطال العالم الكلاسيكي، الذين لا يمثلون قوى عسكرية فحسب، بل أساطين للمعرفة. وسعى كريتيان مع غيره من الكتاب إلى بعث فكري إفرنجي جديد كاستمرار للتراث القديم. وفي هذه الأثناء كان بعض العلماء يحاولون بناء جسر من الماضي الكلاسيكي الذي ضاع إبان العصور المظلمة. وكلما احتل الفرنجة أرضاً كانت تحت الحكم البيزنطي أو الإسلامي، كانوا يجدون هناك أناساً يعرفون الإغريقية أو العربية ومطلعين على علوم العالم الكلاسيكي القديم الذي فقد الغرب الصلة معه. فأسرع العلماء الذين يجيدون اللاتينية إلى أماكن مثل إسبانية وصقلية، وفيما بين الأعوام ١١٥٠ و١١٨٧م قام علماء مثل جيرالد أوف كريمونا وتلميذه دانييل مورلي باكتشاف ثروة من النصوص وتراث علمي كبير مترجم لدى العلماء العرب فحاولوا بشتى السبل تأمينه كي يصل إلى أيدي الطلبة الأوربيين[1]. فشرعوا بترجمة الكتب عن العربية واكتشفوا أعمال أرسطو العلمية بينها، بالإضافة إلى أعمال العلماء العرب الفلسفية والعلمية. وقد كانت طليطلة مركزاً مُهماً للترجمة: فقد وجد دانييل مورلي أعمال علماء عرب عَدَّهم "من أكثر الفلاسفة حكمة في العالم". ولما لم يكن في الأجواء حساسيات دينية كان الاتصال يتم بين العلماء من كل الديانات، ولاسيما المسلمين والمسيحيين، وقد كانوا يتعاطون العلم على نحو موضوعي. فمن جهة كان العرب قد استوعبوا معارف العالم الهلنستي والعالم الكلاسيكي القديم وتمثلوها على نحو مكنهم من نقلها بصورة مفهومة وواضحة إلى العلماء من أديان أخرى. وعبر ترجمة الكتب العربية وقراءتها كان العلماء الغربيون حقاً يعودون بأوربا إلى

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٥٦.

جذورها الكلاسيكية ويكتشفون تراثاً فكرياً غنياً ضائعاً. وقد تعلم أولئك الأوربيون كثيراً من الفلاسفة العرب وعلمائهم ؛ من أمثال الفيلسوف والطبيب أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا (المتوفى سنة ١٠٣٧م) وكان اكتشافهم الأعظم في قرطبة لمعاصرهم أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (متوفى سنة ١١٩٨م). وقد اختصرت هذه الأسماء على التوالي إلى أفيسينا *Avicenne* وأفيروس *Averroes* ، وهكذا أصبح العلماء العرب الحكماء الجدد ومرشدي الغرب الذي يشق طريقه نحو الأمام بصعوبة والذي أخذ يبني تقاليد مدرسة علمية طبقاً للمناهج العربية، مع تأكيد علمي النحو والمنطق خاصة، ولذلك كان بعض المسيحيين في حقبة الحملات الصليبية يتعلمون من العرب بدلاً من ذبحهم باسم الرب، فمن خلال ذلك التعلم والروح العربية الإسلامية الإيجابية والمتسامحة في العطاء بدأت الحياة الفكرية الجديدة تعطي أُكلها. وتذكر كارين أرمسترونغ صراحة: أن العرب المسلمين على نحو خاص كانوا نوراً بالنسبة إلى الغرب المسيحي، ومع ذلك فإن ذلك الدين قلما أشير إليه أو اعترف به. وما إن اكتملت عملية الترجمة العظيمة تلك فيما بعد، حتى أخذ الأوربيون يُجردون أنفسهم من تلك العلاقة المعقدة والمَرَضِيّة - بالنسبة إليهم - مع الإسلام، وأصبحوا غامضين فعلياً في تعاملهم وتصريحاتهم عن العرب والمسلمين وكأنهم لم يعرفوهم قط[1]. وبدا هؤلاء الأوربيون وكأنهم غير قادرين تماماً على المطابقة بين العرب المسلمين الذين تعلموا على أيديهم، وبين العرب المسلمين الذين يقاتلونهم عبر حملاتهم الصليبية وأصبح العرب يُحشرون دون تمييز مع "الوثنيين" أو"القبليين" *Gentiles* مثلهم مثل قدماء الإغريق والآشوريين والكلدانيين وغيرهم[2]. فنادراً ما

(١) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

صدر تصريح يَعدُّ العرب من غير الوثنيين أو القبليين على الإطلاق أو أنهم كانوا يؤمنون بإله إبراهيم الخليل. وظهرت تناقضات مضحكة أحياناً في أفكارهم: فقد كان توما الإكويني يمتدح ابن سينا وابن رشد ويعجب بهما لكنه كان يرفض دينهما الإسلامي ويعده غلطة أو زلة وثنية من طرفيهما. وحاول آخرون اقتطاع كلام لابن سينا من أجل الرد على الإسلام [1]. وعندما يتخيل دانتي موطن الأرواح المحرمة من دخول الجنة ليضع فيه الأخيار من " الوثنيين " فإنه يُدخل ابن سينا وابن رشد معهم ولكنه يضعهم في آخر قائمة العلماء الإغريق واللاتين المميزين الذين يعدهم من الأسلاف المفكرين. وترسخ - خلال عصر النهضة في أوربا فيما بعد - ذلك التراث الكلاسيكي في الوعي الأوربي، وأسقطت اللغة العربية من المناهج الدراسية، ورُفضت من قبل الهيلينيين الجدد بوصفها لغة همجية وغدت العلاقة مع الإسلام والعرب معقدة بالنسبة إلى الأوربيين في أن يتعاملوا معهم على نحو متوازن وموضوعي. وجعلت النزعة الصليبية العرب جزءاً مكروهاً من الهوية الغربية. كما أن علماء تلك الحقبة وجدوا أنفسهم على نحو مشابه غير قادرين على تمييز أولئك الإغريق الذين اكتشفوهم مؤخراً بوصفهم جزءاً لا يتجزأ منهم كغربيين أنهم فعلياً هم أجداد البيزنطيين المكروهين. إن تلك الحركة العلمية الهادئة الخلاقة فكراً وفناً التي تتلمذت على يد العرب المسلمين كانت ترفض على مستوى من المستويات عنف الحملات الصليبية على صعيد القول أو الشكل فحسب. ومبعث هذا الرفض ليس حب المسلمين ولكن الرعب والهلع من المذابح التي سترتكب بحق المسلمين والموت والهزيمة اللذين ينتظرانهم في نهاية الحملة بالنسبة إليهم. وحتى في أحسن حالات هذه الحركة كان هناك من يرى أن ما يحصل للعرب والمسلمين قمع غير طبيعي وتفكير

(١) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

مزدوج حيال أولئك الناس الذين كانوا يوماً ما مرشديهم ومعلميهم، ومثالهم الرائع، فهم الآن أعداؤهم الوثنيون الميتون. فإلى تلك الحركة على ما يبدو كان الراهب بطرس الجليل ينتمي. وكثيراً ما كان البحث الغربي في الإسلام يتميز بتلك النظرة المزدوجة السابق ذكرها، ويبدو أيضاً أن مراجعة جيمس كريتزك لترجمة روبرت أوف كيتون تندرج في سياق هذه النظرة.

لقد ذكرنا سابقاً : أن الراهب بطرس الجليل ولد في منطقة أوفرني *Au-vergne* بفرنسا عام ١٠٩٢م، وكان ناشطاً مسيحياً كبيراً، فأصبح رئيساً لدير رهبان كلوني *Cluny* من عام ١١٢٢م وحتى عام ١١٥٦م وهو عام موته[1]. ولا بد هنا من الإشارة إلى الدور الكبير الذي قام به دير كلوني في نشر التشدد الديني المسيحي من طرف، وإيقاظ الوعي الغربي من طرف آخر، وإلى إسهام بطرس في ذلك عبر نفوذه الروحي وصداقته مع آباء الكنيسة والملوك ، فقد دفعه حب الاطلاع عام ١١٤١م إلى زيارة الأديرة البنديكتية في طليطلة، فعزم الاطلاع على العوامل الباعثة للحضارة العربية الإسلامية التي سمع بها ورأى فيها منافساً قوياً للمسيحية، فقرر أن يطلع على مصادر الإسلام، وتعرف هناك على راهبين زائرين آخرين، الأول إنكليزي ويدعى روبرت أوف كيتون والثاني هو هرمان أوف دالماتيا[2] ، وكان هذان الرجلان يبحثان عن نصوص عربية في علم الرياضيات والفلك، فقام بطرس الجليل بإقناعهما بالتعاون معه في مشروع يرمي إلى ترجمة كتب الإسلام الرئيسة. وعمل

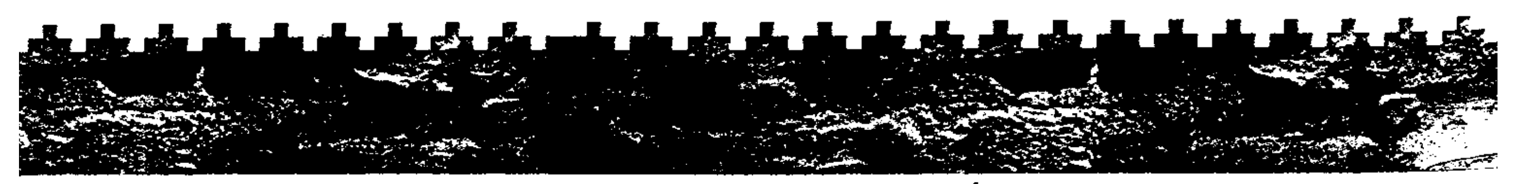
---

(١) انظر: د. محمد خير البقاعي. "ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد ٢٣٩، ص٣٥-٣٦، وانظر أيضاً: كارين أرمسترونغ . **الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**، ص١٥٧. هذا مع العلم أن سيرة حياة بطرس الجليل لم تدرس على نحو مفصل ودقيق. ويشير جيمس كريتزك إلى ذلك في حواشي الصفحة الأولى من مراجعته.

(٢) وتشير كلمة أوف في هذه الأسماء وما يماثلها أن الرجل من بلد كذا.

كل من روبرت وهرمان مع مسيحي إسباني يدعى بطرس أوف توليدو، وشخص مسلم، يطق عليه محمد السراسيني.*the Saracen* [1] فأدى عمل هؤلاء مجتمعين





(١) وهذا اللفظ كان يطلقه الأوربيون على العرب والمسلمين، ودلالة اللفظ غير إيجابية وهي بحاجة إلى بحث مستقل ومفصل.

مزدوج حيال أولئك الناس الذين كانوا يوماً ما مرشديهم ومعلميهم، ومثالهم الرائ
فهم الآن أعداؤهم الوثنيون الميتون. فإلى تلك الحركة على ما يبدو كان الراهـ

ودقيق. ويشير جيمس كريتزك إلى ذلك في حواشي الصفحة الأولى من مراجعته.

(٢) وتشير كلمة أوف في هذه الأسماء وما يماثلها أن الرجل من بلد كذا.

كل من روبرت وهرمان مع مسيحي إسباني يدعى بطرس أوف توليدو، وشخص مسلم، يطق عليه محمد السراسيني *the Saracen*[1] فأدى عمل هؤلاء مجتمعين إلى ترجمة مجموعة من الكتابات التي كانت وثائق بالنسبة إليهم، فظلت تحظى باهتمام بالغ من قبل الأوساط المطلعة الأوربية حتى نهاية القرن السادس عشر. وكان من بين هذه الوثائق، ترجمة للقرآن الكريم، وتأريخ للعالم من وجهة النظر الإسلامية ، وعرض لأحاديث النبي (ﷺ) ومجموعة من القصص الإسلامية، وعمل مبكر فيه جدل فلسفي مع الإسلام أُطلق عليه عنوان "دفاع الكندي". ويظهر أن أحد المراجعين- فيما بعد قام ببعض الإضافات على هذه الأعمال نفسها، وظلت هذه الإضافات تعد ذات مرجعية في نظر الطلبة مثلها مثل النصوص ذاتها. وبدا ذلك للأوربيين خطوة إيجابية هائلة نحو الأمام. وعلى الرغم من أن هذه الخطوة أدت إلى خلق تقاليد جدلية، كانت بعيدة تماماً عن فهم حقيقة الإسلام، وأسفرت عن صورة فانتازية مشوهة ساعدت كثيراً على إذكاء نار الحرب الصليبية المستعرة. وادعى الراهب بطرس الجليل، بوصفه رجلاً لطيفاً ومحباً، عبر كتابته رسالة (بحث صغير) أنه سيصل إلى المسلمين عبر خطاب المحبة، ولكن عنوان عمله هذا يُظهر تماماً الروح التي صدر عنها: "موجز الهرقطة الكاملة للمذهب الشيطاني الذي يخص الساراسين (العرب المسلمين)" - حقاً كان من المستحيل تماماً بالنسبة إلى المسيحيين أن يروا الإسلام أي شيء آخر غير نسخة مشوهة عن المسيحية. وهذا الجدل ضد المسلمين الذي بدأ وتطور عبر العصور الوسطى، استمر في الواقع ليؤثر تأثيراً قوياً في نظرة الغربيين إلى الإسلام في هذه الحقبة وأدى إلى خلق جدل يشبه جدل ما

(١) وهذا اللفظ كان يطلقه الأوربيون على العرب والمسلمين، ودلالة اللفظ غير إيجابية وهي بحاجة إلى بحث مستقل ومفصل.

سمي بشهداء قرطبة، أي المسيحيين الذين تجرأوا على الإسلام وشتموه ونالوا محاكمات صارمة من الولاة المسلمين. وأصبح المسلمون بموجب هذه النظرة يشكلون الظل الكريه للغرب المسيحي، ظلاً كريهاً بشدة عصابية لا عقلانية لا مثيل لها.

وخلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر بدأ الناس يتراجعون قليلا عن النزعة الصليبية ويبحثون عن شكل ديني أكثر سلماً وأقل عدوانية. فقد كان هنا وهناك في أوربا علماء متفرقون بدأوا يتساءلون عن قيمة الحرب الدينية المقدسة وجدواها. فقد ارتعب ذلك الصليبي الأنجلو-نورماندي الذي شارك في الفتح المسيحي لمدينة لشبونة عام ١١٤٧م الذي كتب وصفاً لتلك الحملة، ولمجرد ورود فكرة ذبح المزيد من المسلمين، تَذَكر المذبحة التي شهدها بأم عينه وصرخ مستغيثاً "أيها الرب، ارفع يدك الآن، فهذا يكفي"[١]. وكان أيضاً، إسحاق راهب إيتوال، يضطرب للغاية عندما يسمع عن أمر عسكري (مجهول المصدر) "يبيح السلب شرعاً والقتل على أساس ديني"[٢]. وكان إسحاق يطلق على هذا الأمر *monstrum novum* (الوحشية الجديدة)، وكان يجد أنه من المستحيل أن يكون هناك انسجام من أي نوع بين هذا الأمر وبين صفح المسيح وصبره وطريقة تعاليمه[٣]. كما وجد والتر ماب الذي توفي عام ١٢٠٩م وكان يعمل أميناً لدى الينور أكويتين، أن تلك الأوامر العسكرية مقلقة جداً؛ وقد صرح: أن "الحواريين فتحوا دمشق بكلام الرب وليس بحد السيف، تماماً كما فتحوا الإسكندرية وبلداناً عديدة في العالم". ومع ذلك لم يقم أحدٌ من هؤلاء الكُتاب بإدانة الصليبية. بيد أنه من الواضح بروز عدد من الناس هنا وهناك الذين أخذوا يرون أن هناك تناقضاً كبيراً بين الحملات الصليبية وتعاليم

(١) اقتباس في كتاب كارين أرمسترونغ، م. س، ص١٥٨.

(٢) نفس المعطيات السابقة.

(٣) انظر المرجع السابق ١٥٨.

المسيح. وقام معظم الناس بدفن أو بتغييب هذا الفهم على نحو قاس في أنفسهم؛ وهكذا استمرت الحملات الصليبية في الانطلاق باتجاه الأرض المقدسة. ولكن يبقى من المهم التأكيد أن علماء تلك الحقبة عندما كانوا يدرسون الإسلام كانوا لا يرون فيه إلا دين سيف، وهذه النظرة لا تزال قائمة لدى الكثير من الناس في العالم الغربي حتى الآن بوصفها حقيقة واضحة ثابتة.

إن دين الإسلام ليس فيه من العنف أكثر من أي دين سماوي آخر، بل إن الإسلام قد وضع بالفعل نموذجاً رائعاً في التعايش السلمي تعكسه فتوح البلدان، ومنذ انطلاقته الأولى. وما قام به علماء الغرب في القرن الثاني عشر لم يتعدّ خلق صورة خيالية لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو من بعيد، ولكنها ذات مساس كبير بمشكلة العنف المسيحي السائد. فعندما كان روبرت أوف كيتون يترجم كلمات السورة ٨٨ من القرآن الكريم ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(١) فنجد أن الشارح ينبري للتعليق في الحاشية بهجوم مدهش على النبي (ﷺ) كاتباً ما يلي: "لماذا إذاً تحاول إقناع الناس أن يتحولوا إلى دينك باستخدام السيف ؟ إذا لم تكن أنت مذكراً وإنما معلم، فلماذا تحاول إخضاع الناس بالقوة، تخضعهم مثل الحيوانات أو الوحوش البرية، وليس عن طريق العقل كأنهم بشر؟ في الحقيقة، أنت لست إلا كاذباً، فأنت تعارض نفسك بنفسك في كل مكان" (٢).

ومما يدعو للاستغراب أن المعلق على النص يهاجم كلاماً ينص على نحو واضح وصريح أن الإسلام ليس دين سيف؛ وأن أمامه أيضاً في القرآن مواقف النبي (ﷺ) الإيجابية فيما يخص أهل الكتاب والتعامل معهم وتذكير النبي ونصحه لأصحابه أن يمارسوا ضبط النفس في أثناء جهادهم المبكر ضد قريش في مكة،

(١) سورة الغاشية ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص ١٥٨.

فقد كان جهاداً دفاعياً وليس حرباً عدوانية. وبالإضافة إلى هذا كله إن أمامه بينة واضحة تعارض ما يطرحه من أفكار، إلا أن "ما يراه" هو عنف الإسلام فقط. فهو لا يقنع بالقرآن: لأن النبي محمداً (ﷺ) "كاذب"، هو لا يثق أيضاً بأي كلام يقوله النبي، وبالتالي فإن بينة القرآن لا قيمة لها. لقد غدا الإسلام دين عنف لأن أوربا خلقت عنه هذه الصورة وأرادتها كذلك. كان بطرس الجليل في مظهره رجلاً لطيفاً متسامحاً، اتهم القديس برنارد بعدم التسامح والقسوة، خصوصاً عندما أخذ الأخير معه أبيلارد إلى كلوني بعد انعقاد مجلس الشيوخ؛ وكان يصر في مقدمة أطروحته بأنه يريد أن يصل إلى المسلمين عبر المحبة: "أود مقاربتكم، لاكما يفعل الناس عادة عن طريق استخدام السلاح"، فقد كتب رسالته وهو يتخيل المسلمين وهم يقرؤونها: "ولكن بالكلام؛ ليس بالقوة ولكن بالعقل؛ ليس بالكراهية ولكن بالحب... إنني أحبكم، أحبكم لأنني أكتب إليكم، أكتب إليكم من أجل دعوتكم للخلاص"(١). إن هذا من حيث المبدأ سبيل إيجابي تماماً مثله مثل مشروع الترجمة الذي كان قد بدأ في إسبانية. لكن بطرس سوف يتجاهل أيضاً ما هو مكتوب أمامه، بدلاً من أن يقوم بمحاولة تفهم ما كان يدعي "معرفته" بعمق لكن بغموض على أنه "حقيقة الإسلام. ومع أن بطرس عندما كان يقرأ ترجمة كيتون للقرآن الكريم، كان يتوافر لديه عدد من الآيات التي تنص على أن النبي محمداً (ﷺ) كان يحث المسلمين على التعامل الطيب مع أهل الكتاب، وعلى تأكيد الأرضية المشتركة للأديان: ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ (٢). ومع هذا فقد كان بطرس متأكداً أن القرآن، من بين جميع كتب الأديان ينفرد في رفضه لقضية الحوار في الدين - على عكس الفرس والإغريق والرومان الذين هم في رأي بطرس، كانوا جميعاً يبحثون عن الحقيقة سلماً. وهـ

(١) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦ .

الاعتقاد ليس له أساس من الصحة إطلاقاً. والحق أن المسلمين كانوا يعاقبون المسيحيين الذين يتهجمون أو يسبون الإسلام أو النبي (ﷺ) ولكنهم في الوقت نفسه كانوا مستعدين تماماً لسماع أي شخص من أي دين كان يعرض أفكاره الدينية. فبدلاً من أن يقوم بطرس بقراءة القرآن مترجماً كاملاً، فإنه كان ينتقي مقاطع منفردة من القرآن، وينزعها من سياقها ثم يقوم بمناقشة إنشائية لفظية لمعنى الكلام المقتطع والمأخوذ أساساً من الترجمة المشوهة؛ فقد كتب مخاطباً النبي ﷺ ومعلقاً على الآية الكريمة: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[١]: "ما هذا الذي تقوله ؟ إذا أراد شخص أن يحاجك، تقول إنك أسلمت وجهك ومن معك إلى الله. ما هذا يا محمد...إذاً لم تقدم أي إجابة أخرى، غير أن تسلم وجهك ووجوه من معك إلى الله، فكيف لي أن أؤمن بأن ما تقوله صحيح؟ وكيف لي أن أؤمن بأنك نبي حقيقي من أنبياء الله؟ وكيف لي أن أؤمن بأن الدين الذي أبلغته للناس بُلغ لك من عند الله؟ سأكون بالفعل أغبى من الحمار لو أنني وافقتك؛ سأكون منقاداً أكثر من الغنم لو أني قبلت ما تقوله[٢]. لقد اتخذ بطرس بعض الكلمات هنا التي تشير إلى بعض الشؤون الإسلامية الداخلية المحددة على أنها نصوص عامة تعزل وجهات نظر أخرى . كما أن بطرس يدعي أن الإسلام يفرض نفسه بالسيف وحده وعبر عنف فظيع قائلاً : "الكلمات لا تنفع في مثل هذه الحالة من القسوة الوحشية"[٣] . وحتى رجل "راجح العقل" مثل بطرس الجليل كان مدفوعاً إلى أن يلقي جانباً بالعقل والموضوعية عندما أخذ ينظر إلى الإسلام على أنه دين العنف وعدم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠ .

(٢) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٩.

(٣) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٩.

التسامح والقسوة . لم يأخذ المعلق على الترجمة ولا بطرس الجليل الحملات الصليبية بعين الاعتبار ، فلم يتذكر الأول مثلاً كلام القديس برنارد بأن المسألة الوثنية ، ويقصد حربه مع الإسلام ، إلا بالسيف ، فمن جهة يقوم بطرس الجليل بإدانة استخدام العنف ويصر على الاقتراب من المسلمين بروح المحبة فقط، ومع ذلك فعندما يغادر لويس السابع ملك فرنسا في حملته الصليبية ، فإن بطرس يكتب إليه بأنه يأمل منه بأن يقتل من المسلمين قدر ما يستطيع، بقدر ما قتل موسى وجوشوا من الآشوريين والكنعانيين. كما كتب أيضاً إلى كبير أسياد المعبد، معبراً عن إعجابه العميق والثابت للأمر الذي أصدره بخصوص القتال ضد الساراسين(١). إنه تركيبة نفسية غريبة متناقضة وعصابية.

وكما كان من المستبعد تماماً بالنسبة إلى المسيحيين أن يروا في الإسلام أي شيء سوى شكل مشوه عن دينهم، كان من المستبعد بالنسبة إليهم أيضاً أن يروا الإسلام غير دين عنف، على الرغم من أن الدليل كان شاخصاً أمامهم. وبهذا تأسست منذ وقت مبكر صورة المسلم بوصفه عدواً للمسيحي، وغدت هذه الصورة فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من هوية العالم المسيحي الغربي النامية تدريجياً. لذلك كان المسلم جزءاً من الروح المسيحية الغربية وحُمِلَ عبء القلق الغربي من العنف المسيحي. إن الكتب ووسائل الإعلام وبرامج التلفاز اليوم تبث وتتناقل عنوانات مثل "سيف الإسلام" و "الإسلام المسلح" التي ما زالت تعود إلى تلك الصورة المقولبة والمسطحة عن الإسلام، كما أن العناد الذي ما زال يجعل الناس يتعلقون بفكرة الإسلام " كدين للسيف" تُظهر على مستوى من المستويات حاجة أولئك الناس لتصديق ذلك. ولا شك أن الإنسان المسيحي في الغرب قد تأثر بهذه الصورة ا

---

(١) انظر المرجع السابق، ص١٥٩ وما يليها.

ورثها عن الإسلام من ديانته ومن ثقافته المسيحية الغربية ، فوجد نفسه ليس في موقف دفاعي عن المسيحية ، بل في موقف هجومي على الإسلام. وفي ذلك يقول مراد هوفمان: "وطبيعي أن انتصارات المسلمين جنحت بالإنسان الغربي المسيحي إلى الزعم بأن الإسلام دين عدواني فصار يتشبث بالادعاء أن الإسلام إنما انتشر بحد السيف"(١). ومما يجدر ذكره في هذا السياق أنه من الأكيد فيما يسمى بإسرائيل اليوم هناك صقور من أمثال رافائيل إيتان وبنيامين نتنياهو و إرييل شارون، وحتى حمائم من أمثال يهودا باراك وشمعون بيرز ما زالوا يبررون استخدامهم للقوة والعنف في التعامل مع الفلسطينيين على أساس أن الإسلام يعلمهم أن على المسلمين أن يقاتلوا الناس من كل الأديان بوصفهم أعداءً لهم وأن يقوموا بإفنائهم عن طريق العنف. خطاب مفاده أن تقوم الدولة اليهودية بمعاهدة سلام مع هؤلاء العرب المسلمين في فلسطين أمرٌ مستحيل، لذلك فإن هذه الدولة معها كل الحق في استخدام العنف والقتل والتدمير لردعهم.إن كلمات الجنرال اللنبي "اليوم انتهت الحروب الصليبية" التي قالها حين دخل مدينة القدس في سنة ١٩١٧م ما زالت ملتصقة بأذهان العرب والمسلمين، كما أن الأحداث الجارية في بلاد العرب والمسلمين لتؤكد الخطر الداهم للصليبية الجديدة في المعاملة الغربية العدائية للإسلام والمسلمين(٢)، وإن قادمات الأيام سوف تثبت تأثير الحملات الصليبية في عالمنا المعاصر، في الشرق وفي الغرب على حد سواء. بناءً عليه نستطيع القول: إن وسائل الإعلام العربية والإسلامية مطالبة بالتصدي لما ينشر في الصحف والمجلات ويبث في برامج إذاعية

---

(١) مراد هوفمان . الإسلام كبديل .- الرياض: مكتبة العبيكان ، ٢٠٠١م، ص٢٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة، انظر : كتاب د. عبد اللطيف الطيباوي . **المستشرقون الناطقون بالإنكليزية، دراسة نقدية** ؛ ترجمة وتقديم د. قاسم السامرائي .- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٧٠ وما يليها.

وتلفزيونية أو ما يدور في بعض المحافل الدولية حول القرآن والإسلام والمسلمين، كما أن على الأوساط الجامعية والعلمية والثقافية أن تقوم برصد ما ينشره المستشرقون وأن يترجم إلى اللغة العربية وأن تتم دراسة ذلك الإنتاج ونقده على أسس موضوعية ؛ بغية إظهار الحقيقة ، وكلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ وأخيراً، فإن هذه الأوساط هي الأطراف الشرعية المعنية بتتبع تلك الدراسات وترجمات القرآن الكريم والاعتراف بالجيد منها وقبوله. وبما أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية هي وسيلة مهمة لنشر الدين الإسلامي، وبما أننا لا نملك القدرة على إيقاف ترجمات القرآن الكريم في أرجاء مختلفة من العالم، فلابد أن نتصدى لمحاولات التشويه وذلك باتخاذ مواقف حازمة على صعيد المستويات المذكورة كلها.

مراجعة : ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم (١)

بقلم جيمس كريتزك

صدرت مراجعة لترجمة روبرت أوف كيتون في جمعية زملاء جامعة هارفارد عام ١٩٥٥م لجيمس كريتزك وهو أمريكي متخصص في الدراسات العربيا والإسلامية، وكان كريتزك قد أعد أطروحة الدكتوراه عام ١٩٥٤م في جامعا برنستون حول بطرس الجليل، وقد نشرت الجامعة هذه الأطروحة في كتاب تحت عنوان "بطرس الجليل والإسلام" عام ١٩٦٤م. ويحاول كريتزك في مراجعته هذه أن يلخص بعض النتائج التي وصل إليها نتيجة مراجعته لمخطوطة ترجمة روبرت للقرآن الكريم التي تفيد الباحثين المهتمين في هذه القضية، التي تتركز تحديداً في بيان أهمية ترجمة روبرت للقرآن أوربياً وتأثيرها في ترجمات غربية لاحقة وفي الدفا ضمناً عن بطرس الجليل، وذكر بعض التفاصيل المهمة والظروف التي تمت فيها هذ

---

(١) ames Kritzeck, "Review: Robert of Ketton's Translation of the)ur'an", *I. Q., ii (1955), pp. 309-12.*

الترجمة. وتتميز هذه المراجعة بموضوعية بحثية من وجهة نظر القارئ والباحث الغربي المسيحي - لكنها تقدم أيضاً الوجه الآخر للمسألة بالنسبة للقارئ والباحث العربي المسلم، وتظهر خلفية التحامل الديني والثقافي التي تمت على الإسلام والمسلمين في أجواء مشحونة بالتوتر والعداء الصريحين.

إن ترجمة مراجعة كريتزك إلى العربية والتقديم لها والتعليق عليها وبيان الظروف التاريخية والثقافية والدينية التي تمت في ثناياها ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم التي هي موضوع المراجعة يخدم على نحو أولي فهم عملية ظهور هذه الترجمة تحديداً وظهور ترجمات أخرى تنطوي على كثير من المساوئ والتحامل عبر تاريخ طويل من الصراع والعداء غير المبررين تجاه الإسلام. وقد رأيت في هذا العمل بعض المعلومات التي قد تشكل مساهمة متواضعة باتجاه فهم عربي- إسلامي علمي وموضوعي لأهداف من قاموا بترجمة القرآن الكريم من غير المسلمين. وحسبي أن أصيب الغاية عبر هذا الجهد الترجمي، فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد.

نص المراجعة

لقد غدا من المعروف لدى الباحثين ومنذ وقت طويل وجود ترجمة لاتينية للقرآن الكريم تمت بتفويض من بطرس الجليل[١]،الرئيس التاسع لدير رهبان كلوني، وتأثير هذه الترجمة في كثير من الترجمات الأوربية التي تمت فيما بعد. إن ما يدعو المرء

---

(١) لا توجد سيرة حياة بحثية مقنعة حول بطرس . انظر: جى لكليرك، بطرس الجليل (دير القديس واندريل، ١٩٤٦م) (بالفرنسية) الذي يشير إلى أعمال سابقة حول هذا الموضوع . وهناك خطة لإصدار عدد من الدراسات حول بطرس في مجلد خاص في مجلة" دراسات إسلامية" لعام ١٩٥٦م - *Studia Islamica* .

للأسف هو أن الكثير من الحقائق حول هذه الترجمة لم تظهر إلا مؤخراً(١) وذلك بسبب وجود أخطاء وحذوفات كثيرة في مخطوطات لاحقة، وبسبب سوء استخدا المصادر اللاتينية ظل كل شيء مجهولاً إلى أن قامت مارى تيريز دو الفيرني(٢) *Marie-Terese d'Alverny* باكتشاف المخطوطة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف من جديد والمؤرخة عام ١١٦٢م في مكتبة الأرسنال بباريس، وأجرت عليها دراسة أولية، عنده تم شق طريق جديد من أجل القيام بدراسة جدية حول هذا الموضوع. ولعل الباحثي في الإسلاميات يجدون من المفيد لهم أن يطلعوا على نتائج تقصٍ تم مؤخراً قمت به عل المخطوطة(٣) التي سأقوم بإيجازها هنا، وستكون محط اهتمام خاص بالنسبة إليهم

لقد كانت زيارة بطرس الجليل إلى الكنائس والأديرة الكلونية *Cluniac* ف إسبانيا في العامين ١١٤١م و ١١٤٢م هي المناسبة المباشرة لتخطيطه ذلك المشرو الطموح، الأول من نوعه في العالم المسيحي ، الذي يهدف إلى دراسة الإسلام. إنن مقتنع بأن هذا المشروع لم يكن فكرة وليدة المصادفة ولكنه مشروع يتصل على نح

---

(١) لقد أنجز ب. ف. ماندونت عملاً أولياً ذا قيمة عنوانه : "بطرس الجليل وجهوده ضد الإسلا في"المجلة التومانية" *Revue Thomiste* (نسبة إلى توما الإكويني)، العدد ١(١٨٩٣م)، ص ٣٢٨- ٣٤٢ (بالفرنسية)، كما كتب أو. موتورت دو فيلار دراسة بعنوان: "دراسات في الإسلا في أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر في (**دراسات وشهادات العدد** ١١٠)، مدي الفاتيكان، ١٩٤٤م ص٨-٣٥ (بالإيطالية).

(٢) انظر : "ترجمتان لاتينيتان للقرآن من العصر الوسيط"، العددان السنويان ٢٢-٢٣ (١٩٤٨ ١٩٤٧م)، ص ٦٩-١٣١، و"بطرس الجليل وأسطورة محمد"، **مجلة كلوني**، (ديجون، ١٩٥٠، ص ١٦١ - ١٧٠ (بالفرنسية).

(٣) سوف أنشر أطروحتي للدكتوراه : "بطرس الجليل والإسلام" لعام ١٩٥٤م (الصادرة عن د فيرستون ميموريال، جامعة برنستون التي تقع في ٦٨٥ صفحة، ١٩٥٤م) مع تحقيقا لمخطوطة الأرسنال ولكتاب بطرس "كتاب ضد مذهب هرطقة الساراسين"عن المخطو رقم٣٨١ في مكتبة دو دوي.

حميم بخصوصيات ثقافة بطرس ومزاجه، كما يتصل بأعماله ذات الصفة الدفاعية والجدلية، وبعدم قناعته العميقة بالاتجاه الذي خطته الحركة الصليبية في زمانه[١]. كان بطرس رجلاً مثقفاً، وعَبَّر صراحة بأن هناك القليل جداً من المعلومات الموثقة عن الإسلام باللاتينية، وكان يلوم دائماً الجهل المسيحي على فقدان الحماس من أجل دراسة اللغات[٢]. ونظراً إلى أنه لم يكن نفسه يعرف العربية، فقد كان تحركه الأول يتمثل في استخدام مترجمين عن العربية كي يزودوه بالمعلومات.

ويمكن أن يكون البحاثة ريموند دولاسوفيتات[٣] الذي كان رئيساً لأساقفة طليطلة وأباً مسؤولاً عن جماعة كبيرة من الباحثين، قد ساعد بطرس في اختيار مترجميه والنصوص التي يجب أن ينقلها، وفي أي حالة، كما أخبر بطرس برنارد أوف كليرفو فيما بعد، بأنه قد علم بوجود عملٍ عربي " يُفند " العقيدة الإسلامية وأنه نصب شخصاً يدعى "المعلم بطرس من طليطلة " ليعمل على ترجمة هذا العمل له إلى اللاتينية"، ولكن لأن اللغة اللاتينية لم تكن مألوفة أو معروفة بالنسبة إليه كما هي العربية، لذلك قدمت المساعدة لهذا الرجل العالم، ابننا وأخينا، بطرس الشهير[٤].

---

(١) انظر: جيمس كريتزك . **بطرس الجليل والإسلام**، ص١٠-٤٠. (بالإنجليزية).

(٢) جى. ب . ميني، الأبوية اللاتينية، ١٨٩ (باريس، ١٨٩٠م)، *B* ٦٧١ .

(٣) لقد التقى الاثنان بالتأكيد، إن لم يكن قبل ذلك، عندما كانا معاً برفقة "الإمبراطور" الفونسو السابع في رحلته إلى سالامانكا عام ١١٤٢م، انظر: أ. جى. برنارد والكسندر برويل، أرشيف سجلات دير كلوني، ٥ (باريس، ١٨٩٤م)، رقم ٤٠٧٢، ٤٢٥، والرقم ٤٠٧٦، ٤٢٩. وانظر أيضاً، أ. جى.بالانسيا، دون ريموند رئيس أساقفة طليطلة (برشلونة، ١٩٤٢م). (بالإسبانية).

(٤) هذا الرجل هو بطرس أوف بواتييه، وليس قاضي قضاة باريس ولا الراهب المُنظم للقانون الكنسي في دير القديس فيكتور؛ انظر: م. لوكوانتر - دوبون، "إشارة إلى بطرس دوبواتييه، أكبر رهبان دير كلوني، أب دير القديس مارتيال دو ليموج"، مذكرات جمعية البحث عن العاديات ، ٩ (١٨٤٢م)، ص٣٦٩-٣٩١. (بالفرنسية).

قام هذا الرجل بصقل الكلمات اللاتينية وترتيبها والتي كان قد وضع معظمها بنفسه (أقصد المعلم بطرس من طليطلة) بطريقة ينقصها الصقل والترتيب، وبهذه الطريقة أخرج رسالة، أو بالفعل كتاباً صغيراً، كان مفيداً كثيراً مستقبلاً للعديدين، في اعتقادي ، وذلك بسبب المعلومات التي يوصلها عن أمور لم تكن معروفة من قبل(١). وقد كان من الصعب أن يصدق كثير من الباحثين أن بطرس كان يتحدث عن القرآن في ذلك النص؛ والترجمة التي نحن بصدد الحديث عنها هي ترجمة "رسالة عبد الله ابن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ورسالة الكندي إلى الهاشمي، وهي الرسالة المسيحية الدفاعية المشهورة"(٢).

"بالإضافة إلى ذلك"، فقد تابع بطرس كلامه لبرنارد، "فقد ترجمت عن العربية إلى اللغة اللاتينية أيضاً .... العقيدة المتعصبة، وسيرة حياة محمد، والقانون، الذي يُطلِقُ عليه اسم القرآن، الذي هو، "مجموعة من القواعد"(٣)... (وفيما يخص الترجمتي

---

(١) انظر: مين، *C-D* ٦٤٩ .

(٢) حرر النص العربي انطون تين في لندن عام ١٨٨٠م، ولكن تم اكتشاف مخطوطات أفضل فيه بعد وتمت مقارنتها؛ انظر: ب. ل. تشيكو ، "**فهارس مخطوطات المكتبة الشرقية. الجز السادس: مجادلات**"، مقالات متفرقة إصدار جامعة القديس يوسف، ١٤ (١٩٢٩م)، ص٤٣-٤٦ . وكان جوزيه مونوز سينديتو قد نشر طبعة لترجمة لاتينية تحت عنوان "**رسالة الكند المسيحية الدفاعية**"، في أعمال متنوعة، ١١-١٢ (١٩٤٩م)، ص ٣٣٩-٤٦٠، ولكنه لم يستخد مخطوطة الأرسنال المقروءة على نحو أفضل . وحول هذا العمل انظر: جي. غراف، **تاري الأدب العربي المسيحي**، العدد ٢ (دراسات وشهادات ١٣٣)، مدينة الفاتيكان، ١٩٤٧ ص١٣٥- ١٤٦. (بالألمانية)، و انظر: دبيلو. موير، دفاع الكندي - لندن ١٨٨٢م.(بالإنجليزية).

(٣) إذا كان، كما يبدو واضحاً من نص آخر: مين، *B* ٣٤٠، بطرس يقدم ترجمة للعنوان العر وليس وصفاً للمحتويات، فإن ترجمته تحتاج إلى تصحيحات؛ لأنه نسخها عن العنوان مخطوطة الأرسنال، الورقة ١٣٨ .

الأخيرتين) فقد كان المترجمون يتقنون كلا اللغتين: روبرت أوف كيتون[١] من إنكلترا، الذي هو رئيس الشمامسة في كنيسة بامبلونة الآن، وهرمان أوف دالماتيا، وهو بحاثة[٢] ذو عبقرية أدبية واضحة كل الوضوح. وقد عثرت عليهما في إسبانيا بالقرب من نهر ايبرو يدرسان فن التنجيم[٣] وقد جعلتهما يقبلان القيام بهذا المشروع عن طريق منحهما مكافأة كبيرة. وفي شرح متأخر أفاد بطرس بوجود مترجم آخر معهما: " ولكي تكون الترجمة [الترجمات] متمتعة بأقصى درجات الأمانة، ولكي لا يضيع عنا أي شيء عن طريق المختالة، أضفت مترجماً من الساراسين إلى فريق الترجمة المسيحي.... كان اسم ذلك الساراسين محمد[٤]. وقد ترجم كلٌ من هرمان وربرت عملين: ترجم هرمان "مسائل" أبي الحارث عبد الله بن سَلام[٥] و " كتاب نَسَب

(١) *Ketenensis* اسم بلدة يعني على ما يبدو *Ketton* كيتون ، وتقع في روتلاند شاير؛ وفي المخطوطات المتأخرة في تشِستر أو ريدنغ. انظر: أ. م. كليرك "تشستر، روبرت" **معجم السيرة الذاتية الوطنية** ، ١٠ (لندن، ١٨٨٧م) ، ص ٢٠٣؛ جى. سارتون ، مقدمة لدراسة تاريخ العلم ، ج١، ٢، (بالتيمور، ١٩٣١م)، ص ١٧٣-١٧٤ .(بالإنجليزية).

(٢) إن ترجمة الكلمة *Scholasticus* هي ترجمة فنية هنا، تبعاً لـ م. الونسو، "هرمان دو كارينثيا، دوايسانتيس، أعمال متنوعة، ٥ (١٩٤٦م)، ص ١٣؛ انظر: اتش. بوسمانز، "هرمان لا دالمات، مترجماً لآثار عربية"، **مجلة القضايا المهمة**، ٥٥ (١٩٠٤)، ص ٦٦٩ -٦٧٢، وسارتون، ١، ٢، ص١٧٣-١٧٤ . (بالفرنسية).

(٣) مين، *D* ٦٤٩ ، *C* ٦٥٠ .

(٤) المرجع السابق، *D* ٤٩ . ٦٧١ .

(٥) إن النص العربي مطبوع طباعة حجرية في القاهرة عام ١٨٦٧م، وهناك العديد من المخطوطات التي تتنوع كثيراً فيما بينها. وهناك ترجمتان نادرتان لهذا العمل، لكنهما غير مفيدتين هنا وهما: ترجمة ناثان ديفز، **كشف أخطاء المحمدية: أو، حوار بين النبي العربي وأحد اليهود** (مالطا، ١٨٤٧م) (بالإنجليزية). و. ف. بيجر، *Het boek der duizend Wragen (Leiden, 1924)* (بالألمانية). وحول هذا العمل انظر: جى. هوروفيتز "عبد الله ابن سلام"، **موسوعة الإسلام**. مج١، ١ (١٩٥٤م)، ص٥٢.

الرسول" لسعيد بن عمر[١]؛ كما ترجم روبرت مجموعة لا تزال غير معروفة من القصص الأسطورية اليهودية -الإسلامية ومعها ملاحظات حول سيرة حياة محمد والخلفاء الأوائل[٢]، بالإضافة إلى القرآن. إن ذكر بطرس الجليل لهرمان وربرت مع بعضهما على أنهما مترجما الأعمال الأربعة المذكورة أدى إلى اعتقاد كثير من العلماء أن الاثنين تعاونا في إنجاز هذه الأعمال الأربعة، ولكن عناوين مخطوطة الأرسنال والمقدمتين اللتين كتبهما روبرت تدعمان عزو عملين لكل منهما.

لقد ثَبُتَ أن ترجمة القرآن، وربما بحق، أنها الجزء الذي يستحق الرجوع إليه من بين مجموعة طليطلة. وهي تمثل العمل الذي استغرق على الأرجح الوقت الأطول لإنهائه، وعلى أية حال فهو العمل الوحيد الذي يمكن تحديد زمن إنجازه بدقة. "إن روبرت أوف كيتون هو من قام بالترجمة"، فقد كُتِبَ هذا الكلام بخط جميل وواضح في مخطوطة الأرسنال، "في سنة السيد المسيح ١١٤٣م، الموافقة لسنة الإسكندر ١٤٠٣،[٣] ولسنة الهجرة ٥٣٧، ولسنة الفرس ٥١١" [٤]. ويسمح لنا هذا أن نضع تاريخ إنهاء الترجمة فيما بين ١٦ حزيران و ١٥ تموز من سنة ١١٤٣، أي في بدايات

(١) انظر : جى. ريبيرا و م. أسين بلاثيوث، **المخطوطات العربية في مكتبة جونتا** (مدريد ١٩١٢م)، ص٤٤ و ٥٠.

(٢) ثمة أجزاء منها في مخطوطات مكتبة جونتا، ولكن لم تتح لي الفرصة أن أدرسها بتأنٍ، ويمكن أن يُلام روبرت جزئياً لحذفه الإسناد بدعوى أن "الأسماء العربية غريبة تماماً بالنسبة إلى اللغة اللاتينية، لذلك كان يرى تعداد تلك الأسماء عبر جهد مضن دون أي جدوى، إلا إذا كان هناك من يعدّ الإسهاب في الكلام وزيادة عدد الأوراق أمراً مثمراً". مخطوطة الأرسنال، الورقة ٥.

(٣) يجب أن تكون سنة الإسكندر ١٤٥٣م، وجاءت كذلك في تقديري نتيجة لحذفٍ تم في أثناء نسخ المخطوطة وليس نتيجة لخطأ في الحساب.

(٤) مخطوط الأرسنال، الورقة ١٣٨.

السنة الفارسية ٥١١ وسنة الهجرة ٥٣٨ على التوالي. وقد أشار روبرت في مقدمته للترجمة إلى أنه مر بتجربة صعبة للغاية في إنجازه إياها، على الرغم من أنه أصر على أنه "لم يقم بتغيير شيء في المعنى إلا عندما اضطر إلى التوضيح ليس إلا."(١) فقد كان روبرت يفسر ذلك على نحو عام إلى حد ما. ومن ضمن أهم التصرفات التي قام بها في النص هي إعادة تقسيم السور القرآنية ، فقد بدأ الترجمة دون ترقيم للفاتحة، وقسم السورة الثانية بما في ذلك سدسها الذي أنهاه إلى خمس عشرة سورة، وبذلك خرج في النهاية بزيادة قدرها تسع سور زيادة على ما هو موجود في الأصل. كان يحذف أحياناً فقرات ويرتكب أخطاء شنيعة في الترجمة، ولكن الخطأ الكبير الذي ارتكبه كان يكمن في ميوله في التعبير عن أسباب ونتائج في الترجمة هي غير موجودة في النص الأصل ؛ محاولاً بطريقته المختلقة أن يخلق علاقات منطقية بين السور المستقلة أساساً. كما أن اختياره لعبارات تعتمد على عبارات وعظية مسيحية وعلى ذكريات أدبية أحياناً لغريب تماماً.

إن ترجمة القرآن في مخطوطة الأرسنال مُثقلة بالشروح والتعليقات الكثيرة، فعلى سبيل المثال، تحتوي الصفحات العشر الأُوَل من المخطوط على ٣٦٤ ملاحظة في الهوامش وبين الأسطر. وربما كانت بعض هذه الملاحظات من قبل روبرت أوف كيتون نفسه، لكنني أميل إلى الاعتقاد بأن بطرس أوف بواتييه هو من قام بمعظمها؛ وهي بطبيعتها تتراوح بين "كم كاذب" وتعليقات تدل على سعة الاطلاع، وتبلغ الكلمات التي تخص الكعبة والأعراف الإسلامية بالمئات أيضاً. إن دراستي لهذه الترجمة ستتضمن تحريراً لتلك الملاحظات كلها، هذا بالإضافة إلى فهرس بالمصطلحات اللاتينية والعربية المستخدمة.

(١) مين، C-D ٦٥٨؛ لقد اختفت المقدمة من مخطوط الأرسنال.

لقد كان الهدف الأول لبطرس الجليل أن يداوي علة الجهل الأوربي المسيحي بالإسلام، كما كانت ترجمة مجموعة طليطلة بداية رائعة. ولكن لأن بطرس وجد محتويات هذه المجموعة أحياناً "مسهبة، ومعظمه ما صعب الفهم"[1]، قام فيما بعد بإعداد كتيب موجز بسيط، وصحيح عموماً حول العقيدة الإسلامية عنوانه: *Summa totius heresies Sarracenorum* - " ملخص كامل عن هرطقة الساراسين"[2]. وبعد دراسة متأنية ومطولة لمشروعه، كان بطرس يرى أن دوره ينتهي تحديداً عند هذه النقطة، ولكنه عندما لاحظ وقتئذٍ أنّ بطرس أوف كليرفو أو أي شخص آخر لا يرغب في الاطلاع على تلك الترجمات عبر كتاب يُفند العقيدة الإسلامية من وجهة نظر مسيحية، لذلك قام في نهاية الأمر بكتابة كتاب عنوانه : "كتاب ضد مذهب هرطقة الساراسين"[3]. ويختلف هذا الكتاب عن غيره من الكتب المسيحية السابقة واللاحقة الصادرة حول الإسلام لسببين: أولهما : الطريقة الهادئة والمحتشمة التي يتوجه بها، وثانيهما : معالجته فقط لموضوعات دينية قليلة على نحو موسع للغاية.

---

(١) المرجع السابق، *B* ٣٤٠ .

(٢) المرجع السابق، *C-D* ٦٥١، *B* ٦٥٧ - *C* ٦٥٢. وهناك مخطوطتان متأخرتان واحدة تخص فصل لوبي *Chapter Lepuy*، والثانية من المخطوطة ٢٢٦١ في مكتبة دوترويه، تحتويان على تنوعات ممتعة في الجمل الأولى من النص؛ سأقوم بمناقشتها مع جيل كونتابل في أحد أعداد مجلة دراسات إسلامية - *Studia Islamica*.

(٣) المرجع السابق، *D* ٦٦٣، *D* ٦٦٤ - *B* ٧١٩، *A-B* ٧٢٠ . أقصى ما أستطيع قوله هنا: إن السبب الكامن وراء الاعتقاد السائد بأنه كان هناك أربعة كتب تلخص الفصول التي قام بإعدادها بطرس أوف بواتييه، المرجع السابق، *B* ٦٦٢-٦٦٣٢، *A-C* ٦٦٤ ؛ ولكن بطرس الجليل لم يتتبع هذه الفصول على نحو دقيق ، كما أن المسائل المهمة كلها التي تحتويها هذه الفصول تم تناولها في كتابيّ بطرس المذكورين ،انظر: كريتزك، ص ٢١٢-٢١٧ .

ونقرأ في مستهل الكتاب: "إنه يبدو غريباً، ولعل الأمر كذلك، بالفعل، إنني أنا، رجل مختلف عنكم كثيراً من حيث المكان، وأتحدث لغة مختلفة،وظروف حياتي منفصلة عن ظروف حياتكم، وغريب عن عاداتكم وحياتكم، أكتب إليكم من الغرب البعيد إلى أراضي الشرق والجنوب ، وإنني عبر كلامي هذا أهاجم أناساً لم أقابلهم من قبل، أناساً ربما لن أقابلهم مستقبلاً. لكنني أهاجمكم ليس بالطريقة التي يقوم بها بعض منا نحن [المسيحيين] غالباً ، مستخدمين السلاح ، إنني أستخدم الكلمات ؛ ليس بالقوة ، ولكن بالعقل ، ليس بالكراهية، ولكن بالحب.... إنني أحبكم؛ ولأنني أحبكم أكتب إليكم؛ وبكتابتي إليكم، أنا أدعوكم إلى الخلاص[١] .

لم تُكتب المقادير "لكتاب " بطرس ، كما كان يأمل أن يحدث[٢] ، وهو أن يُترجم إلى العربية ، كما أنه لم يؤثّر على نحو ملحوظ في الجدال المسيحي الدائر بخصوص الإسلام لاحقاً. على أية حال ، لقد تمتعت مجموعة طليطلة بنجاح كبير ضمن تراث مخطوطات غني وعدد من النسخ المطبوعة (إحدى هذه النسخ قدم لها مارتن لوثر) في القرن السادس عشر.[٣] وإذا كانت هذه المجموعة قد فشلت في إطلاع أوربا على الإسلام، فإنها تبقى مع ذلك، شهادة على فطنة رجل مسيحي من القرون الوسطى وحماسه فضل اللجوء إلى السلم والتفاهم بدلاً من اللجوء إلى الحرب والجهل.

---

(١) مين، B٦٧٣، C ٦٠. ٦٧٤٢ .

(٢) المرجع السابق، ص A ٦٧٢ .

(٣) انظر: دو الفيرني، " ترجمتان ". انظر المعطيات فيما سبق، ص١٠٩ - ١١٣؛ وهناك ثلاث نسخ مستقلة للطبعة الأولى التي ظهرت في بال سنة ١٥٤٣، وطبعة ثانية ظهرت عام ١٥٥٠م؛ وانظر : دبليو كوهلر، *Zu Bibiarders Koran - Ausgabe Zwingliana , iii (1929),pp.345-50* .

ثبت بالمراجع

الكتب :

١ - أرمسترونغ ، كارين . **الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**.- لندن: ماكميلان ، ١٩٨٨م (بالإنكليزية).

٢ - البنداق ، محمد صالح . **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم** .- بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

٣ - حسن ، محمد خليفة . **أزمة الاستشراق الحديث المعاصر** .- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.

٤ - السباعي ، مصطفى . **الاستشراق والمستشرقون** .- بيروت : دار الوراق، طبعة جديدة، ١٩٩٩م.

٥ - ستودارد ، لوثروب ، وأرسلان ، شكيب . **حاضر العالم الإسلامي** . مج١، دار الفكر، ١٩٧١م.

٦ - الطيباوي ، عبد اللطيف . **دراسات عربية وإسلامية** .- دمشق : دار الفكر، ١٩٨٣م.

٧ - الطيباوي ، عبد اللطيف . **المستشرقون الناطقون بالإنكليزية** ؛ دراسة نقدية ؛ ترجمة وتقديم د. قاسم السامرائي .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨ - فروخ ، عمر ، والخالدي ، مصطفى . **التبشير والاستعمار** .- بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

٩ - موسوعة الإسلام ، مج٣. ليدن : إي.جى. بريل ، ١٩٦٩م.

١٠- هوفمان ، مراد . **الإسلام كبديل** .- الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م.

١١- وهبة ، مصطفى . **موجز الحروب الصليبية** .- مصر - المنصورة : مكتبة الإيمان، ١٩٩٧م.

المجلات والدوريات :

١ - أبو طالب ، محمد . "ملاحظات حول ترجمة القرآن"؛ ترجمات ، جامعة عبد المالك السعدي : **مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة** ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، أكتوبر ١٩٩٩م.

٢ - البقاعي ، محمد خير . "ترجمات القرآن الكريم" ، **مجلة الفيصل** .- الرياض ، العدد ٢٣٩، ١٩٩٥م.

٣ - كريتزك ، جيمس ؛ مراجعة ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم . **الفصلية الدولية**، جامعة هارفارد، ١٩٥٥م . (بالإنجليزية).

دور الوقف في دعم التعليم القرآني في الحلقات القرآنية

الدكتور علي
ابن إبراهيم
الزهراني*

* بكالوريوس في الإدارة من كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عام ١٤٠٠هـ.
- ماجستير الإدارة التربوية من كلية التربية جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ.
- دكتوراه في التربية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٢هـ.
- عمل وكيلاً لعمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية، ويعمل الآن استاذاً مشاركاً ومشرفاً على لجنة المراجع العلمية بعمادة البحث العلمي بالجامعة نفسها.

الفصل التمهيدي

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد ، وآله مصابيح الهدى ، وأصحابه الذين تلقوا عنه القرآن وبلغوه ، والتابعين لهم بإحسان ، وكل من دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن من البشائر لمستقبل الإسلام والمسلمين إقبالهم على تعلم القرآن الكريم وتعليمه ونشره في العالمين ، والحرص على حفظه وتحفيظه في شتى مجتمعات المسلمين ، لكل فئاته صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساءً ، متعلمين وغير متعلمين .

وفي هذا العصر وبالرغم مما تمر به الأمة الإسلامية من محن وتغريب وفتن وشبهات وشهوات إلا أننا - وبحمد الله - نلحظ عودة راشدة، واهتماماً كبيراً، وإقبالاً منقطع النظير على القرآن الكريم ؛ يوضح ذلك حلقات وخلاوي ومحاضن تحفيظ القرآن الكريم ، التي بدأت تنتشر في كل بقاع المعمورة بعامة ، وفي ربوع العالم الإسلامي بخاصة ، وذلك بفضل الله تعالى الذي تعهد بحفظ

القرآن بقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) ، ثم بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة الذين وهبوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم وعلمهم للقرآن الكريم استجابة لرسول الله ﷺ القائل : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٢) .

ولا شك أن انتشار هذه الحلقات القرآنية في أرجاء الدنيا ، والمطالبة المستمرة من أفراد المجتمعات إلى فتح المزيد من حلقات ومدارس وخلاوي تحفيظ القرآن في كل مكان يتطلب الكثير من الدعم المادي والمعنوي لهذه الحلقات ، حيث إن الجهات المشرفة على هذه الحلقات تواجه طلبات متزايدة على إقامة الحلقات والمدارس القرآنية للصغار والكبار من الرجال والنساء ؛ إلا أنها في المقابل تواجه عجزاً ونقصاً كبيرين في الإمكانات المادية والبشرية .. الأمر الذي يوجب على علماء وحكام وأثرياء المجتمع المبادرة إلى دعم هذه المحاضن التربوية المتمثلة في الحلقات مادياً ومعنوياً ، ووقف الأموال عليها وإقامة مشاريع خيرية تحبس على هذه الحلقات حتى تؤدي رسالتها التربوية كما ينبغي تجاه هذا القرآن الكريم ، وتلبي الطلبات المتزايدة في إقامة الحلقات القرآنية التي تسهم في تربية أبناء المسلمين وحفظهم من الانحرافات السلوكية التي تعصف بالمجتمعات المعاصرة ؛ ولعل هذا البحث يكون محاولة جادة في دعوة المسلمين إلى دعم الحلقات القرآنية وتخصيص بعض الأوقاف الثابتة عليها لتلافي العجز الشديد الذي تمر به الجهات المشرفة على هذه المدارس والحلقات القرآنية ؛ نظراً للدور التربوي الذي تقوم به في تربية أبناء المسلمين على الأخلاق الفاضلة ، والآداب الحسنة .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

(٢) الإمام البخاري . صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ؛ تحقيق مصطفى ديب البغا ، ج٤-بيروت ، دمشق : دار ابن كثير واليمامة ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٩١٩ .

إن دعم هذه الحلقات وتحبيس بعض الأوقاف عليها ؛ حفظاً لهذا الكتاب المحكم ؛ وقياماً بواجب تبليغه للعالمين ، ونشر أحكامه وعلومه بين أفراد المجتمع الإسلامي ؛ امتثالاً لقول خير البشر ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»[1] ، بل إن في هذا العمل الجليل أداء للواجب الشرعي الكفائي الذي يسقط الإثم عن الأمة ؛ وإلا لو تعطل ذلك ، فإن الإثم يلحق الجميع[2] .

ولقد حث الشرع الإسلامي على فعل الخير والمبادرة إلى ذلك في جوانب الحياة شتى ، حين شرع الله لعباده ما يقربهم إليه ، ويسعدهم في الدنيا والآخرة ، ويضاعف لهم الأجور ، ومن ذلك : الإنفاق من أموالهم التي جعلهم الله مستخلفين فيها ؛ لتزكو نفوسهم ، وتنمو أموالهم ، قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[3]، وقال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4] ، ولقد صور الرسول ﷺ هذه المضاعفة والتنمية المالية لما يقدمه المسلم من ماله بقوله: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل»[5] .

ولا شك أن الوقف من أفضل أنواع الإنفاق؛ لدوام نفعه وفائدته وتعديه إلى الآخرين؛ لأنه حبس للأصل وتسبيل للمنفعة ، وقد جاء في الحديث ما يوضح بيان دوام الانتفاع به بعد موت صاحبه ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ٣/١٢٧٤ .

(٢) السيوطي . الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ، شركة مكتبة مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٩٨هـ، ص٩٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦١ .

(٥) صحيح البخاري ٢/٥١١.

الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» [1] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[2] .

ولأجل ذلك سارع المسلمون إلى هذا العمل الجليل منذ بزوغ فجر النبوة إلى يومنا هذا . جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أصاب عمر أرضاً بخيبر ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي منه ، فما تأمرني به ؟ قال : «إن شئت حبَّست أصلها وتصدقت بها» فتصدق بها عمر غير أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث [3] .

وروى البخاري : أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب ماله إليه بَيْرحاء ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4] ، قام أبو طلحة فقال : يا رسول الله ، إن الله يقول :

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بَيرَحاء ، وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها حيث أراك الله، فقال: «بخ ، ذلك مال رابح...» الحديث[5].

(١) محمد ناصر الدين الألباني . صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج١ -- ط٣ -- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ ، ص٢٧٩ ، ح٨٠٥ .

(٢) ابن ماجة . سنن ابن ماجة؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج١، المكتبة الإسلامية (د.ت)، ص٨٨.

(٣) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١١ -- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ، ص٨٦.

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(٥) ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٥ -- بيروت: دار المعرفة ، (د.ت) ، ص٣٥٤.

وما فعله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من وقف بئر رومة على المسلمين، حيث رغب فيها رسول الله ﷺ حينما قدم المدينة ولم يكن بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال عليه الصلاة والسلام: «من يشتري بئر رومة؛ فيجعل منها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟»(١) فاشتراها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صلب ماله وتصدق بها على المسلمين.

وقد تسابق صحابة رسول الله ﷺ بوقف أنفس أموالهم في سبيل الله حتى أن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا أوقف)(٢) .

وعلى هذا النهج القويم سار التابعون ومن بعدهم في المبادرة إلى الوقف ؛ إدراكاً منهم لأهميته وأثره في المجتمع ، وعظيم أجره عند الله تعالى .

وتزداد أهمية الوقف في عصرنا الحاضر ، بل وتتضاعف الحاجة إليه؛ بهدف إحياء السنة النبوية ، سيرة الخلفاء الراشدين، حيث تعددت مجالات الوقف، وأصبح المجتمع بأمس الحاجة إلى ذلك؛ نظراً لتعدد مطالب المجتمع المختلفة .. ومن أهم المجالات التي ينبغي أن يهتم بها ويلتفت إليها جمعيات تحفيظ القرآن الكريم الداعمة لحلقات القرآن ، فهذه الجمعيات جديرة بالاهتمام، حيث يمكن الوقف عليها؛ بهدف دعمها، ورعايتها، وإعداد وتدريب المعلمين القائمين بالعمل التربوي فيها .

موضوع البحث وتساؤلاته :

بالرغم من الدعم المادي الذي تلقاه الحلقات القرآنية من المحسنين والآباء والدولة من خلال المؤسسات الرسمية التي تشرف على الحلقات ؛ إلا أن الحاجة ما زالت كبيرة لمزيد من الدعم؛ نظراً لحاجة المجتمع إلى المزيد من فتح الحلقات

---

(١) الترمذي . سنن الترمذي ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج٥ - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (د.ت) ، ص ٦٢٧ .

(٢) ابن قدامة . المغني وشرح الكبير، ج ٨ - بيروت : دار الكتاب العربي ، (د.ت) ، ص١٨٥ .

القرآنية وزيادة التكاليف والأعباء المالية، والنقص الشديد في الموارد المالية، لا سيما أن أغلبها مقطوعة ، ولا يوجد موارد ثابتة لهذا الجانب ؛ وعليه فإن موضوع البحث يتبلور في الأسئلة التالية :

١ - ما دور الوقف في دعم التعليم القرآني في الحلقات القرآنية ؟

٢ - هل تحتاج الحلقات القرآنية إلى الدعم المادي والمعنوي من خلال الوقف المخصص لها ؟

٣ - ما مشروعية الوقف على الحلقات القرآنية ؟

٤ - ماذا عن تاريخ الوقف في دعم التعليم القرآني بخاصة والتعليم العام بعامة ؟

٥ - ما مجالات الوقف في ميدان التعليم القرآني في الحلقات القرآنية ؟

أهمية البحث :

تبرز أهمية الدراسة في النقاط التالية :

١ - عدم وجود دراسات سابقة في هذا الموضوع حسب علم الباحث .

٢ - توضح نتائج هذه الدراسة وتوصياتها مدى الحاجة إلى الدعم المادي المستمر لهذا المجال الذي يتعلق بأهم وأعظم كتاب في الوجود وهو القرآن الكريم الذي جعلت الخيرية فيمن علمه وتعلمه، قال ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

٣ - تبين هذه الدراسة المجالات المتنوعة التي تعاني النقص في مواردها المالية التي تحتاج إلى تخصيص أوقاف خاصة لتسد نقصها وتحقق أهداف الحلقات القرآنية التربوية والدينية والاجتماعية.

٤ - تكشف هذه الدراسة مشروعية الوقف على الحلقات القرآنية، وأنه لم تقتصر المخصصات الوقفية على بناء المساجد والأربطة ورعاية الفقراء والأيتام

---

(١) صحيح البخاري ، سبق تخريجه .

فحسب، بل شملت كثيراً من الأوقاف على الكتاتيب والمدارس ودور القرآن - عبر التاريخ - ؛ لكون الإنفاق على التعليم من أعظم القرب إلى الله تعالى ، لاسيما القرآن الكريم الذي كانت تقوم هذه الوسائط التربوية بتعليمه وتحفيظه وتربية أبناء المسلمين عليه على مر العصور ، حيث بلغت الكتاتيب التي تعنى بتعليم القرآن والكتابة واللغة العربية التي يتم تمويلها بأموال الوقف أعداداً كبيرة ، فقد وصل العدد إلى ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية ، وكان الكتاب الواحد يتسع للمئات أو الألوف من الطلبة[1].

٥ - ونظراً لزيادة الطلب من أفراد المجتمع على التحاق أبنائهم بالحلقات القرآنية ذكوراً وإناثاً، فهذا يعني الحاجة إلى فتح المزيد من الحلقات القرآنية وتزويدها بما يقتضيه التعليم القرآني من وسائل وتجهيزات مادية ، وتحويلها من مجرد حلقات تقليدية إلى حلقات منظمة ومشجعة على التعلم والإتقان والتربية .

وعليه، فإن الأمر يدعو إلى المبادرة في إعادة النظر في كيفية الاستفادة من الأموال الوقفية في مجال التعليم القرآني وتوجيهها بما يحقق أهداف الحلقات والمدارس والمراكز القرآنية ، وحث الموسرين على المشاركة في هذا الجانب، ووقف بعض أموالهم على الجمعيات الخيرية المشرفة على التعليم القرآني من خلال المدارس والحلقات القرآنية؛ بوصفه قربة إلى الله تعالى ، وداخلاً تحت أبواب الصدقة الجارية التي ينتفع بها المسلم في حياته وبعد مماته .

٦ - تساعد هذه الدراسة على تحديد المجالات التي يمكن الوقف عليها في مجال التعليم القرآني، حيث حاول الباحث أن يقدم تصوراً مقترحاً للآلية التي يمكن من خلالها تفعيل الوقف في دعم العمل التربوي والدعوي والتعليمي

---

(١) عبد الملك أحمد السيد . الدور الاجتماعي للوقف ·- جدة : البنك الإسلامي للتنمية ، ١٤١٠هـ ، ص٢٣١ .

والاجتماعي داخل الحلقات القرآنية ، وبيان المجالات التي يمكن مساهمة الوقف فيها .

٧ - دعوة أهل الخير وذوي اليسار والغنى إلى دعم الحلقات القرآنية، وإقامة الأوقاف الخيرية الثابتة لها، وتذكيرهم بفضل تعليم القرآن ونشره ، وأهمية الوقف في نشر التعليم القرآني، ورفع مستوى المعرفة الدينية لدى أفراد المجتمع المسلم.

٨ - توفير الجوائز المادية التي تقدم للمبرزين من طلاب الحلقات القرآنية، ودعم تلك الحوافز ؛ ذلك من خلال إقامة الحفلات ، التي تقام بصفة دورية في مسجد الحلقة أو المدرسة ؛ إضافة إلى تنفيذ الأنشطة التربوية والبرامج الثقافية المتنوعة والزيارات الميدانية مثل : الزيارات والرحلات والمسابقات وغيرها من البرامج التي تُرغِّب التلاميذ في الحفظ والتعليم والاستمرار في الحلقات القرآنية ، وتجدد نشاطهم وتعوضهم عن حاجاتهم إلى الترفيه الذي تنازعهم إليه رغباتهم وميولهم خارج الحلقات والمدارس القرآنية .

٩ - صرف بعض الإعانات الخاصة للمستحقين من طلاب الحلقات والمدارس القرآنية، ومساعدتهم ، فهذه المساعدات لها أثر إيجابي على استمرار هؤلاء التلاميذ في الحلقات ، وعدم انقطاعهم بحثاً عن مصدر رزق لهم أو لمساعدة أسرهم وتركهم الحلقات .

١٠- العمل على توظيف القائمين على هذه الحلقات والجمعيات الخيرية وفروعها المختلفة، حيث إن الكثير من المشرفين عليها والقائمين على جهازها الإداري متعاونون.. وتعيين هؤلاء أو غيرهم يؤدي إلى تحقيق أهداف الحلقات والمدارس القرآنية، ويضمن استمرار العمل وتطوره في هذه الحلقات وعدم انقطاعه.

هذا من جانب ، ومن جانب آخر متابعة وتقويم العاملين في هذا الميدان ومطالبتهم ببذل ما يستطيعون من جهد في الارتقاء بمستوى الحلقات والمدارس القرآنية .

١١ - إن العناية بهذه الحلقات تعني صلاح أبناء المجتمع ؛ لأنه كلما التحقوا بهذه الحلقات وزادت تلاوتهم لكتاب الله وفقههم لمعانيه وتطبيقهم لأحكامه وتوجيهاته، وحرصت الجمعيات على تعليم القرآن وتذليل الصعوبات أمام القائمين بتعليمه ودعم حلقاته ومدارسه مادياً ومعنوياً رفع الله مكانة أولئك ومنزلتهم ، قال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[١] .. ولن يتم ذلك إلا بتضافر جهود أفراد المجتمع وأهل اليسار منهم بدعم هذه الحلقات .

وقد شبه الرسول ﷺ البيوت التي لا يقرأ فيها القرآن بالمقابر؛ لانقطاع الأموات عن العبادة والتلاوة ، وأخبر عن أمر غيبي وهو صدود الشياطين ونفورهم من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، فقال : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٢] .

وقياساً عليه، فإن الحي أو القرية أو المدينة الذي لا تقام فيه حلقات للقرآن وتعليم له ، فإنه يشبه المقابر ، ويصبح أفراده عرضة للانحراف ؛ ولهذا فانتشار الحلقات القرآنية وإقامتها في المجتمع من الحاجات الضرورية للمجتمع .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى الأمور التالية :

١ - الدعوة إلى إحياء سنة الوقف، وحثّ أفراد المجتمع ، وخاصة أصحاب الأموال والأراضي والمزارع بوقف جزء من أموالهم في سبيل الله تعالى؛ لما في ذلك من

(١) صحيح مسلم ٥٥٩/١ ، حديث ٨١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ٥٣٩/١ .

الأجر العظيم والثواب الجزيل للواقف ، والنفع لأفراد المجتمع باعتبار : أن الوقف من الأعمال الصالحة الجاري أجرها ما دام نفعها دائماً .

٢ - العمل على تفعيل دور الأوقاف في حياة المسلمين، لاسيما في مجال التعليم القرآني الذي يعد ضرورة شرعية لكل مجتمع حتى يغدو الوقف قائماً في دعم هذه الحلقات ، لاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه دور الوقف في المجتمع، بل أصبح في بعض البلاد الإسلامية لا وجود له في هذه العصور المتأخرة ، هذا من جانب ومن جانب آخر الحاجة الماسة إلى الدعم المالي للحلقات القرآنية التي أضحت بحاجة كبيرة إلى الدعم المادي والمعنوي .

٣ - إبراز الحاجة الماسة للدعم المستمر للحلقات القرآنية، حيث إن الحلقات يتوقف دعمها على دعم أهل الخير الذي لا يتسم في الغالب بالاستمرارية ؛ بل هي صدقات وتبرعات مقطوعة .

٤ - توعية أفراد المجتمع بأهمية الوقف على الحلقات القرآنية باعتبارها أحد المناشط التربوية والدعوية لأبناء المسلمين في المجتمع؛ إضافة إلى تفعيل الدور الدعوي لأبناء المسلمين في هذه الحلقات .

٥ - انصراف الكثير من المسلمين الموسرين عن الأوقاف ، لاسيما ما يتعلق بدعم الحلقات القرآنية أو التركيز على جوانب معينة من الأعمال الخيرية وإهمال جوانب أخرى ذات أهمية ، بل الملاحظ عدم الالتفات لقضايا التربية والتعليم .

٦ - إيضاح : أن الوقف على الحلقات القرآنية من الأعمال الجليلة التي يلحق أجرها صاحبها بعد موته، قال جلال الدين السيوطي نظماً :

إذا ماتَ ابنُ آدمَ ليس يجري   عليه من فعالٍ غيرُ عشرِ

علومٌ بثّها ودعاءُ نَجْلٍ   وغرسُ النّخْل والصّدَقاتُ تجري

وراثةُ مصحفٍ ورباطُ ثغْرٍ　　وحفرُ البئرِ أو إجراءُ نَهْرِ
وبيتٌ للغريبِ بناه يأوي　　إليه أو بناءُ محلٍّ ذكرِ
وتعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ　　فَخُذْها من أحاديث بحصرِ(١)

٧ - إعادة مكانة الوقف الكبيرة والعظيمة في مجتمعات المسلمين، لاسيما في عصر العولمة والتقلبات الاقتصادية التي تعمل على جعل الأموال في أيدي فئة قليلة تتحكم بمصادر المال في المجتمعات .

٨ - إيضاح الدور البارز الذي يمكن أن يؤديه الوقف في حياة المسلمين ؛ خاصة في مجال التعليم القرآني، حيث " تعتبر مؤسسة الوقف أهم مورد مالي رصد لحياة المساجد ، يستمر بكل ما يتعلق بالشئون الإسلامية ودور تحفيظ القرآن الكريم، وأن يؤدي الوعاظ والخطباء دورهم في تنمية معاني الخير والحق وبيان روعة الإسلام ومعالجته لمشكلات الحياة وقضايا الناس ، فهذه المؤسسا كانت - ولا تزال - أهم مورد لشئون الدين والتعليم الإسلامي على الإطلاق(٢) والدارس لتاريخ الوقف في الإسلام لا يكاد يجد مرفقاً من مرافق حيا المسلمين إلا وكان للوقف دور بارز في دعمه وتطوره والنهوض به ، فأدى ذلك إلى ازدهار الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية .. وها نحن اليوم نتطل إلى عودة الوقف إلى حياة المسلمين لكي يؤدي دوراً مماثلاً في جوانب حياة المعاصرة، لاسيما مجال التعليم القرآني الذي يثمر أجيالاً صالحة فاعلة تسه بإذن الله تعالى في قيادة المجتمع الإنساني المعاصر .

---

(١) سليمان بن علي العلي . **تنمية الموارد البشرية** ، مؤسسة أمانة ، ١٤١٦هـ ، ص٢٨ .

(٢) عبد الرحمن الضحيان . الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية ، **مجلة العق** ع٢٧ ، ١٤٢٠هـ ، المدينة المنورة ، ص ١٤١ .

٩ - توسيع مفهوم الوقف لدى أفراد المجتمع، حتى لا ينحصر مفهومه على الدور التقليدي المتمثل في الإنفاق على الفقراء وإطعامهم أو إيوائهم، بل له جوانب متعددة سبق وأن أسهم فيها على مر العصور ، ومنها : الجانب التربوي والتعليمي في ميدان التعليم القرآني .

١٠- بيان أهمية الحلقات القرآنية في المجتمع وضرورتها الشرعية والتربوية باعتبارها من المناشط التربوية والدعوية المهمة .. حيث يعد تعليم القرآن الكريم باباً من أعظم أبواب الدعوة إلى الله[١].

حدود البحث :

سوف يقتصر موضوع البحث على دور الوقف لدعم التعليم القرآني في مدارس وحلقات تعليم القرآن الكريم ، من خلال تلمس الباحث للاحتياجات المادية لهذه المحاضن التربوية القرآنية التي تسهم في الارتقاء بمستوى هذه الوسائط التربوية ، وتحقيق أهدافها من خلال إقامة أوقاف خاصة بها مع بيان أهمية الوقف ومقاصده ومشروعية الوقف على التعليم القرآني عبر تاريخ التعليم الإسلامي .

منهج البحث :

سيعتمد الباحث في تناوله لموضوع البحث منهجين هما :

المنهج التاريخي وذلك بهدف استعراض تاريخ الوقف عبر العصور ؛ للتعرف على عناية المسلمين بالوقف على التعليم القرآني على وجه الخصوص .

المنهج الوصفي الاستنباطي ، وسوف يحاول الباحث رصد واقع الحلقات القرآنية ومعرفة الاحتياجات المادية والمعنوية لها ، والتوصية بتنويع مصادر الدعم المادي التي تحتاجها البرامج والمناشط التربوية والتعليمية ، وتقديم الحلول لمشكلاتها ، وبيان أهم المجالات التي تحتاج إلى الوقف عليها .

---

(١) انظر : الفتح ٧٦/٩ .

مصطلحات البحث :

الوقف : تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة[١] .

الحلقات القرآنية : المحاضن التربوية التي يجتمع فيها التلاميذ لتعلم تلا القرآن الكريم وحفظه ومدارسته في مدة زمنية محددة[٢] .

الدراسات السابقة :

يوجد العديد من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الوقف من جوان المختلفة ؛ إلا أن الباحث لم يجد دراسة متخصصة تناولت موضوع الوقف عا التعليم القرآني في الحلقات القرآنية .. الأمر الذي شجع الباحث على دراسة هـ الموضوع ، وإبراز المجالات التي تحتاج الدعم المادي في الحلقات القرآنية ، والخر بتوصيات تؤكد ضرورة الوقف على الحلقات القرآنية من خلال الدراسة والتحل والوقوف على حاجة الحلقات القرآنية المادية ، لمواجهة ضعف الإمكانات الماد للجمعيات المشرفة على الحلقات القرآنية .

الفصل الثاني : مكانة الوقف ودوره في دعم وسائط التربية

تعريف الوقف :

يعرف الوقف في اللغة بالحبس والمنع والحُبْس بضم الحاء وسكون البـ بمعنى الوقف: وهو كل شيء وقفه صاحبه من أموال أو غيرها بحبس أصله وتسبـ غلّته[٣].

---

(١) ابن قدامة . المغني ٥/٥٩٧ .

(٢) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية ٠- المدينة المنورة : مكتبة الدارة ، ١٤٢٠هـ ، ص٢٩.

(٣) الفيروزأبادي . القاموس المحيط ، ج٢ ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٧هـ ص٢٠٥ .

وفي الاصطلاح : هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة .. ويؤيد هذا التعريف ما جاء في قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «إن شئت حبست أصله وسبلت ثمرته»[1] ، ومنه عرف الفقهاء الوقف بأنه (تحبيس العين وتسبيل المنفعة)[2].

أقسام الوقف[3] :

من خلال اطلاع الباحث على بعض الدراسات التي تناقش موضوع الوقف وأنماطه وتطبيقاته يمكن أن يقسم الوقف إلى ثلاثة أقسام ، هي :

١ - **الوقف العام** : ويقصد به حبس العين لأحد من الأفراد والتصدق بالمنفعة في مجالات البر المختلفة المستمرة ، كالفقراء واليتامى وأبناء السبيل ، وبناء المساجد ودور العلم وحلقات القرآن ، وإعداد العدة للجهاد ، وعلاج المرضى ونحو ذلك مما يحقق النفع العام للمسلمين .

٢ - **الوقف الخاص** : ويقصد به حبس العين على أفراد أو هيئات بعينها ؛ كأن يوصي الإنسان بوقف على نسله وذريته أو أقربائه أو أولاده أو بعضهم، أو لجهة محددة من الجهات كتحفيظ القرآن ودور العلم .

٣ - **الوقف المشترك** : وهذا النوع من الوقف هو الذي يوقفه الشخص على ذريته من بعده لحين انقراضهم وبعد ذلك يتحول لجهة من جهات البر 'المختلفة ، وهو بذلك يجمع بين الوقف العام والخاص ، ويمكن أن يجعله الواقف ابتداءً على الذرية ويشترك معهم في الوقف أو في جزء منه أي جهة من الجهات الخيرية

---

(١) **صحيح مسلم** بشرح النووي ٨٦/١١ .

(٢) محمد أبو زهرة . **محاضرات في الوقف** .- القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧١م ، ص٥.

(٣) محمد محمد أمين . **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر** ، [٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م] دراسة تاريخية وثائقية .- القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٩-٣٠.

التي تعنى بالعمل الخيري ، وبهذا يكون الواقف قد جمع في وقفه ذريته ووجوه البر الأخرى ، فجعل لذريته نصيباً من العين الموقوفة ولأعمال البر نصيباً محدداً ، ولم تنحصر منفعته في عدد معين من المنتفعين [1].

ولا شك أن هذا يأتي بعد مرتبة الوقف العام في الفائدة ؛ لأنه يعم نفعه بعض قطاعات المجتمع ، فعن طريقه تقام المدارس ودور التعليم والمكتبات والحلقات القرآنية ومجالات البر والخير الأخرى .

مقاصد الوقف في المنهج الإسلامي :

تميزت الشريعة الإسلامية بشمولها وسمو مقاصدها ، حيث نظمت العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان .. بما يقوي الروابط والعلاقات الإنسانية ، وذلك من خلال الحث على فعل الخير والتعاون عليه ، قال تعالى ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

وهذه بعض مقاصد الوقف في الميدان التربوي :

١ - الاستجابة إلى أمر الله عز وجل وإرشاد رسوله ﷺ بالحرص على فعل الخيرات والعمل الصالح .

٢ - إن الوقف من القربات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى .

٣ - إن الوقف مما يلحق أجره وثوابه صاحبه بعد موته، فهو صدقة جارية لا تنقطع بموت صاحبها .

٤ - الذكر الحسن والأثر الجميل للواقف، حيث يبقى ذكره وأجره على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا م

---

(١) إبراهيم محمد المزيني . **الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية** ، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية -- المدينة المنورة : مكتبة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٠هـ

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٧

ثلاثٍ : صدقةٍ جارية ...»[1] وقد حمل العلماء الصدقة الجارية المستمرة الثواب بعد الموت المذكورة في الحديث على الوقف .

٥ - إن منافعه تستمر بعد وفاة صاحبه[2]، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : " لم نر خيراً للميت ولا للحي من هذا الحبس الموقوفة ، أما الميت فيجري أجرها عليه، وأما الحي فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها "[3] .

٦ - تقديم المعونة للمعوزين من غذاء وكساء وسقاية وعلاج وتعليم للعلوم ، فالوقف منافعه متعددة ومقصده التقرب إلى الله تعالى ، ودوام العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، وزيادة المحبة بينهم ؛ لأن الوقف يقوي التعاون على البر والإحسان وكل ما ينفع أفراد المجتمع ، ويعبر عنه في عصرنا الحاضر بالتكافل الاجتماعي ، وقد أثنى الله عز وجل على المحسنين بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[4] .

٧ - تساعد الأوقاف على حل الكثير من المشكلات الدينية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية التي تظهر في المجتمع المسلم ، وذلك من خلال ما يوقفه المسلمون من دور وأموال ومدارس كلها تسهم في حل مشكلات المجتمع .

٨ - دعم روح التكافل الاجتماعي بين المسلمين في عون أصحاب الحاجات ، لا سيما الضعفاء في جوانب الحياة المختلفة وماله علاقة بأمور أعمالهم ومعيشتهم وتعليمهم ومعالجة مرضاهم وقضاء ديونهم ، وفي هذا استجابة لرسول الله ﷺ

(١) النووي . شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/١١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٨٤/١١ . تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٦٢٨/٤ .

(٣) إبراهيم الطرابلسي . الإسعاف في أحكام الأوقاف ٠- بيروت : مطابع دار الرائد العربي ، (د.ت) ، ص٩ .

(٤) سورة المعارج ، الآيتان : ٢٤ - ٢٥ .

الذي دعا إلى التراحم ؛ قال ﷺ :
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] .

٩ - تربية النفس وتزكيتها بالعطاء والبذل في وجوه الخير والبر ، فإن ذلك من الوسائل المعينة على تزكية النفس ؛ ليتحقق لها الفلاح والسعادة في الدارين ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[2] ، والإنفاق في مجالات البر طهارة للنفس والأموال ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

تاريخ الوقف عبر العصور :

لقد عرف الناس نظام الوقف من مراحل قديمة من تاريخ البشرية وإن لم يسمَّ بهذا الاسم ، فقد كان موجوداً في الحضارات السابقة ، حيث كانت الأمم على مختلف أفكارها وعقائدها تخصص بعض الأموال لإنفاقها على جوانب الحياة فيها أو مقابل ما يقدم من خدمات لها ، ورأى الباحث أن يحدد تاريخ الوقف بثلاث مراحل بهدف الإيضاح والتبسيط :

أولاً : مرحلة الوقف قبل البعثة النبوية :

إن فكرة حبس الأموال على جهة محددة معروفة منذ القدم ، قبل البعثة النبوية ، ومن الأمثلة على المجتمعات التي اهتمت بذلك ما يلي :

١ - الوقف عند قدماء العراقيين .

٢ - الوقف عند قدماء المصريين .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الآداب ، ١٩٩٩/٤ .

(٢) سورة الشمس ، الآيتان : ٩-١٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

٣ - الوقف عند الرومان .

إن الدارس لهذه المجتمعات يلحظ الاهتمام بحق الانتفاع لبعض الأفراد أو الجهات بالأموال أو الأراضي أو غيرها من التصرفات المالية التي تشبه الوقف في عصرنا الحاضر .

فالملك في المجتمع العراقي كان يهب لبعض موظفيه حق الانتفاع ببعض أراضيه أي أن يستغل المنتفع الأرض بجميع أنواع الاستغلال ولكن دون أن تنتقل ملكيتها إليه .

أما عند قدماء المصريين ، فكانت الإقطاعيات ترصد على الآلهة والمعابد والمقابر لإصلاحها والإنفاق على الكهنة والخدم .

أما الرومان ، فقد عرفوا نظام مؤسسات الكنيسة ، وكانت الأشياء المقدسة كالمعابد والنذور والهدايا تحبس ولا يجوز أن تباع أو ترهن ولا يجوز لأحد امتلاكها(١) ، فهذه نبذة موجزة عن صور الوقف قبل تاريخ الإسلام .

ثانياً : تاريخ الوقف في الإسلام :

يلحظ الدارس لتاريخ الوقف في الإسلام ارتباطه بالإسلام كما قال الشافعي رحمه الله ، فهو حقيقة شرعية لم تعرفه الجاهلية ، أما معنى الوقف فكان موجوداً قبل الإسلام وكانت للجاهلية أحباس متعددة جاء التنبيه عليها في سورتي الأنعام والمائدة(٢).

وعندما أشرقت شمس الإسلام بالبعثة النبوية، زادت أهمية الوقف وأصبح هذا المنجز الحضاري من المنجزات المهمة في المجتمع الإسلامي ؛ بدءاً بعصر النبوة

---

(١) انظر : محمد عبيد الكبيسي . **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ، ج١- بغداد : مطبعة الإرشاد ، ١٣٩٧هـ ، ص٢٢-٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٦ .

وعبر مراحل تاريخ العصور الإسلامية حيث أصبح هذا النظام قائماً في كل مجتمع من مجتمعات المسلمين وإن كان مر بفترات مد وجزر من الظروف والتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وسوف يقدم الباحث نبذة موجزة ومختصرة عن تاريخ الوقف ؛ بهدف بيان عناية الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم إلى عصرنا بأهمية الوقف :

أولاً : الوقف في عصر النبوة وصدر الإسلام :

إن أول وقف في الإسلام هو مسجد قباء الذي بناه الرسول ﷺ حين هاجر إلى المدينة ، ثم تبعه المسجد النبوي في المدينة في مبرك ناقته ﷺ (١) .

أما الوقف الخيري فكذلك كانت الأولوية لسيد الخلق ﷺ ، حيث كانت أول صدقة هي للرسول ﷺ ، حيث أوقف أموال مخيريق اليهودي الذي قاتل مع المسلمين يوم أحد وأوصى إن أصبت - أي قتلت - فأموالي لمحمد ﷺ يضعها حيث أراه الله تعالى ، وقد قتل يوم أحد وهو على يهوديته ، فقال النبي ﷺ : «مخيريق خير يهود» وقبض النبي ﷺ أمواله المتمثلة في الحوائط(٢) السبعة فتصدق بها أي أوقفها(٣).

وقد قيل إن أول صدقة في الإسلام هي صدقة عمر بن الخطاب (بحبسه للأرض التي أصابها بخيبر التي شاور الرسول ﷺ في أمرها فقال : «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»(٤) .

---

(١) المباركفوري . الرحيق المختوم .- مكة المكرمة : مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٠هـ ، ص١٢٩ .

(٢) الحوائط : جمع حائط وهو الحديقة أو البستان .

(٣) الخصاف . أحكام الأوقاف .- القاهرة : مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية ، ١٣٢٢هـ ، ص٤ .

(٤) فتح الباري ، ٥/٤١٨ .

وهناك من يقول: إن أول وقف هو لعثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أوقف بئر رومة استجابة للرسول ﷺ عندما رغب في ذلك العمل الجليل[١] .

وفي ضوء ما سبق يحسن أن يقال : إن أول وقف في الإسلام على الموارد والمرافق العامة هو وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه وأما أول وقف فهو الذي وقع فيه الخلاف السابق وعند التدقيق يلحظ تقدم وقف الرسول ﷺ على وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسنوات ، فقد أخرج الخصاف عن صالح بن جعفر عن السور بن رفاعة عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : "أول صدقة كانت في الإسلام وقف الرسول ﷺ أمواله" ، فقلت لابن كعب : فإن الناس يقولون صدقة عمر بن الخطاب أول ، فقال : "قتل مخيريق بأحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ وأوصى إن أصبت فأموالي لرسول الله ﷺ فقبضها رسول الله ﷺ وتصدق بها، وهذا قبل ما تصدق به عمر، وإنما تصدق عمر سنة ثمان حين رجع رسول الله ﷺ من خيبر سنة سبع من الهجرة"[٢] .

وعلى هذا فالخلاصة : توضح عناية الرسول ﷺ بالوقف حيث وضع الأساس الشرعي لهذا العمل الخيري الذي كان له الأثر الملموس في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي في كافة العهود والذي يعتبر من أبرز الأدلة على مشروعية الوقف ، وأصالة عواطف البر ، وعمق معاني حب الخير للغير في نفوس المسلمين ؛ حيث لم يتركوا حاجة من حاجات المجتمع إلا كان لهم السبق في إيقاف جزء من أموالهم عليها بدءاً بقدوتهم ﷺ وخلفائه الراشدين وأصحابه حيث كثرت أوقاف الصحابة رضي الله عنهم بما لا يتسع المجال لبيانه في هذا البحث[٣] .

---

(١) المرجع السابق ٥/٤٠٦ .

(٢) صالح بن غانم السدلان . **أثر الوقف في الجانب التوجيهي للمجتمعات** ، بحوث ندوة مكانة الوقف المنعقدة بمكة المكرمة ١٤٢٠هـ ، ص١٣.

(٣) انظر : عبد الله بن محمد الحجيلي . **الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام** ، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية [٢٥-٢٧ محرم ١٤٢٠هـ] المدينة المنورة، ص٣٤-٣٨.

ثانياً : الوقف في عصر الدولة الأموية :

استمرت العناية بالأوقاف والاهتمام بها في العصور اللاحقة للعصر النبوي والراشدي ، حيث كثرت الأوقاف في عصر الدولة الأموية كثرة عظيمة بمصر والشام وغيرهما من البلاد المفتوحة ؛ بسبب ما أغدقه الله على المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية ، فتوافرت لديهم الأموال والدور والحوانيت ، كما امتلك كثير منهم المزارع والحدائق ، وتيسرت لهم سبل الوقف[١] .

ولقد تم تنظيم الوقف في العصر الأموي تنظيماً دقيقاً، فأنشئ ديوان مستقل يتولى أمور الأوقاف المحبوسة على الأعمال الخيرية في عهد الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك [٦٥-٨٧هـ] ، حيث تم ضبط الأوقاف وتسجيلها في سجل خاص؛ بهدف حصرها والعناية بها وبمصالحها وحفظها من التلف أو الضياع[٢] .

ثالثاً : الوقف في عهد المماليك :

وفي عهد المماليك كثرت الأحباس كثرة ملحوظة ، واتسع نطاقها ، مما كان سبباً في جعل ثلاثة دواوين للإشراف عليها : ديوان لأحباس المساجد ، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى المختلفة ، وديوان للأوقاف الأهلية[٣] .

وبدأت تتسع دائرة الوقف على الأعمال الخيرية المختلفة، حيث كثرت الأوقاف وتنوعت وشملت مختلف جوانب الحياة ؛ خاصة في زمن الملك العادل نور الدي محمود بن زنكي [٥٤١-٥٦٥هـ] الذي أقام الكثير من المرافق العامة المختلفة الت أنفق عليها من الأوقاف ، لاسيما مجالات التربية والتعليم، حيث أمر نور الد بإنشاء المدارس والخوانق والربط والكتاتيب والمساجد ودور الحديث في كل بل

(١) محمد أبو زهرة . **محاضرات في الوقف** ·- القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧١م ، ص٨٠ .

(٢) محمد عبيد الكبيسي . **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ٣٨/١ .

(٣) أبو زهرة . **محاضرات في الوقف** ١٤ .

وأجرى عليها وعلى من يعلم فيها أو يقرأ القرآن الجرايات الوافرة . يقول العماد الأصفهاني: "لو شغلت بإحصاء وقوفه وصدقاته - أي نور الدين - في كل بلد لطال الكتاب ولم أبلغ إلى أمد"(١) .

كما انتشرت أوقاف الأيوبيين وراجت أسواق الأوقاف على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي [٥٦٩-٥٨٩هـ] وأفراد أسرته وحاشيته .

والدارس لتاريخ الوقف في هذه الحقبة الزمنية يلحظ عنايتهم الجادة في إحياء حركة التربية والتعليم في المساجد والمدارس ودور التعليم المختلفة ، أما في عصر المماليك، فقد زادت حركة انتشار الأوقاف واتسع نطاقها وشمل نشاطها جوانب المجتمع المختلفة، حيث تعددت مصادر الأوقاف ومجالات الإنفاق منها ، لتشمل مرافق المجتمع المختلفة كافة ، وكان يتولى الإشراف عليها جهاز الدولة .

وقد اعتنى المماليك بالأوقاف عناية كبيرة حتى غدت أحد الروافد الأساسية لبيت المال الذي يصرف ريعه على جهات البر المختلفة ، سواء الاجتماعة أو التعليمية أو الصحية وغيرها من المرافق الاجتماعية الأخرى(٢) .

رابعاً : الوقف في عهد الدولة العثمانية :

ولما تولى العثمانيون مقاليد السلطة في معظم البلاد الإسلامية، اتسع نطاق الوقف وصارت له تنظيمات إدارية تعنى بالإشراف عليه ، حيث صدرت تعليمات متعددة لتنظيم شئونه وبيان أنواعه وكيفية إدارته .. ولا زال الكثير من هذه الأنظمة معمولاً به إلى عصرنا الحاضر .

---

(١) إبراهيم محمد المزيني . **الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية** ، بحوث ندوة المكتبات الوقفية بالمدينة ١٤٢٠هـ ٧-٩ .

(٢) حمود محمد النجيدي . **الموارد المالية لمصر في عهد الدولة المملوكية الأولى** ، رسالة ماجستير٠- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٥هـ، ١١١-١١٣ .

ولقد اهتم العثمانيون بالأوقاف اهتماماً بالغاً ، فتعددت في عصرهم أغراضا وكثرت أهدافه حتى شمل الكثير من الأعمال التي تساعد على بنيان المجتمع، كالمساعد على تزويج الفقيرات ، وتخليص المسجونين بسبب الدين ، والمساهمة في نفقات القرى وما تحتاج إليه من خدمات عامة كبناء الحصون والقلاع وتسليح الجيوش .

ومن مظاهر الوقف في عصر الدولة العثمانية: وقف الأربطة والبيوت علي عابري السبيل وطلبة العلم وغير ذلك من المقاصد الحسنة لأنواع البر المختلفة وشجعت الدولة العثمانية إقامة بيوت الضيافة التي يستفيد منها كل إنسان مهم كان دينه ، وتقدم فيها الخدمة لكل من يأتيها حسب حاجته . وأعد بعض الأترال على جوانب الطرق العيون الجارية لسقاية المسافرين والعابرين(1).

خامساً : الوقف عند الدول الغربية :

تقيم المجتمعات الغربية المعاصرة اليوم مؤسسات خيرية تنفق على المجالا المختلفة كالمرضى والضعفاء والأقرباء والغرباء والمحتاجين والمسنين وذو الاحتياجات الخاصة ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١ - **الوقف عند الألمان :** ومن صور هذا الموضوع : أن المالك يرصد ماله على أسـ معينة مدة محدودة أو إلى حين انقراضها ، وقد يكون الاستحقاق فيه لجمـ الأسرة وقد يكون لبعضها ، أو يكون للذكور ومن بعدهم الإناث ، المهم هـ قريب من أصل فكرة الوقف الذي عند المسلمين .

٢ - **الوقف عند الفرنسيين :** ينص القانون الفرنسي على نوع من التصرفات المالي التي تشبه الوقف الذري ، فقد أباح القانون أن يهب الأب أو يوصي بعقار إ

---

(١) انظر : عبد الله بن أحمد الزيد . **أهمية الوقف وأهدافه** ·- الرياض : دار طيبة ، ١٤١٤هـ ص٦٢ .

ولده بشرط أن ينتفع به مدة حياته ثم ينقله إلى أولاده من بعده أو إلى الأخ من بعده، كما نص القانون الفرنسي على ما يشبه الوقف الخيري الذي يعني: "رصد شيء محدود من رأس المال على سبيل الدوام لعمل خيري عام أو خاص"(١).

٣ - **الوقف عند الأمريكان** : يشمل النظام الأمريكي نوعاً من التصرفات المالية اليوم يسمى (الترست) الذي عرفه معهد القانون الأمريكي بأنه: "علاقة أمانة خاصة بمال معين تلزم الشخص الذي يحوز هذا المال بعدة التزامات تهدف إلى استغلاله لصالح شخص آخر... "(٢) ، وبالنظر إلى الأهداف التي يحققها هذا النظام يجد أنها توفر الحماية للأرامل والفقراء واليتامى والأعمال ذات النفع العام ، والمتأمل للجمعيات الخيرية التي تعمل في ميدان التنصير يلحظ ذلك .

*** وفي ضوء ما سبق تتضح لنا الأمور التالية :**

١ - عناية المسلمين حكاماً ومحكومين ، علماء وعامة بالأوقاف المختلفة على مدار التاريخ الإسلامي.

٢ - الحرص على تنظيم الأوقاف والإشراف عليها والاهتمام بتنظيمها والمحافظة عليها من الضياع والتعدي وبيان الأحكام الشرعية المترتبة عليها .

٣ - دور الوقف في إحياء الحركة التعليمية ، لا سيما الكتاتيب القرآنية والحلقات القرآنية والعلمية ، وذلك بالإنفاق عليها وعلى المنضمين لها ، سواء المعلمين أو المتعلمين أو المشرفين من الأوقاف المحبوسة على البيئات التعليمية .

٤ - اتضح للباحث أن الأوقاف قد كثرت في العصر الأموي بصورة كبيرة سواء في البلاد التي فتحت أو البلدان الإسلامية التي تقع تحت إدارة الدولة الأموية ،

---

(١) المرجع السابق ١/٢٧-٣٢ .

(٢) محمد عبيد الكبيسي . **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ١/٣٢ .

أما في العصر الأيوبي وفي عهد المماليك، فقد كثرت الأحباس كثرة فاحشة واتسع نطاقها ؛ لدرجة أنه صار للأوقاف ثلاثة دواوين : ديوان لأحباس المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين، وديوان للأوقاف الأهلية[1] .

٥ - لم يقتصر الوقف على بناء المساجد فحسب ، بل كان يشمل الكتّاب التي تقا بجانب المسجد وتخصص لتعليم القرآن الكريم، وكانت تعطي للمعلمين والمتعلمين المرتبات ، وقد تحدث ابن بطوطة عن ذلك كثيراً، خاصة عند حديث عن جامع بني أمية بدمشق[2] .

٦ - اهتم المسلمون على مر التاريخ بالكتاب والمكتبات ، وقد انتشرت المكتبات الوقفية انتشاراً كبيراً في البلاد الإسلامية وتعددت مجالات وقف الكتب وأماكنها[3]، حتى إن أبا حيان النحوي عاب من يشتري الكتب ؛ لتوفرها في الأماكن العامة ، ويقول في ذلك : "الله يرزقك عقلاً تعيش به ، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف"[4] ، ولذا زاد الحرص على الكتب ومن أبرزها : القرآن الكريم والذي أوقف من أجل حلقات تدريس القرآن الكريم[5]

دور الوقف في دعم وسائط التربية عبر التاريخ الإسلامي :

إن الباحث في موضوع الوقف وأثره في الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية في المجتمع الإسلامي ليقف منبهراً أمام التنوع الكبير في مجالات الوقف ومصارفه

---

(١) محمد أبو زهرة . **محاضرات في الوقف** ، ص ١١-١٧.

(٢) انظر : **رحلة ابن بطوطة** ، ابن بطوطة ٠- بيروت : دار النفائس ١٤١٨هـ، ٩١، ٩٠، ٣٨، ٣٧.

(٣) انظر : بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية التي عقدت في المدينة المنورة عام ١٤٢٠هـ .

(٤) ناصر التويم . **الوقف في خدمة البحث العلمي** ، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية مكة المكرمة ١٤٢٠هـ ، ص١٤.

(٥) المرجع السابق ١٥ .

حيث كان له بعد تربوي واجتماعي أثر على مر العصور في حياة أفراد المجتمع الإسلامي؛ لدرجة أنه يصعب على أي باحث رصد التطور الكمي والنوعي للوقف عبر تاريخ الحضارة الإسلامية وإلى عصرنا هذا لا سيما مجال التربية والتعليم .

وكمدخل للموضوع الذي نحن بصدد دراسته ، فقد اهتم المسلمون ببناء المساجد ، بل كان أول وقف في الإسلام كما جاء في خبر بناء مسجد قباء عند مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية .

ويأتي بعد عناية الواقفين بالمسجد دور القرآن ومدارس التعليم المختلفة ؛ حيث بلغت الآلاف على امتداد بلدان العالم الإسلامي ، وقد أسهمت هذه المدارس في تعليم القرآن ونشر الثقافة والتربية الإسلامية ، حيث توافد الطلاب عليها من كل بقاع الدنيا ، وأقيمت لهم المدارس المختلفة ، وتم إنشاء الأوقاف المتعددة لتتولى رعاية هذه المدارس وتمويلها وتهيئة الجو العلمي للمعلمين والطلاب فيها[١] ، وإنشاء الدور والأربطة المختلفة للطلاب الغرباء ، وإقامة العديد من الأوقاف للصرف عليهم وإطعامهم وكسوتهم وتوفير مستلزمات التعليم لهم .

ومن الأدوار الفاعلة للوقف في حياة المجتمع المسلم هو مجال العناية بالجوانب التربوية والدينية والعلمية والثقافية .. يتمثل ذلك في المدارس والمحاضن والدور التي أقيمت خصيصاً للأيتام ؛ ويوفر لهم فيها السكن والإعاشة والتعليم لكتاب الله تعالى ، وتجري عليهم الجراية الكافية لمتطلبات الحياة آنذاك[٢] .

وكان يحرص أصحاب الأوقاف على تعليم القرآن ، يوضح ذلك ما ورد في

(١) انظر : الدارس في أخبار المدارس ، وهو كتاب ضخم يقع في مجلدين كبيرين اشتمل على عدد كبير من هذه المدارس والدور والبيئات التربوية والتعليمية .

(٢) يقصد بالجراية : ما يقدم للفقراء والأيتام من المأكل والمشرب والكسوة وما يحتاجونه من الأدوات التي تساعدهم على التعليم .

بعض الوثائق الوقفية التي تحدد شروط المعلم لهؤلاء الأيتام ، ومنها : "أن يكون المؤدب رجلاً حافظاً لكتاب الله عز وجل ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة ، متزوجاً زوجة تعفه ، صالحاً لتعليم القرآن والخط والأدب"(١) .

والدارس للمنهج الإسلامي يلحظ عنايته بالرعاية التعليمية ، بل كان التعليم القرآني من المهام الأساسية للرسول ﷺ ، كما جاء في وصف الله تعالى لنبيه بأنه يعلمهم الكتاب أي القرآن ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٢) ، فكان يعلم أصحابه القرآن بنفسه وهم يقومون بالمهمة نفسها في تعليم القرآن ونشر الخير .. ولكي يتم تحقيق ذلك بصورة أفضل وأوسع في عصرنا الحاضر لابد من دعم هذه البرامج مادياً ومعنوياً .

وقد اهتم المسلمون بالوقف ؛ لتنمية الحركة العلمية ، حيث كانت المجتمعات الإسلامية تعج بالوسائط التعليمية المتنوعة كدور القرآن والحديث ومدارس لتدريس المذاهب الفقهية وعلوم العربية وأخرى للطب ... إلخ ، وقد اتسع نطاقها بسبب إقبال أهل الخير عليها ، وتسابقهم إلى دعمها ، وكانت هذه المدارس والدور الخاصة بالتعليم تدعم من ريع الأوقاف المخصصة لها .

وقد تعددت مجالات الأوقاف التي أقامها المسلمون في مجتمعاتهم ، ومنها :

أولاً : المجال الديني والتعليمي :

أ - المساجد .

ب - الأربطة .

ج - الخوانق والزوايا والخلاوي .

---

(١) عبد الله بن ناصر السدحان . **دور الوقف في دعم مؤسسات الرعاية والتأهيل الاجتماعي** ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ ، ص٦١ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

د - الكتاتيب .

هـ - المدارس .

ثانياً : المجال الثقافي ويتمثل في المكتبات .

ثالثاً : المجال الصحي ويتمثل في المستشفيات .

رابعاً : المجال الاجتماعي ويتمثل في الأربطة والزوايا والكتّاب .

وسوف يتحدث الباحث بإيجاز عن هذه البيئات بما يعكس الدور التربوي للوقف مع التركيز على مجالات التعليم القرآني ؛ بهدف إبراز عناية المسلمين بذلك على مر العصور ودعوتهم إلى المبادرة إلى دعم الحلقات القرآنية التي انتشرت بفضل الله تعالى في كل مكان من المعمورة .. ولعل عنايتهم بالتعليم القرآني تتضح من خلال ما يلي :

المساجد والتعليم القرآني :

اهتم المسلمون بالمساجد منذ فجر الإسلام، وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ هو بناء المساجد وقد كان للمسجد دور تربوي واجتماعي كبير في حياة المسلمين ، وأكثر الوظائف المرتبطة بالمسجد بعد العبادة هو مجال التعليم والتوجيه ، سواء للقرآن الكريم أو علوم الشريعة الأخرى .

ولذلك بلغ من اهتمامهم بالمسجد أنه كانت تخصص الوقوف المتنوعة لتقديم الخدمات والنفقات على تلك المساجد وبرامجها التربوية والتعليمية .. واهتم الخلفاء والسلاطين والولاة بالمسجد على مر التاريخ ، وكان لا يأفل نجم تلك الخلافة أو ذلك السلطان أو تلك الإمارة أو الوزارة إلا عندما يقل الاهتمام بهذا الأمر، وينصرف الحكام إلى البذخ والترف وبناء القصور والاهتمام بها بدلاً من بناء المساجد والعناية بها[1] .

---

(١) عبد الله قاسم الوشلي . المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلقة العلمية .- صنعاء : مكتبة الجيل الجديد .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، (د.ت) ، ص٧٤.

إن تاريخ التعليم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، فالحديث عنه حديث عن الموقع الأساسي لميدان التربية والتعليم الإسلامي ، فالتعليم من صميم وظائف المسجد ومهامه[1] .

ولقد اهتم الخلفاء الراشدون بالمسجد من الناحية العلمية، فكانوا رضي الله عنهم يرسلون علماء الصحابة وقراءهم إليها ليقيموا حلق العلم وتدريس القرآن في كل مصر من أمصار الخلافة .

ثم استمر الاهتمام والعناية بالمسجد والحلق العلمية، لاسيما ما يتعلق بالقرآن الكريم ، حيث كان الخلفاء والحكام والأمراء والعلماء والأثرياء على مر العصور يعملون على تشجيع العلم ويوسعون المساجد ويعمرونها في كل صقع وبلد ويزودونها بكل ما تحتاجه ويحبسون لها الأوقاف .

والدارس لتاريخ المسجد يلحظ تلك العناية والاهتمام لدرجة : أنه يصعب حصر المساجد التي بنيت لهذه المهمة ، حيث ينظر إلى المسجد على أنه أفضل مكان لتدريس العلم وتعليمه[2] .

إقامة الربط (الأربطة) والتعليم القرآني :

لقد ازدهرت الربط بسبب ما أوقفه عليها أهل الخير من الأموال ؛ لتقوم بوظيفتها الجهادية والتربوية ، حيث قصدها طلاب العلم ؛ فإن كل من حل بالرباط يجد مسكناً يأوي إليه ، ومعلماً يؤدبه ويعلمه القرآن الكريم والعلوم الدينية ، ويجد ما يلزمه من المعيشة .

---

(١) علي عبد الحليم . المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ٠-القاهرة : دار المعارف بمصر ، (د.ت) ص ٣٣ .

(٢) انظر : عبد الله قاسم الوشلي . المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلقة العلمية ، ص ٢٢-٦٠ .

ومع أن بداية هذه الأربطة عسكرية ؛ إلا أنها مع الزمن تحولت إلى بيئات اجتماعية وتربوية يعلم فيها القرآن الكريم وعلوم الشريعة .

الخوانق والزوايا والخلاوي والتعليم القرآني :

لقد انتشر في العالم الإسلامي بعض البيئات التي تشبه الأربطة في وظيفتها الدينية والاجتماعية .. وهي ما يطلق عليه الخوانق والزوايا والخلاوي، وقد اهتم بها المسلمون من أهل البر والخير والإحسان.

وهذا تعريف موجز لكل من الخوانق والزوايا والخلاوي ، يوضح الدور التربوي لهذه البيئات في نشر العلم :

الخانقاة والتعليم القرآني :

وجمعها خوانق ، والخانقاة كلمة فارسية تعني البيت ، وهي على هيئة مسجد بدون مئذنة ، يحيط بها عدد من الغرف مخصصة للفقراء وابن السبيل ، وقد رتب العلماء فيها دروساً لتعليم العلم الشرعي . يقول المقريزي : "إن الخانقاة الصالحية الكبرى بالقاهرة رتبت فيها دروس في الفقه والشريعة والحديث"[(١)].

الزوايا والتعليم القرآني :

أما الزوايا ، فهي كالخانقاة ولكنها أصغر حجماً ، وتقام على الطرق والأماكن الخالية ، وقد تقام في أحد أركان المسجد ، ويخصص لها شيخ لتدريس القرآن والعلوم الشرعية .

الخلوة (الخلاوي) والتعليم القرآني :

والخلوة مدرسة القرآن الكريم والعلوم الشرعية ، وقد أطلق عليها هذا الاسم؛ لأنها كانت تقوم في خلوة المسجد ، وقيل أيضاً سميت بذلك ؛ لأن المعلم يخلو بطلابه

(١) أحمد بن علي المقريزي . **المواعظ والاعتبار** ، ج٢ ،- القاهرة : بولاق ، ١٣٧٠هـ ، ص١٧٤ .

فيها يعلمهم القرآن ، ولا زالت مثل هذه البيئات التربوية منتشرة في بلاد أفريقيا وبخاصة السودان .

الكتاتيب أو الكُتَّاب والتعليم القرآني :

أما الكتَّاب وجمعها كتاتيب أو مكتب جمعها مكاتب، فهي المؤسسة التربوية التي تعنى بتعليم الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة ومبادئ علوم الدين والعربية.

وقد اعتنى المسلمون بهذه الكتاتيب ، حيث كان طلابها يتلقون الإعاشة والتعليم الذي يمول من طريق الأوقاف التي أوقفها المسلمون للإنفاق على هذه الكتاتيب والمدارس في البلاد الإسلامية .

المدارس والتعليم القرآني :

وكانت هذه المدارس عبارة عن بيئات تعليمية مستقلة عن المساجد وحلقاتها العلمية ؛ نظراً لإقبال المسلمين على التعليم ؛ حيث تسابق الخلفاء والمحسنون في إنشاء المدارس المشتملة على كل وسائل الراحة من المرافق ، وكان لكل مدرسة إيراد خاص يؤخذ من الأوقاف التي وقفت على المدارس للإنفاق على طلبتها وأساتذتها[1] ويتولى العمل التربوي بهذه المدارس العلماء المتميزون الذين خصصوا أوقاتهم للتعليم والتربية في هذه المدارس ، ومنها القرآن وعلومه حيث نص العلماء على صحة الوقف على كتب الفقه والعلم والقرآن والعلماء والقرّاء [2].

المكتبات العلمية والتعليم القرآني :

نظراً لأهمية الكتاب باعتباره من وسائل التعليم؛ قام المحسنون بإنشاء المكتبات الوقفية وفتحها لطلاب العلم وتوفير مصادر العلم والمعرفة بها ، حيث كانت المكتبات

---

(١) محمد عطية الإبراشي . التربية الإسلامية -- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٩٥هـ ص٩١.

(٢) ابن قدامة . المغني والشرح الكبير ، ج٦١ ، ص٣٨٠ .

في معظم المساجد والجوامع والمستشفيات والمدارس ودور العلم.. وعرفت مثل المكتبات بأسماء مختلفة مثل خزانة الكتب ، وبيت الحكمة ، ودار العلم ، ودار الكتب.

وكانت هذه المكتبات على عدة أنواع:

١ - المكتبات العامة ، مثل : مكتبات عامة ملحقة بالمساجد أو متنقلة .

٢ - المكتبات الخاصة : هي التي يمتلكها العلماء والأدباء ورجال التربية والتعليم .

٣ - مكتبات بين العامة الخاصة : وهي التي يملكها العلماء والحكام والأغنياء وأهل الجاه ، ويستفاد منها بإذن أصحابها[١] .

٤ - المكتبات الملحقة بدور التعليم كالمدارس والمعاهد .

الفصل الثالث : الوقف والتعليم القرآني

الوقف على الحلقات القرآنية :

أدرك المسلمون في وقت مبكر من تاريخهم أهمية الوقف وأثره في مسيرة الأعمال الخيرية والبرامج التربوية والتعليمية ؛ خصوصاً ما يتعلق بالتعليم القرآني من خلال الحلقات القرآنية ؛ باعتبارها مكاناً لتعليم القرآن ومدارسته ، فسعوا إلى تأسيس هذه الحلقات في البلاد الإسلامية .

والدارس لتاريخ الوقف الإسلامي يلاحظ اهتمام القائمين على هذه الأوقاف الخيرية بدور العلم بمختلف مستوياتها والمكتبات ، وحلق التعليم والمعلمين .. ومن النماذج الكثيرة لذلك ما قام به نور الدين الذي سار على طريقة نظام الملك ، فبنى كثيراً من المدارس في دمشق وأوقف عليها الوقوف السخية التي تضمن للطلاب والمدرسين حياة هنيئة وعيشاً كريماً . ويمدح ابن جبير هذا الاتجاه في

(١) محمد عطية الأبراشي . التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٩٦-١٠١ .

البلاد المشرقية كلها وبخاصة دمشق ، ويهتف بالطلاب المغاربة أن يرحلوا للشرق لتلقي العلم بسبب كثرة الأوقاف على طلاب العلم ، حيث يقول : "فمن شاء الفلاح من نشء مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، وهناك سيجد الأمور المعينات كثيرة وأولها فراغ البال من أمر المعيشة"(١).

وبهذا يصبح الوقف مجالاً يحقق مصالح الأمة واحتياجاتها بما يوفره من دعم لمشروعاتها المختلفة ، ومنها المجال التعليمي الذي تعد الحلقات القرآنية واحدة منه فيتم دعمها ؛ لتسهم في نشر التعليم القرآني وتبليغ رسالة الإسلام .. من خلال دعم المؤسسات التربوية والدعوية من الأوقاف الخيرية ، خاصة الحلقات القرآنية ؛ لأنه أصبح من المؤكد أن الأوقاف التي ترصد لها وتنفق على القرآن لأعظم أجراً وهي الضمان بعد توفيق الله لبقائها واستمرار أداء رسالتها التعليمية والتربوية.

ولقد اهتم السلف بهذا الأمر حيث كان الشيخ يأخذ راتباً نقدياً كل شهر ورزقاً كل يوم من خبز ولحم وغيره وكسوة مرتين سنوياً شتاءً وصيفاً .

أما الطلبة فلم يكن التعليم مجانياً بالنسبة لهم فحسب ، بل كفل لهم أيضاً الملبس والمسكن ؛ فضلاً عن المطعم والمقررات النقدية والعينية التي تصرف لهم وفق شروط الواقف(٢).

وعليه ، فإن الأوقاف الخيرية كانت عصب الحياة العلمية في المجتمعات الإسلامية في عصورها المختلفة.. ويجب أن تعاد هذه الظاهرة المشرقة إلى

---

(١) انظر : أحمد شلبي . **تاريخ التربية والتعليم في الفكر الإسلامي** ·- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩م ، ص٣٠١ ، ابن جبير . **رحلة ابن جبير** ·- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٤هـ ص٢٨٥ .

(٢) مجاهد توفيق الجندي . **تاريخ التربية الإسلامية** ·- القاهرة : دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٤هـ ص ٣٤٣ .

مجتمعاتنا المعاصرة لدعم حلقات القرآن ، والمحافظة على استمرارها ؛ ليخرج شباب الأمة وهم يحملون في صدورهم كتاب الله عز وجل ويعملون به وينشرونه في العالمين .

ولكي يستمر التعليم القرآني في المساجد والحلقات ؛ يلزم العناية بالوقف عليها ودعمها ، ولولا الوقف على المساجد والمدارس والمكتبات ودور التعليم عبر التاريخ لما بقيت لها قائمة مع الزمن ومشكلاته وعواديه ؛ ولكن بفضل الله تعالى ثم بدعم أهل الخير ، وإقامة الأوقاف عليها استمر عطاؤها . وقد ذكر المقريزي في خططه : أن هناك عدداً من المدارس تم إنشاؤها لتمارس مهمة التربية والتعليم ؛ إلا أنها عجزت عن مزاولة أعمالها التربوية والتعليمية لعدم وجود أوقاف عليها من ريعها وعوائدها . وذكر أن بعض المدارس ثبتت أمام المشكلات بسبب الأوقاف الموقوفة عليها ومثلها المساجد(١).

وذكر العلامة المحقق محمد صلاح الدين المنجد تنويهاً باهتمام الواقفين على المدارس القرآنية بدمشق ووقف الأموال عليها ، يقول : "وقد وقف أولئك جميعاً على هذه المدارس المتعددة المختلفة أوقافاً وافرة من الأموال والقرى والضياع والبساتين والحوانيت والخانات والقاعات حتى أصبحت دمشق وأرباضها أوقافاً لهذه المدارس المبثوثة في كل حي من أحيائها ، بل في كل درب من دروبها ، فكانت هذه الأوقاف تدر المال عليها وترغب الطلاب في التعليم بها ، والشيوخ في التعليم فيها ، لا يشغل بالهم أمر الدنيا وطلب المعاش"(٢).

وكانت الحلقات القرآنية تلحق بالمسجد ويتم تمويلها بأموال الوقف حتى بلغ

---

(١) المقريزي . **الخطط المقريزية** ، ج٢ ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ ، ص٣٠٩ .

(٢) محمد صلاح الدين . **دور القرآن في دمشق** - ط٢ - بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢، ص٦ .

عددها في مدينة صقلية وحدها ثلاثمائة كتّاب ، وأن الكتّاب الواحد يتسع للمئا
الألوف من الطلبة[1].

وقد تكاثرت المدارس في أرجاء الأمصار ، وتنافس العلماء والحكام والأ
في بناء المدارس المختلفة ذات الأهداف التعليمية .. وكانت منظمة بما يضمن
استمرارية التدريس والتفرغ من قبل الطلاب والمدرسين ، حيث وفّر القائمون
هذه المدارس لهم كل ما يحتاجون إليه في أمور معاشهم وما يعينهم على الت
والتعليم[2].

يقول ابن جماعة : "ولما فرغ السلاطين ووزراؤهم من تعمير المساجد وتش
الجوامع وتزيينها في البلاد والأماكن بالنفقات الخطيرة والقوالب الجديدة والمب
الرفيعة بذلوا اعتناءهم إلى تأسيس المدارس وتعمير المكاتب وإجراء الأوق
والوظائف للطلبة والعلماء في المدن والقرى ؛ لنشر العلوم الشرعية وإحياء المع
القديمة وتدوين العلوم العصرية "[3] . وقد ذكر المقريزي العديد من المدارس
أنشئت في نيسابور ودمشق وبغداد ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، ثم
أصحابها يوقفون عليها الأوقاف الكثيرة من دور[4] وضياع وأملاك. يقول ابن جب
إنه رأى في بغداد نحواً من ثلاثين مدرسة ، ولها أوقاف عظيمة وعقارات وا
للإنفاق على الفقهاء والمدرسين بها والطلبة . . وقال ابن جبير أيضاً : إنه ما ب
مسجد أو تستحدث مدرسة أو خانقاة إلا ويعين لها السلطان صلاح الدين أوق

(١) صالح سليمان الوهيبي . دور الوقف في دعم المؤسسات والوسائل التعليمية ، بحوث مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ١٤٢٠، ص١٠.

(٢) أحمد شلبي . تاريخ التربية والتعليم ، ص ٣٧٣ .

(٣) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، (د. ص٢١٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص١١٣-١١٦ .

تقوم بها وبساكنيها والملتزمين بها[1] .. واستمرت العناية بالتعليم وإنشاء دور التعليم ورصد الأوقاف عليها ، وعلى الذين يشغلون أنفسهم بالتعليم والتدريس .

وبهذا كانت الأوقاف في الغالب هي المورد الذي ينفق منه على التعليم في العالم الإسلامي .. ومع الزمن انتقل أمر الإنفاق على التعليم إلى خزانة الدولة[2] .

وقد ذكر ابن بطوطة أن أحد الحكام كان يقسم خراج بلاده أثلاثاً ويجعل الثلث لنفقة الزوايا والمدارس .

ومن النماذج للدور القرآنية التي كانت تحظى بالدعم عن طريق الأوقاف في عصور الإسلام السابقة ما يلي :

١ - **دار القرآن الخيضرية**[3] : هذه الدار أنشأها قاضي القضاة قطب الدين الخيضري (٨٨١-٨٩٤هـ) ، ووقف عليها الأوقاف الدارة عليها ؛ لتؤدي رسالتها في تعليم القرآن الكريم .

٢ - **دار القرآن الكريم الجزرية**[4] : أنشأ هذه المدرسة شمس الدين ابن الجزري (٧٥١-٨٣٣هـ) ، وسمّاها دار القرآن ، وأقرأ الناس بها ، وكان عالماً مبرزاً في علم القراءات .

٣ - **دار القرآن الكريم الدلامية**[5] : هذه الدار أنشأها شهاب الدين دلامة ، أحد أعيان الخواجكية بالشام إلى جانب داره ، ووقفها ورتب بها إماماً وله مئة درهم، وقيماً وله مثل الإمام ، وستة أنفار من الفقراء والغرباء المهاجرين في

---

(١) **رحلة ابن جبير** ، ص٢٧٥ .

(٢) أحمد شلبي . **تاريخ التربية والتعليم** ، ص٣٧٣ .

(٣) عبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي . **الدارس في تاريخ المدارس** ، ج١ ·- القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ص٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٩ .

قراءة القرآن ، ولكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر ، وغيرهم من القا
عليها ، وحدد لكل واحد منهم راتباً محدداً .

٤ - **دار القرآن الرشائية** [١] : أنشأ هذه المدرسة رشأ بن نظيف في حدود
أربعمائة للهجرة . قال الصلاح الصفدي في ترجمته : "وله دار موقوفة
القرّاء . توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة" .

٥ - **دار القرآن الكريم السنجارية** : وهذه المدرسة أوقفها علاء الدين السنجاري
٧٣٥هـ) وكان من التجار الصُدُق الأخيار ذوي اليسار المسارعين إلى الخير
وكان رجلاً جيداً فيه ديانة وبر ، وأنشأ دار القرآن السنجارية قبالة
الناطفائيين أحد أبواب الجامع الأموي بدمشق ، ورتب فيها جماعة يق
القرآن ويتلقونه[٢].

٦ - **دار القرآن الصابونية** : أوقف هذه الدار شهاب الدين الصابوني (ت ٧٣
وكان بها مسجد ، واشترط في الإمام أن يكون معه عشرة فقراء يقرئهم الق
وبنى أيضاً مكتباً لأيتام عشرة بشيخ يقرئهم القرآن العظيم برواتب معلومة[٣

٧ - **دار القرآن الكريم الوجيهية** : أنشأ هذه المدرسة علاء الدين ابن المن
(٦٣٠-٧٠١هـ) قال الصفدي عنه : "هو الإمام الرئيس شيخ الأكابر وش
الحنابلة أبو المعالي، وكان محباً للأخيار . صاحب أملاك ومتاجر وبر وأوق
أنشأ داراً للقرآن الكريم بدمشق ، ورباطاً بالقدس الشريف .. وهو واقف
القرآن المذكورة[٤].

---

(١) **المرجع الدارس في تاريخ المدارس** ، ص ١١.
(٢) المرجع السابق ص ١٣.
(٣) المرجع السابق ص ١٥.
(٤) المرجع السابق ص ١٧-١٨.

أهمية الحلقات القرآنية في المجتمع :

تعد الحلقات القرآنية من الوسائط التربوية المهمة والضرورية لكل مجتمع ، فهي تكمل الدور التربوي للأسرة والمدرسة .. هذا من جانب ومن جانب آخر فعن طريقها يتم تعليم أبناء المجتمع القرآن الكريم قراءة وتجويداً وتدبراً وتربية وتعليماً لأحكامه وعملاً بأخلاقه وآدابه .

ولا شك أن الحلقات القرآنية من مظاهر عناية الأمة بكتاب ربها ، وإحياء لسيرة رسول الله ﷺ وصحابته وسلف الأمة في العناية بالقرآن ، حيث كان رسول الله ﷺ يرغِّب في تعليم القرآن ، وكان يرسل بعثات القراء إلى كل مصر وبلد يعلمون أهلها القرآن ، فقد أرسل مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته للقيام بهذه المهمة الشريفة ، وبعث معاذ بن جبل إلى مكة بعد الفتح للإقراء حتى قال عبادة بن الصامت : "كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن"[١] وأرسل معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن .

وهكذا استمر المسلمون في كل عصر ومصر يعلمون القرآن ، وقد تمسكت هذه الأمة - ولله الحمد - بسنة نبيها ﷺ وعادة سلفها ؛ فاعتنت بالقرآن عناية كبيرة ، وعظمته التعظيم الأوفر ، وما عنيت بشيء عنايتها بحفظه وتجويده وقراءته وترتيله والتغني به والترنم بتلاوته ، وحملت كتاب الله في صدورها وصدحت به حناجرها وعمرت به محاريبها ونورت ببركته وبركة تلاوته أرجاؤها ، فهم كما جاء في وصفهم: «أناجيلهم في صدورهم»[٢][٣].

---

(١) الزرقاني . **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار إحياء التراث العربي (د.ت) ص ٣٠٧ . **والإتقان** للسيوطي ٧٣/١ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل . **المسند** ، ج٦ ، دار الفكر ، (د.ت) ، ص١٢٥ .

(٣) علي الزهراني . **مهارات التدريس في الحلقات القرآنية** ص٥١ .

والحلقات القرآنية المعاصرة ؛ إحياء لعمل رسول الله ﷺ في تعليم القرآن فقد اعتنى ﷺ بإقراء الصحابة القرآن على الهيئة التي تلقاها في قراءته علا جبريل عليه السلام والتي يعبر عنها : [بالعرض والسماع] ، كما جاء في الحديا الصحيح: «إن جبريل يعارضني بالقرآن في كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين»[١].

والذي يتم اليوم في الحلقات القرآنية هو العرض والسماع وتصحيح التلاو وتعليم الأحكام ، وهذا إحياء للطريقة النبوية في تعليم القرآن الكريم ، وعليه فإ إقامة الحلقات القرآنية في المجتمع ضرورة شرعية وتربوية تؤازر الميادين التربو الأخرى كالبيت والمدرسة في تهذيب النشء وتزكيته .

والتعليم في الحلقات القرآنية أدعى لأن يكتسب التلاميذ الكثير من الفضا الخلقية . قال السيوطي: "تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام ، فينشأو على الفطرة ، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها"[٢] .

وقال القرطبي: "تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانة على الدين"، بل وف حفظ للدين ؛ لأن هذه الحلقات يتم فيها تعليم الأساس الذي يقوم عليه الدين[٣].

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما لمحدثه : " ألا أتحفك بحديث تفرح به قال : بلى . قال : اقرأ تبارك وعلّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة ، تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها"[٤].

وقد نذر السلف – رحمهم الله – أنفسهم لتعليم القرآن الكريم ، وأص

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ٤/١٩١١ .

(٢) الكتاني . **التراتيب الإدارية** ، ج٢ – بيروت : دار الكتاب العربي ، (د.ت) ص٢٩١ .

(٣) السيوطي . **الإتقان في علوم القرآن** ١/٢٧٩ .

(٤) ابن كثير . **تفسير القرآن العظيم** ؛ تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين ، ج٨ – القاهرة : الشعب ، (د.ت) ص٢٠٢ .

الواحد منهم وقفاً لذلك ؛ فهذا أبو منصور البغدادي جلس دهراً يعلم كتاب الله وتلا عليه أمم ، وكان يقرئ العميان حيث أقرأسبعين منهم[١].

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كان يعلم بمسجد البصرة مع كثرة مسئولياته فهو أمير البصرة ، إلا أنه كان يعلم الناس القرآن كما ذكر ذلك عنه مالك بن أنس لعمر رضي الله عنه فقال عمر : "أما إنه كيّس ولا تسمعها إيّاه"[٢].

أما أبو عبد الرحمن السلمي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم الذي نذر نفسه لهذه المهمة العظيمة فقد بدأ يعلم الناس القرآن من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أيام الحجاج ، وكانت مدة ذلك سبعين سنة[٣].

وكان السلف لا يقدمون شيئاً على تعليم القرآن ، قال السبكي : "من حق معلم الصغار ألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن" ، وقد بوب البخاري في صحيحه : "باب تعليم الصبيان الصغار"[٤] .

قال أبو الوليد بن مسلم: "كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً قال: يا غلام، قرأت القرآن ؟ فإن قال: نعم، قال: اقرأ ، وإن قال : لا ، قال : اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم"[٥] .

وهكذا كان السلف كما يقول النووي : "لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن"[٦].

---

(١) **سير أعلام النبلاء** ، ج١٥ -٠ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ ، ص٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ١٦٨/٥ .

(٣) **فتح الباري** ٧٦/٩-٧٧ .

(٤) **صحيح البخاري** . كتاب فضائل القرآن ١٩٢٢/٤ .

(٥) الخطيب البغدادي . **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ؛ تحقيق محمود الطحان ، ج١-٠ الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٣هـ ، ص١٠٨.

(٦) النووي . **المجموع** ، شرح المهذب ، ج١ ، دار الفكر ، (د.ت) ، ص٣٨ .

هذا بعض ما يدل على أهمية الحلقات القرآنية في المجتمع ، وضرورة العنـ بها ، والاهتمام بأمرها ودعمها مادياً ومعنوياً .. الذي يقرأ رحلة ابن جبير ور ابن بطوطة يجد ذكراً لكثير من الحلقات التي تحلّق فيها الأطفال في المسجد حـ معلم يعلمهم القرآن(١).

أهداف الحلقات القرآنية :

أما أهداف الحلقات القرآنية فيمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ - إن الحلقات القرآنية ومدارس تعليم القرآن الكريم بيئة تربوية مهمة للتعليم القرآ ورافد من روافد العلم والتربية والتوجيه ونهر جارٍ من أنهار الخير والمعر والبر والبركة ؛ ولذلك كان الاهتمام بالتعليم القرآني أمراً ملحوظاً على الزمان بدءاً برسول الله ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هـ حيث اهتموا بتعليم القرآن وتحفيظه، بل وأغدقوا الغالي والنفيس في الإنـ على القرآن وأهله؛ إدراكاً منهم لأثر التعليم القرآني الإيجابي على الفرد والمجتـ

٢ - إن منزلة الحلقات القرآنية وأثرها التربوي في المجتمع يساعد على تحـ أهدافها ، فهي ذات مكانة رفيعة استمدت ذلك من شرف الكتاب الذي تسـ إلى نشره في العالمين ، وتربية الأجيال عليه ، ولذلك فهذه بعض أهد الحلقات القرآنية التي يسعى القائمون على رعايتها - سواء في وزارة الشـ الإسلامية أو وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات أو الجمعيـ الخيرية - إلى تحقيقها ، وهي :

أ - ربط أبناء المجتمع - لا سيما الصغار - بالمسجد أو الحلقة القرآنية .

ب - حفظ أوقات التلاميذ وإشغال ما لديهم من فراغ في أمر نافع ومـ باعتبار أن هذه الحلقات أفضل مجالس الذكر .

---

(١) أحمد شلبي . التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ، ص٥٧ .

ج - إكمال الدور التربوي للأسرة والمدرسة ، حيث يلقى التلميذ في هذه الحلقات من التوجيه والتأديب والتربية ما لا يجده في الأسرة أو المدرسة، كما أنها تعزز ما تلقاه من التربية والتوجيه والتواصي بالحق والصبر عبر مناشط التربية الأخرى .

د - إشباع الدافع الاجتماعي [الجوع الاجتماعي] لدى التلاميذ من خلال اجتماعهم بأقرانهم على كتاب الله تعالى ومدارسته ؛ فيختار كل منهم أصحابه وأصدقاءه من أهل القرآن.

هـ - أنها وسيلة مهمة لتنمية الكثير من السلوكيات الحسنة والعادات الصالحة والأخلاق الإسلامية وإطفاء السلوكيات المنحرفة ، فهذه الحلقات من وسائط التربية وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق واكتسابها، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(1) .

و - تعليم القرآن لأبناء المسلمين ونشره في أوساطهم تحقيقاً لقول الرسول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(2).

٣ - التأسي والاقتداء بالرسول ﷺ وصحابته الكرام والتابعين ومن جاء بعدهم من سلف هذه الأمة وعلمائها ودعاتها وأهل الخير فيها ، حيث قاموا بتعليم القرآن وتبليغه للناس ؛ استجابة لقول الرسول ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» (3) .

٤ - حفظ القرآن الكريم وإخراج جيل حافظ متقن لكتاب الله تعالى يتولى تدريسه وتعليمه ونشر علومه وأحكامه بين أفراد المجتمع صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً؛ استجابة لقول الرسول ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» (4) .

---

(1) سورة الشمس ، الآيتان : ٩ ، ١٠ .

(2) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٧٤/٩ .

(3) صحيح البخاري مع الفتح ٤٩٦/٦ .

(4) صحيح البخاري . كتاب الأنبياء ٣٤٦١ .

٥ - رفع الحرج والإثم عن الأمة الإسلامية، حيث يصبح هذا العمل العظيم والو
الشرعي أمراً كفائياً باعتبار أن فئة من أفراد المجتمع في هذه الحا
تصدروا لتعلم القرآن وتعليمه في حين أن المجتمع المسلم الذي يتهاون في
الأمر أو لا يوجد فيه من يقوم بهذا العمل الجليل يعرض المجتمع كله للإثم(

٦ - إعداد وتأهيل أئمة المساجد، وعلماء يتولون قيادة العمل الدعوي في المجتمع با.
أن حفظ القرآن وإتقان تلاوته ومعرفة أحكامه من المقومات الأساسية لمن
بهذه المهمة الشريفة ، ومهمة الإمامة والدعوة ونشر العلم والمعرفة في المج

٧ - إعداد المعلمين والمربين والمشرفين الذين يتولون أمر الحلقات القرآنية وإدا
بعد تخرجهم من هذه الحلقات القرآنية.

٨ - تقوية الوازع الإيماني والعبادي في نفوس المتعلمين؛ لأن الحلقة القرآنيـ
الوسائل المهمة في التربية الإيمانية، حيث إنها تقوي الوازع الإيماني والعـ
في نفوس المتعلمين بها ، ومن دوافع ذلك شرف الكتاب الذي يتعلمونه،
تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾(٢) ، ومكانة المكان الذي يتعلم
القرآن في الغالب كالمساجد، ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾
وهذا كله يقوي الوازع الإيماني والعبادي في نفوس المتعلمين في الحلقات القرآ

٩ - تقوية الصلة بين أبناء المسلمين وكتاب الله عز وجل من خلال بيان فضل الـ
ومكانته ومنزلة المتعلمين له والمعلمين، وما يناله المتعلم والمعلم من الأ
والثواب، ويتعدى هذا الفضل والخير إلى كل من أعان على ذلك ، ويدخل في
الوالدان والمعلمون والرفقة الصالحة والمنفقون على القرآن والمشرفون

(١) انظر : السيوطي . **الإتقان** ٩٩/١ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .
(٣) سورة الجن ، الآية : ١٨ .

حلقاته ومدارسه، بل وكل من يبذل جهداً مادياً أو معنوياً حتى لو كان قليلاً.

١٠- الاستجابة لأمر الله تعالى وتأسياً برسول الله ﷺ بإتقان تلاوة القرآن ؛ حيث أن من الأمور التي تهتم بها الحلقات هو تعليم القرآن وإتقان التلاوة كما قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾(١).

١١- التعرف إلى الأحكام والأخلاق القرآنية والآداب الإسلامية، إضافة إلى معرفة المعنى الإجمالي لما يقوم المتعلم بقراءته وحفظه من القرآن الكريم في الحلقات القرآنية .. والمعرفة بمعنى الآيات القرآنية له فائدتان ، الأولى : أنه يساعد على الحفظ والفهم ، والثاني : التأثر والتفاعل عند تدبر المعاني والانتفاع بما تضمنته الآيات من الأحكام والمواعظ والعبر، قال تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ ﴾(٢) .

١٢- اكتساب أبناء المجتمع في الحلقات القرآنية مهارة الاستماع وحسن الإنصات حتى يصبح هذا السلوك التربوي ملكة يتعامل بها في بيئته التربوية والاجتماعية ، بل يغدو ذلك سلوكاً للمتعلم في الحلقات القرآنية .

ومنطلق المتعلم في اكتساب هذه المهارة الاستجابة لأمر الله تعالى الذي أمر بالإنصات وحسن الاستماع عند سماع القرآن وحال قراءته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٣) .

١٣- تعد الحلقات القرآنية من النصيحة لكتاب الله تعالى ؛ حيث أن من مهمات الحلقات القرآنية في المجتمع العناية بكتاب الله تعالى ، ورعاية الحافظين له والمتعلمين والمعلمين وتعاهد علومه والعمل على نشرها. وقد قال النووي في

(١) سورة المزمل ، الآية : ٤ .

(٢) سورة محمد ﷺ ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٤ .

بيان معنى النصيحة لكتاب الله[1] : "أي نشر علومه والدعوة إليه"[2] .

١٤- تخريج الحفاظ المتقنين للقرآن الكريم الذين يتولون القيام بمهمة الت
المباركة في الحلقات القرآنية والمساجد .

مشروعية الوقف على الحلقات القرآنية وبرامجها التربوية :

جاءت النصوص الكثيرة على صحة الوقف على تعليم القرآن[3] ونشره ، و
المشتغلين بالعلم من القرآن والحديث والفقه ونحوه .

وقد أجمع علماء المسلمين على ذلك على مدار التاريخ ، بل لم يكتفوا با
على ضرورة الوقف وجوازه ، بل أقاموا الأوقاف المتعددة للإنفاق على طلاب
وشيوخه لا سيما القرآن الكريم وعلومه ، ولم يكن ذلك محل نزاع بين العلماء
من الأمور التي اجتمع فيها الاتفاق بحمد الله[4] على الوقف عليها باعتباره
الأمور الدينية .

وبهذا يصبح الوقف على الحلقات القرآنية ليس مباحاً فقط ، بل و
ومندوباً إليه ؛ نظراً لما تقوم به الحلقات القرآنية اليوم من أهداف سامية و
للقرآن وإحياء لسنة النبي ﷺ في تعليم القرآن بالتلقي والمشافهة.

إن رعاية المنتسبين للحلقات القرآنية التي تهتم بتحفيظ كتاب الله عز
من أهم القربات المباركة والمجالات الدعوية التي ينال بها الواقفون الأجر العظيم وا
الجزيل؛ بحبس الأوقاف الثابتة عليها من الممتلكات العقارية والاستثمارات الم
والتجارة ، وغيرها من الأوقاف الرابحة ؛ لينفق ريعها على هذه المجالات الم

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١/٧٤ .

(٢) النووي . شرح النووي بصحيح مسلم ، ٢/٣٨ .

(٣) انظر : ابن قدامة . المغني والشرح الكبير ، ٦/٢٣٩-٤٥٠ .

(٤) ابن تيمية . الفتاوى ، كتاب الوقف ٣١/٣٥ .

في الحلقات القرآنية ابتداءً من تأمين الأماكن المناسبة لها ، وتوفير مستلزمات العمل التربوي والتعليمي للحلقات القرآنية ؛ ليستمر عطاء هذه الحلقات الذي يترتب عليه دوام أجر الواقفين عليها وعظم أمرها ؛ فهي تهتم بأعظم كتاب حيث يتعلم طلابها تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتجويده ودراسة علومه ، بل ويحرص القائمون على هذه الحلقات على تربية أبناء المسلمين تربية صالحة، تحفظهم من الانحراف، وتعينهم على اختيار الأصدقاء الصالحين فيزداد الصلاح في المجتمع ويقل الانحراف.

ولما كان الوقف مرتبطاً بالبر كبناء المساجد والقناطر وكتب الفقه والعلم والقرآن والمقابر والسقايات وسبيل الله ، فإن الحلقات القرآنية واحدة من أهم أبواب البر المهمة[١] التي ينبغي أن يوقف المحسنون عليها ، فإن الوقف في الإسلام لا يقتصر على الفقراء وحدهم أو دور العبادة ، بل يتعدى ذلك إلى أهداف اجتماعية واسعة وأغراض خيرية شاملة كدور العلم ومعاهد الدراسة وتدريس التلاميذ في حلقات القرآن الكريم وأمور الدعوة والإرشاد[٢].

ولقد ساهمت الأوقاف الإسلامية في خدمة التعليم ، سواء في الحلقات أو الدور الملحقة بالمساجد أو المدارس المنفصلة عن المساجد ، حيث كثرت المساجد الوقفية ، وتعددت مجالاتها .. وكان التعليم القرآني له الأولوية في العناية والاهتمام، وزاد الإقبال عليه وتخرج الكثير من الحفاظ للقرآن الكريم ، وكان مما ساعد على ذلك وجود الدعم المالي الكبير المتمثل في الأوقاف الإسلامية .

"والواقع أن الأوقاف والأحباس التي كانت توقف على المدارس والمساجد

---

(١) محمد عبيد الكبيسي . **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ، ج٢ ·- بغداد : مطبعة الرشاد، ١٣٩٧هـ ، ص٤٠١ .

(٢) عبد الله بن أحمد الزيد . أهمية الوقف وحكمه ومشروعيته ، **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد (٣٦) ١٤١٣هـ ، ص٢٠٧ .

والمكاتب والخوانق وغيرها ؛ هي التي دعمتها ومكنتها من الانتظام في أداء رسالة
وقد جرت العادة أن ينشئ السلطان المدرسة أو المكتب ، ثم يوقف عليها الأوق
الواسعة؛ ليمكن عن طريقها إدامة هذا الجهد التربوي وتغذيته باستمرار ، و
يستطيع الشيوخ والطلاب التفرغ لأداء رسالتهم في اطمئنان وراحة بال"[١].

وبهذا أضحى الوقف ضرورة تربوية وشرعية لدعم هذا العمل التربوي .

وفي ضوء ما سبق من خلال هذا التتبع المُوجز لتاريخ التعليم في الإس
يجد الباحث تلازماً إلى حد ما بين تطور الأوقاف وتعدد مصادرها ، وبين ات
نطاق التعليم بعامة والتعليم القرآني بخاصة في جميع بلاد المسلمين ، حيث
الوقف من المصادر الأساسية ، بل وأحياناً الوحيدة على الإنفاق على دور الت
والتعليم وتعليم القرآن ، إضافة إلى العديد من الوسائط التربوية التي تمول من
الأوقاف أو التي أوقفت للتعليم بمختلف أنواعه .

وقد ظل الحال على هذا قروناً عديدة حتى إن الدارسين لتاريخ الت
الإسلامي يجمعون على أن التقدم العلمي وازدهار العلوم المختلفة في بلاد المس
هي من ثمرات نظام الوقف الإسلامي[٢] .

ويوجد في بلاد المغرب العربي في العصر الحاضر ثلاثة أنواع للوقف
المتعلمين هي :

١ - أوقاف حفظ القرآن الكريم ، حيث توجد بالمغرب أوقاف بعضها لتوفير ا
التي يكتب عليها التلاميذ القرآن الكريم أو الأقلام والإنارة لمعلمي القرآن ال

٢ - توجد أحباس (أوقاف) خاصة لسكنى طلبة العلم .

---

(١) مجاهد توفيق الجندي . **تاريخ التربية الإسلامية** ، مرجع سابق ، (٢٤٣) .

(٢) عبد العزيز بن حمود الشثري . **الوقف ودعم مؤسسات الرعاية الصحية** (٢٨) .

٣ - يوجد بالمغرب ومنذ عهد المرينيين أوقاف لكراس علمية خاصة بمواد محددة ، مثل : كرسي تفسير الفخر الرازي بجامع الأندلس بفاس ، وكرسي السيرة النبوية ... إلخ[١].

حاجة الحلقات القرآنية إلى الوقف :

إن الحاجة أصبحت ماسة إلى تحبيس بعض الأوقاف على الحلقات القرآنية حتى يتم دعمها وتلبية حاجاتها من المعلمين والوسائل المعينة على قيام هذه الحلقات بدورها التربوي والتعليمي .

ومن خلال الاتصال بالمسئولين عن هذه الحلقات أو المدارس الخيرية القائمة على تحفيظ القرآن وتعليمه تبين : أن هناك جملة من أسباب تدعو إلى ضرورة المبادرة إلى تخصيص الأوقاف المختلفة على هذه الحلقات حتى ينفق عليها من ريعها، ومن الأسباب ما يلي :

١ - أن الجمعيات الخيرية غير قادرة على توفير المعلمين سواء من الداخل أو الخارج ؛ لندرتهم أو قلة الرواتب التي تدفع لهم وإكمال إجراءات استقدام المعلمين من خارج المملكة .. وبهذا يسهم الوقف في تلبية حاجات العاملين في الحلقات، وتحسين مستوى معيشتهم ؛ ليزداد عطاؤهم التربوي .

٢ - أن الجمعيات الخيرية لا تتكفل بدفع رواتب هؤلاء المعلمين ؛ لدرجة أنه في بعض المدن لا رابط بين الحلقات القرآنية والجمعية الخيرية فيما يتعلق بالمكافآت والرواتب والحوافز ، بل يظل الأمر على المحسنين أو مبالغ رمزية تؤخذ من الطلاب وهي لا تفي بالغرض الذي طلبت من أجله .

---

(١) عبد الرحمن الضحيان . الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة، **مجلة العقيق** العدد (٢٧) ١٤٢٠هـ ص١٤٨ .

٣ - أن بعض الحلقات قائمة على جهود إمام المسجد أو بعض الآباء من جماعة المسجد أو المحسنين .. الأمر الذي قد يعرضها للتوقف في حالة انتقال الإمام أو توقف المحسنين عن الدعم أو تسرب الأولاد من الحلقات .

٤ - الضعف التربوي داخل هذه الحلقات القرآنية؛ بسبب قلة الموجهين والمشرفين أوندرتهم ؛ نظراً لضعف الإمكانات المادية والمعنوية ، في حين أن وجود الأوقاف على الحلقات يعزز العمل التربوي داخل الحلقات .

٥ - حاجة الجمعيات الخيرية المشرفة على الحلقات القرآنية إلى الخبرات العلمية والعملية من الأساتذة المتخصصين والمشرفين التربويين ، وهذا لن يتأتى إلا من خلال دعم برامج هذه الجمعيات وإقامة الدورات المتخصصة التي تعنى بتدريب المعلمين والموجهين ، والضعف الملاحظ على الكثير من الحلقات القرآنية في المجتمع الإسلامي هو بسبب ضعف البرامج وقلة الإمكانات .

٦ - حاجة الحلقات القرآنية إلى بعض الوسائل والخدمات والأنشطة التربوية التي تساعد على نجاح الحلقات ، مثل : المكافآت ، والجوائز ، ووسائل النقل ، حيث بدأت الحلقات تغير من أساليبها التقليدية في التعليم والتربية .

٧ - بروز بعض المشكلات لدى طلاب الحلقات القرآنية التي تحتاج إلى رعاية مستمرة ومساعدة مالية حتى لا ينقطعوا عن الحلقات القرآنية .

٨ - زيادة الطلب على إنشاء الحلقات القرآنية وإقبال أفراد المجتمع عليها لا سيما في أوساط النساء .. الأمر الذي يتطلب أماكن خاصة مستأجرة وتأثيث وحراستها وتوفير بعض وسائل النقل للطالبات والمدرسات ، وهذا كله ترتب عليه زيادة في النفقات على هذه الحلقات .

٩ - قلة مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي تشرف عليها وزارة المعارف والرئاسة

العامة لتعليم البنات .. مما جعل الآباء يحققون رغبتهم في تعليم أبنائهم القرآن وحفظه عن طريق إلحاقهم بالحلقات والمدارس القرآنية التي تشرف عليها الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم .

١٠- زيادة عدد الجمعيات المشرفة على التعليم القرآني ، حيث انتشرت في كل محافظات ومدن المملكة ولله الحمد وتحت إشرافها آلاف الحلقات والمدارس القرآنية .

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى بروز ما يمكن أن نطلق عليه أزمة الإنفاق على الحلقات القرآنية الذي ينتج عنه القصور في الجوانب التربوية والتعليمية للحلقات القرآنية .

وبناء على ما سبق بدأ البحث في توفير الدعم المادي لتمويل هذه الحلقات ورعايتها والإنفاق عليها بصفة مستمرة حتى لا يختل العمل التربوي في هذه الحلقات ، فيقل العطاء ويكثر التسرب فيها .. ولعل في الوقف الإسلامي ما يساعد على تمويل هذه الحلقات دون أن نكلف أولياء أمور التلاميذ أو الدولة زيادة في النفقات .

ولقد حفل تاريخ المسلمين بالعناية بالتعليم وحبس الأوقاف عليه حيث أوقف الحكام والأمراء والعلماء قدر استطاعتهم على العاملين في حقل العلم بمراحله المختلفة بمقدار ما يملك كل منهم من مال أو ثروة ، فبنيت الكتّاب والمدارس والزوايا والمساجد وما شابهها من معاهد العلم صغرت أو كبرت ، وأوقف عليها الأوقاف المناسبة لاستمرار العلم والعبادة بها .

وعليه فالواجب أن تفتح المشاريع الوقفية المختلفة ، وبخاصة الاستثمارية والاقتصادية التي تتيح لأفراد المجتمع بعامة ومجتمع الحلقات القرآنية بخاصة فرصاً متعددة تحقق أهدافاً تربوية كبيرة ، مثل: نشر القرآن الكريم ، وحفظ أبناء

المسلمين من الغفلة والفراغ ، وتدريبهم على ممارسة العادات الاجتماعية الصالحة ، إضافة إلى تخفيف البطالة من المجتمع .

الآثار التربوية والتعليمية والاجتماعية للوقف :

إن للوقف آثاراً متعددة وثمرات نافعة في مجالات الحياة المختلفة، وحسب الباحث هنا أن يوضح بإيجاز شديد بعض الآثار للوقف في المجتمع المسلم حيث لا يكاد يوجد جانب من جوانب المجتمع المختلفة إلا وله ارتباط بالوقف من قريب أو بعيد.

والدارس لتاريخ الوقف لاسيما مجال التعليم وخدمة المجتمع يلحظ أثر الوقف في حياة المسلمين عبر تاريخ هذه الأمة وعلى مدى القرون الماضية .

وسوف يورد الباحث بعض هذه الآثار للوقف بصورة موجزة :

أولاً : الأثر التربوي والتعليمي للوقف :

لقد ساعد الوقف على نشر العلم الشرعي في المجتمع وزيادة رقعة التربية والتعليم في المجتمعات الإسلامية ، وعلى رأسها التعليم القرآني وعلومه ؛ حيث تخرج عدد كبير من العلماء العاملين من المساجد والمدارس التي كانت تجرى عليها الأوقاف وتنافس أفراد المجتمع على إنشاء المدارس والمساجد التي يهتم فيها بقضايا التربية والتعليم . يوضح ابن خلدون هذا الأثر من خلال الحركة التعليمية في القاهرة وقت صلاح الدين بقوله : "فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة .. فكثرت الأوقاف وعظمت الغلات والفوائد وكث طلاب العلم ومعلموه بكثرة جرايتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم م العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بمعارفه "(١) .

إن الدارس للأثر التربوي التعليمي للوقف يلحظ كثرة الوسائط التربوية الت

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،- ط٤ ،- بدون دار نشر ، ١٣٩٨هـ ، ص٢٧٩ .

أقامها المسلمون وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، حيث كان التنافس بين أفراد المجتمع حكاماً ومحكومين على إنشاء المدارس وبناء المساجد ووقف الأوقاف عليها والجرايات.. الأمر الذي يعكس عناية المجتمع الإسلامي بالوقف، لاسيما مجال التربية والتعليم .. يؤكد ذلك ما قاله أحد الباحثين من أن : "الآلاف الكبيرة من المجتمع من العلماء المبرزين في مختلف التخصصات كانوا من فئات اجتماعية واقتصادية رقيقة الحال"(١).

ولقد أثمر الوقف على التعليم في مختلف مجالات المعرفة ثماراً يانعة ، حيث حظي التعليم القرآني وغيره من مجالات العلوم الإسلامية بالدعم الموفور من أوقاف الأغنياء على الطلاب والمعلمين ، وكان لهذا الأمر أثره في المجال التعليمي في العالم الإسلامي ، حيث تخرجت من هذه الحلقات العلمية والدور القرآنية والمدارس الإسلامية كوكبة من العلماء الأفذاذ والمربين الناصحين، وكان بعضهم من الفقراء ، فلولا هذه الأوقاف لما كانوا كذلك ، والدارس لتاريخ التعليم الإسلامي ورجاله يلحظ المصنفات العديدة في سيرهم وإبراز مكانتهم وجهودهم العلمية والدعوية والتربوية عبر التاريخ حتى أصبحت المكتبة الإسلامية تشتمل على المصنفات التي يصعب حصرها وحصر الذين صنفوها .

ثانياً : الأثر الاجتماعي للوقف :

إن إبراز الأثر الاجتماعي للوقف عبر التاريخ الإسلامي أمر تعجز عنه كبرى المؤسسات العلمية؛ نظراً للتنويع الكبير والمتعدد في مصارف الأوقاف على الجوانب الاجتماعية؛ لأن المجتمع المسلم ينظر إلى الوقف على أنه امتداد للتكافل الاجتماعي الذي أقره الإسلام وكان يتمثل في المساجد ودور العلم وتهيئة الطرق وإقامة السقايات والأسبلة للمسافرين في طرقاتهم .. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل شمل

---

(١) شوقي أحمد دنيا . أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ، **مجلة البحوث الفقهية المعاصرة** (١٣٦).

البيمارستانات والمستشفيات والمصحات والأربطة ودور الغرباء والزوايا والتكايا والمدارس والمحاضن والدور التي أنشئت خصيصاً للفقراء .. وفي ضوء ما سبق يمكن أن نذكر النماذج التالية للمجالات الاجتماعية للوقف :

١ - رعاية الأيتام وتربيتهم .

٢ - رعاية الغرباء والضعفاء والعجزة .

٣ - رعاية الفقراء والمعدمين .

٤ - رعاية المرضى .

٥ - رعاية المعاقين .

ومن هنا، فإن الأثر الاجتماعي للوقف بناءً على ما سبق يتحدد في التالي :

١ - أن الوقف عزز مبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، وأشاع روح الحب والتراحم والتعاطف بين أفراد المجتمع .

٢ - حماية المجتمع من الأمراض الاجتماعية والخلقية : كالسرقة والأثرة والاعتداء على حقوق الآخرين وإشاعة الرشوة والصراع الطبقي بسبب سد حاجة المحتاجين من هذه الأوقاف .

٣ - أن نظام الوقف في المجتمع عزز الجانب الأخلاقي السلوكي في المجتمع من خلال التضييق على منابع الانحراف المختلفة ، فقد كانت توجد العديد من الأوقاف لرعاية النساء المطلقات أو المتوفى عنهن أزواجهن من خلال الأربطة المعدة لذلك والتي تجري عليهن الأرزاق من الأوقاف .

كما وجدت أوقاف خاصة للسجناء: إما لسداد ديونهم وفكاك أسرى المسلمين أو لرعاية أسرهم وأولادهم ، وهذا كله ضيق طرق الانحراف في المجتمع[1].

---

(١) عبد الله ناصر السدحان ، **دور الوقف في دعم مؤسسات الرعاية والتأهيل الاجتماعي** (٢٧).

ولقد كانت الأوقاف من السعة والضخامة والتنوع، في أداء أدوارها الاجتماعية ما جعلها مفخرة النظام الإسلامي، حيث تتبع المسلمون مواضع الحاجات لأفراد المجتمع مهما خفيت فوقفوا لها ؛ حتى أنهم عينوا أوقافاً لعلاج الحيوانات المريضة ، وأخرى لإطعام الكلاب الضالة، فإذا كانت هذه نظرتهم للحيوان الأعجم فكيف للإنسان المكرم(١).

وحيث إن الوقف صدقة جارية، فقد كان له أثره الكبير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فتعددت مجالاته .. وكان في مقدمتها رعاية الفقراء والمساكين وابن السبيل والأيتام والأرامل والمنقطعين وأرباب العاهات وإرضاع الأطفال والأيتام ورعاية النساء اللواتي طلقن أو هجرن وتوفير مياه الشرب ، وإنشاء الخانات للمسافرين وبناء القناطر والحمامات العمومية ودور الوضوء ، وإنشاء الزوايا والرباطات في بعض الجهات لإيواء المسافرين وعابري السبيل وذوي الحاجات وخصوصاً في النواحي المقفرة البعيدة.. وتعدى الأمر إلى إنارة السبل أمام المارة ليلاً.

بل وكان للوقف دور في رفع علم الجهاد، ويتفرع عن جهاد الأعداء جهاد العلم الذي يمثله الجانب الثقافي ، فكانت المؤسسات التربوية والتعليمية المتمثلة في الكتاتيب ودور العلم والمكتبات والربط والزوايا تعتمد على الهبات والأوقاف .

ولقد تجاوزت الأوقاف هذا الجانب ، حيث شملت علاج المرضى وتزويج الأيامى اللاتي لا يوجد لهن عائل ، بل وخصصت للمسنين والضعفاء والسجناء وأسرهم مرتبات وأعطيات مستمرة(٢).

---

(١) يوسف القرضاوي . **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام** ·- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٥ .

(٢) انظر : أبو زهرة ، **محاضرات في الوقف** (٧٢-٧٣) ، محمد محمد أمين ، **الأوقاف والحياة الاجتماعية بمصر** ·- القاهرة : دار النهضة (١٣٤) .

وبهذا الجهد الضخم يتضح لنا عظيم أثر الوقف في حياة المسلمين ؛ اشتمل على جوانب الحياة المختلفة .. في وقت كان دور الدول محدوداً إن لم يَ معدوماً في بعض المجتمعات.

ولقد كان الدعم المعنوي والمادي للجانب الثقافي الذي يصنف في مقدمته التعا القرآني سمة إسلامية أخذ بها الأفراد في المجتمع الإسلامي بدءاً من الخلفاء والسلاط والحكام والعلماء والأفراد من الموسرين بهدف دعم سبل الخير وتحمل جزء من عـ الإسهام الثقافي في دعم المجالات التربوية، ولا زال هذا الدعم لهذه الجوانب مستـ إلى هذا العصر إلا أنه انحسر نظراً لزيادة الحلقات وعدد المدرسين وضعف الموارد الماد

ولم يتوقف دور الوقف في رعاية الجانب الاجتماعي ، بل اهتم بالجا الثقافي ومنها التعليم القرآني .. ومن أمثلة ذلك أنه في العصر المملوكي ، قلما يو أمير أو سلطان أو تاجر إلا وأوقف للأيتام مكتباً لتعليمهم والصرف عليهم ، تخلو وثيقة وقف خيري من تخصيص جزء من الريع لتعليم عدد من الأطفال الأ إضافة إلى إقامة مكتب لتعليم الأيتام بجوار كل مسجد أو مدرسة وقفية .

ولم يتوقف الأمر على رعاية الأيتام وتعليمهم فحسب، بل حددوا طرق التـ والتدريس والمناهج وأمر التأديب ، ففي إحدى الوثائق الوقفية نجد النص التـ "ويعلمهم – أي الأيتام – الآداب أولاً ثم ما يطيقون تعلمه من كتاب الله عز والخط العربي"، وفي وثيقة وقفية أخرى ورد النص التالي : "ويعلمهم الفقيـ تيسر لكل منهم تعلمه من القرآن والخط والهجاء ... ويعاملهم المؤدب بالإحـ والتلطف ... ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه بفعل ما أباحه الشرع الشريف يضرب الضرب المبرح"[1].

---

(١) انظر : محمد منير موسى . تاريخ التربية في الشرق والغرب ·- القاهرة : عالم الـ ١٩٨٤م (٢٧٦-٢٧٩) ..

أما المواصفات التي اشترطها الواقفون للمؤدب ، فقد جاء في إحدى الوثائق الوقفية النص التالي : "أن يكون المؤدب رجلاً حافظاً لكتاب الله عز وجل، ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة متزوجاً زوجة تعفه ، صالحاً لتعليم القرآن والخط والأدب "(١).

وهكذا يجد الدارس لتاريخ الوقف في التربية الإسلامية مدى عناية الواقفين بالوقف على تدريس القرآن وعلومه(٢)؛ حيث لم يقتصر فعل الأوقاف على بناء المدارس، بل امتد ليشمل كل العاملين بها ومن يلتحق بها من الطلاب على اختلاف أوطانهم، إضافة إلى توفير الطعام والعلاج وغير ذلك من متطلبات الحياة (٣).

وقد ظل الحال على هذا قروناً عديدة وعبر الدول التي تناوبت قيادة المجتمعات الإسلامية .. حتى إن الباحث في تاريخ الوقف يجد أن انتشار الحلقات العلمية ، لاسيما التي تعنى بالتعليم القرآني ثمرة من ثمار نظام الوقف لدرجة : أنه يصعب على أي باحث حصر الأوقاف في مجال التعليم القرآني .

الفصل الرابع : مجالات الوقف على الحلقات القرآنية :

إذا كانت التربية الإسلامية تهدف إخراج الجيل الصالح الذي يعبد الله تعالى كما شرع ، ويحقق العبودية لله عزّ وجلّ ، ويعمر الكون بمقتضى الشهادتين عبر وسائط مختلفة بدءاً بالأسرة ، وانتهاءً بالمجتمع ، فإن الحلقات القرآنية واحدة من هذه الوسائط التربوية التي يتم فيها تعليم القرآن الكريم ، وتأهيل أبناء المجتمع لمعرفة أحكام القرآن ، وتلاوته ، وآدابه ، والعمل به ، ونشره في العالمين .

---

(١) عبد الله ناصر السدحان . **دور الوقف في دعم مؤسسات الرعاية والتأهيل الاجتماعي** ص١٥-١٦.

(٢) مجاهد توفيق . **تاريخ التربية الإسلامية** ، مرجع سابق ، ص٥١ .

(٣) شوقي أحمد دنيا . أثر الوقف في إنجاز التنمية ، **مجلة البحوث الفقهية المعاصرة** ، العدد (٢٤) ٠- الرياض ، ١٤١٥هـ ، ص ١٢٧ .

وعلى ذلك فإن دور الوقف في دعم التعليم القرآني وما يتعلق به من علوم ، وما يخدمه من وسائل في شتى مجالاته الرحبة سواءً في أمر التلاوة والأحكام ، أو علوم القرآن الأخرى ، أو الوسائل المساعدة ، وتوفير المصاحف ، وبناء الأماكن المناسبة ، سواء بجوار المسجد ، أو أماكن خاصة .. أصبح أمراً ضرورياً ، ومن متطلبات المجتمع الأساسية .

يضاف إلى ما سبق الأزمة في تمويل برامج الحلقات المختلفة، لا سيما في ظل الظروف الحالية التي تمر بها المجتمعات من نقص الموارد المالية، والزيادة المطردة في تكلفة الإنفاق على هذه المدارس والحلقات القرآنية ، وزيادة الطلب على فتح المزيد منها لتستوعب الأعداد الكبيرة التي ترغب الانضمام لهذه المدارس والحلقات القرآنية .

الأمر الذي دفع الباحث إلى الدعوة إلى تخصيص أوقاف عامة متعددة؛ لتكون عوناً للقائمين على هذه الحلقات ، وإيجاد مصادر لتمويل برامجها ومناشطها .. حتى لا تتعطل إذا توقف الدعم الحكومي أو الخاص من الآباء والأغنياء في المجتمع.

وهذه أبرز المجالات التي تحتاج إلى الدعم المادي من خلال الأوقاف التي يرجو الباحث أن تخصص على التعليم القرآني في الحلقات القرآنية :

الأوقاف على الطلاب :

إن إقامة الأوقاف والأحباس على طلاب العلم في الحلقات القرآنية تساعد على حفظ القرآن ومدارسته وتعلم العلم، وتعين شيوخهم الذين يقومون بتربيتهم وتعليمهم وتهذيب أخلاقهم . "وقد دأب أهل الخير من الأغنياء : سلاطين وأمراء وتجار وعلماء على رصد الضيع من الأطيان والعقارات والطواحين ومعاصر الزيوت والرباع وغيرها على طلاب العلم"[1] .

---

(١) مجاهد توفيق الجندي . **تاريخ التربية الإسلامية** .- القاهرة : دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٤هـ ص٩٩ .

والواقع أن الأوقاف والأحباس التي كانت توقف على المدارس ودور التعليم وحلقات تعليم القرآن وغيرها من البيئات التربوية والاجتماعية هي التي أدت إلى دعمها واستمراريتها في التعليم وأداء رسالتها التربوية .

والمتأمل للتاريخ الإسلامي بعامة وتاريخ الأوقاف بخاصة يلحظ : أن أهل الخير يقيمون المدارس والكتاتيب القرآنية ثم يوقفون عليها الأوقاف الواسعة التي تساعد على ديمومة هذا العمل التربوي القرآني وتغذيته ودعمه باستمرار ، حتى يستطيع المعلمون والطلاب التفرغ لطلب العلم وحفظ القرآن وعلومه ، وذلك بتحديد رواتب نقدية ورزقاً من الأطعمة من خبز ولحم وغيره وكسوة مرتين سنوياً شتاء وصيفاً .

أما الطلبة فلم يكن التعليم مجاناً بالنسبة لهم فحسب ، بل كفل لهم أيضاً الملبس والمسكن ؛ فضلاً عن المطعم والمقررات النقدية والعينية التي تصرف لهم وفق شروط الواقف[١] وبذلك انتشر الوقف على المدارس والمعاهد ودور القرآن[٢].

ومن الشواهد على الوقف على المتعلمين ما ذكره الرحالة ابن جبير عندما زار الشرق ورأى تعدد بيئات التعليم والأوقاف التي تنفق عليها بوفرة ، مما شجع طلاب العلم على الاستمرار ، فناشد أبناء المغرب أن يرحلوا إلى ديار المشرق لتلقي العلم ، حيث قال : "تكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد الشرقية كلها وبخاصة دمشق، فمن شاء الفلاح من أبناء مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة وأولها فراغ البال من أمر المعيشة"[٣] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ص٢٤٣ .

(٢) ابن تيمية ، **الفتاوى** ، ص٣١/١٢، ٢١، ٥٢) .

(٣) محمد بن أحمد بن جبير ، **رحلة ابن جبير** -- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٤هـ ، ص١٣٢-١٣٤ .

توفير المعلمين في الحلقات القرآنية :

تعاني الحلقات القرآنية نقصاً كبيراً في المعلمين الأكفاء أو القادرين
الحلقات القرآنية ، الأمر الذي أخل بالعملية التربوية داخل هذه الحلقا
المعلم غير قادر على ضبط الحلقة ، ومتابعة طلابه من حيث المراجعة
والتوجيه ؛ نظراً لكثرة الطلاب في الحلقة ؛ حيث قد يصل عدد الطلاب
الواحد أكثر من ثلاثين طالباً ، وهذا العدد الكبير يعوق المعلم عن القيام ب
ينبغي ، وعليه فإن وجود الوقف المخصص للحلقات القرآنية يساعد ع
المدرسين للحلقات القرآنية ، بحيث لا يزيد عدد الطلاب عند المدرس ا
خمسة عشر طالباً ، وبهذا يصبح المعلم قادراً على إدارة الحلقة القرآني
الطلاب من حيث المراجعة والتسميع والحفظ بصورة صحيحة ، والعمل عل
وإصلاحهم ليكونوا أفراداً صالحين في مجتمعهم ثم يتفرغ هو للقيام
التربوية والتعليمية والدعوية داخل هذه المدارس والحلقات القرآنية .

ولقد أدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذلك ، فكان من اجتهاده أنه كتب
الأجناد : "أن ارفعوا إلي كل من حمل القرآن حتى ألحقهم في الشرف من
وأرسلهم في الآفاق يعلمون الناس .

فكتب إليه أبو موسى الأشعري واليه على البصرة أنه بلغ من قِبلي
القرآن ثلاثمائة وبضع رجال"(١).

ومن هذه الرواية يقدر أن حفظة القرآن في المدن والأمصار الإسلام
ألوفاً ، وأن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أراد أن يعلي مكانتهم ، ويوفر لهم مؤونة العيش ؛ لي
لتعليم الناس ، وليستغنوا بمرتباتهم عن الناس وليسعوا الناس بعلمهم ومالهم

(١) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، (٣/٢٣٩) .

العليا خير من اليد السفلى[1] . وبهذا يصبح الوقف مسايراً لحركة نبض المجتمع التي منها بيئات الحلقات القرآنية التي يتوقف نجاحها ، وتحقيق أهدافها على وجود العنصر البشري المتمثل في معلمي القرآن الكريم .

توفير الموجهين والمشرفين على الحلقات القرآنية :

يعد الإشراف التربوي والتوجيه السلوكي من الوسائل المهمة والضرورية لنجاح العمل التربوي داخل الحلقات ، حيث يقوم هؤلاء الموجهون والمشرفون بالتعاهد والرعاية لأنشطة وبرامج الحلقات القرآنية ، وتوجيه العمل التربوي داخل الحلقات ، ومتابعتها إدارياً وعلمياً بشكل مستمر ، وبالتالي تقويم عمل المعلمين وبرامج الحلقات وإصلاح الخلل وسد الثغرات ؛ بهدف تحقيق أهدافها ودعم مسيرتها التربوية والعملية ، وعدم ضياع الجهود المبذولة من قبل الجمعيات المشرفة على هذه الحلقات ، حيث إن الإشراف يُنَشِّط العملية التربوية داخل الحلقات ، ويطرد عنها الكسل والسآمة والتراخي ، ويجعل عملها التربوي متميزاً ومستمراً ؛ لأن الإشراف التربوي عمل ميداني يتطلب جهداً كبيراً ، حيث يتنقل المشرفون والموجهون بين الحلقات القرآنية سواء داخل المدن أو خارجها في القرى والأرياف ، فهم حلقة الوصل بين القائمين على الجمعيات الخيرية المشرفة على تحفيظ القرآن الكريم في الحلقات والقائمين على العمل التربوي داخل هذه الحلقات .

ولكي نضمن الاستمرار والنجاح لهذا العمل الإشرافي ، وتنفيذ خطط وبرامج الجمعيات كما حددتها الأهداف الأساسية ، سواء المالية أو الإدارية أو التربوية والاجتماعية والزيارات الميدانية ، يلزم توفير مبالغ مالية لدعم هؤلاء المشرفين

(١) أكرم ضياء العمري ، الثقافة الإسلامية والقراءة المبرمجة -، الرياض : دار أشبيليا ، ١٤١٧هـ، ص٢٢ .

وضمان استمرارية أعمالهم ، فإن ما يبذلونه من جهد قد لا يستمر كما ينبغي إ
قل الدعم المادي أو انعدم ، فإن المحتسبين للإشراف على الحلقات قلة ، إضافة إل
أن مشاغل المشرف المتعددة قد تجعل هذه المهمة من الأعمال المفضولة عنده إذا
يكافأ عليها ، كما أن الجهة المشرفة على هؤلاء الموجهين لا تستطيع إلزامهم إ
كانوا محتسبين ومتطوعين لهذا العمل التربوي الجليل ؛ وعليه فالواجب توفير مبا
مالية من الأوقاف لدعم هذا العمل التربوي المهم الذي يساعد على نجاح الحلقا
القرآنية ، وتحقيق أهدافها التربوية .

إقامة البرامج والدورات التدريبية للمعلمين والمشرفين :

تعد البرامج والدورات التدريبية للمعلمين والمشرفين من عوامل نجاح ع
الحلقات القرآنية ؛ حيث إن هذه الدورات التي تقيمها الجمعيات المشرفة ع
الحلقات القرآنية ؛ سبب في زيادة إنتاجية الحلقات القرآنية ، فهي من الوس
المهمة في إعداد المدرسين وتأهيلهم وإكسابهم الطرق التربوية والأساليب الجد
المناسبة التي تساعد القائمين على هذه الحلقات على القيام بعملهم التر
والتعليمي والإشرافي على الوجه المناسب ، حيث يتم تزويدهم بالمهارات التدريس
والتربوية .. بما يحقق أهداف الجمعيات الخيرية المشرفة على الحلقات القرآن
وما يحتاجه كل من المعلم والمشرف من جوانب نظرية، وخبرات وتجارب عملية ي
بها المتخصصون من أهل العلم والتربية والتعليم ، لاسيما مجال التعليم القر
والإشراف والتوجيه ، إضافة إلى المهارات الإدارية ، وأساليب القياس والتقويم .

ومما يتطلبه البرنامج التدريبي للمعلمين والموجهين الأمور التالية :

١ - المحاضرات والندوات وورش العمل التربوية في ميدان التربية والتعليم وبخ
مجال التعليم القرآني.

٢ - الكتب والنشرات والرسائل المتنوعة التي تهتم بقضايا التربية والتعليم والإشراف والتوجيه التربوي لاسيما تلك النشرات المشتملة على تجارب وأفكار من بيئات تربوية متعددة .

٣ - توفير بعض المجلات التربوية المتخصصة في مجال الإشراف والتوجيه التربوي وطرائق التعليم التي تصدرها جهات متخصصة .

٤ - الحصول على خدمات تربوية وتعليمية من جهات استشارية أو مكاتب استشارات تربوية ونفسية ، تعتني بالقضايا التربوية والمشكلات الطلابية ؛ بهدف إثراء العمل التربوي داخل الحلقات القرآنية.

٥ - إقامة المحاضرات والندوات المتخصصة في ميدان تدريس القرآن الكريم في الحلقات والمدارس القرآنية قديماً وحديثاً ؛ بهدف تنمية المعلومات والخبرات التربوية والتدريسية التعليمية لمعلمي الحلقات القرآنية .

ويمكن أن يساهم في هذه الندوات والمحاضرات العلماء والدعاة والمتخصصون في طرق التدريس وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد وكل ما يخدم مجال التعليم القرآني .

٦ - توفير الدراسات والبحوث المتخصصة في مجال التعليم القرآني ، حيث بدأت المكتبة القرآنية تضم بعض الدراسات والبحوث المتخصصة في مجال التعليم القرآني ؛ إلا أنها لا زالت محدودة لا سيما تلك الدراسات المهتمة بمجال التدريس والإشراف وإدارة الحلقات القرآنية .

وعليه فالعناية بهذا الأمر تساعد على نمو المعلمين التربوي والمعرفي ، وتزيد من خبراتهم وتجاربهم .

٧ - تنظيم زيارات ميدانية للمعلمين والمشرفين لبعض الحلقات والمدارس القرآنية

لاسيما المتميزة أو المعروفة بالنشاط والخبرة أو تضم أساتذة ومشر
متميزين ومتخصصين سواء كانت قريبة أو بعيدة من موقع الحلقة .

٨ - كفالة الطلاب المتميزين التي ترى جمعيات تحفيظ القرآن ابتعاثهم لإك
تعليمهم في مجال التعليم القرآني سواء داخل المملكة العربية السعودية أو خارج

٩ - العناية بالطلاب المتميزين ورعايتهم وبذل المزيد من الجهد لتربيتهم وإف
حلقات خاصة لهم يطلق عليها (الحلقات المتميزة) ؛ ليتم إعدادهم وتعلي
حتى يتولوا قيادة العمل التربوي داخل الحلقات القرآنية .

إن هذه البرامج والأنشطة تتطلب دعماً مادياً كبيراً تعجز عنه الجمع
والحلقات الآن في ضوء إمكاناتها المادية المحدودة ؛ لذا ينبغي دعمها مادي
طريق الأوقاف المخصصة حتى يستطيع القائمون عليها إقامة هذه البرامج والند
والدورات التي تقوي العمل التربوي في الحلقات القرآنية .

توفير الجوائز والحوافز للطلاب والمعلمين :

وحيث إن النفوس البشرية جبلت على حب من أحسن إليها ، والتفاعل م
أثنى عليها ، فإن الحوافز تؤدي إلى نجاح العمل التربوي في هذه الحلقات وت
أهدافها ، والدارس لسيرة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة ومن جاء بعدهم ي
عنايتهم بهذه المستحثات سواء الحفز المادي أو المعنوي[(١)].

وعلى هذا يجب العناية بهذا الجانب المتمثل في العناية بالمتعلمين والم
لكتاب الله تعالى ، فترصد الجوائز لحفاظ القرآن الكريم والمتخلقين بأخلاقه .

ولقد سمعت أحد المدرسين يقول للمسئول عن إحدى الجمعيات : "لو ة
لي كل شهر مائة ريال لشراء بعض الجوائز لطلاب الحلقة التي أُعلِمُ بها لح

---

(١) انظر التفاصيل في : مهارات التدريس في الحلقات القرآنية للباحث ص(٣٠١-٣٠٨) .

لكم الكثير من الأهداف التربوية التي تتطلعون إليها ، وأنا عاجز عن هذا المبلغ ؛ لأن مكافأتي لا تكفي لأمر معاشي ، وأرى ضرورة مثل هذه الحوافز ليزيد التفاعل والتجاوب" .

إن وقف الممتلكات الثابتة الرابحة على الحلقات القرآنية يساعد على تأمين المكافآت للعاملين في جمعيات تحفيظ القرآن وحلقاتها، ويوفر الهدايا التشجيعية للمتفوقين من معلميها وطلابها ومساعدة بعض الطلاب المحتاجين ، لاسيما في المناطق والقرى والهجر الفقيرة.

يقول ابن المبارك : "فما رأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ... في أيام بعد أيام رسول الله ﷺ والخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه ؛ وسبب ذلك ما خصصه لهم من الأعطيات والجوائز"(١)(٢).

وحيث إن الجمعيات الخيرية تنفذ برامج عامة مستمرة تحتفي فيها بالحفاظ لكتاب الله ودعم المتميزين ، فالواجب الالتفات إلى هذا الجانب ودعمه بالمكافآت المجزية والحوافز المتنوعة ، فذلك مما يدفع المنتسبين لهذه الحلقات - أياً كان عمرهم ومستواهم - إلى الحفظ والاستمرار والاهتمام ، ومن أمثلة من ينبغي دعمهم وتشجيعهم ما يلي :

---

(١) ابن قتيبة ، **الإمامة والسياسة** ، ج٢ ٠- بيروت : دار المعرفة ، (د.ت) ص (١٥٧) .

(٢) ومن أنواع الجوائز :

أ - المكافآت الثابتة الشهرية .

ب - الجوائز التشجيعية لكل من يحفظ القرآن كاملاً أو بعضه .

ج - الجوائز المقدمة للأوائل في المسابقات الخاصة بالحفظ والتلاوة والتفسير سواء كانت محلية أو دولية .

د - الجوائز التوجيهية التربوية مثل : الكتب والأشرطة .

هـ - الجوائز المادية العينية مثل : أجهزة التسجيل والحاسب والأجهزة المنزلية .

١ - المدرسون المهتمون بالطلاب سواء من الرجال أو النساء .

٢ - الموجهون والمشرفون على هذه الحلقات والمدارس القرآنية .

٣ - الإدارة المشرفة على الحلقات القرآنية .

٤ - حفاظ القرآن من الجنسين ، وتسمى "جائزة التكريم" .

٥ - المتفوقون على مستوى الطلاب والطالبات والآباء والأمهات .

- الطلاب المتميزون في أخلاقهم وسلوكياتهم .

٧ - المتقنون لأحكام التجويد والأداء .

٨ - القادرون على القراءة بالقراءات السبع أو العشر .

٩ - المشاركون في إمامة المصلين لاسيما صلاة التراويح .

إقامة الاحتفالات واللقاءات الدورية :

ولكي يستمر التفاعل قوياً في وسائط التعليم القرآني يلزم الجهات المشر على هذه الحلقات إقامة الاحتفالات الخاصة بالمتخرجين والمتميزين وإقامة ما يش الملتقى التربوي[١٣٧] في ظلال القرآن بصورة دورية ؛ لأن هذه الحوافز من الدوا القوية في حفظ القرآن والانتساب إلى حلقاته .

وحيث إن إقامة هذه المناشط والبرامج تتطلب دعماً مادياً ، فإن وجـ الأوقاف على القرآن يحقق ذلك ، ويصبح تفاعل الطلاب والمجتمع كبيراً ويقـ الأبناء والبنات بل والصغار والكبار على حفظ القرآن أو ما تيسر منه ، وفهم معا وأحكامه والعمل به وتطبيقه في حياتهم .

---

(١٣٧) طلبت من طلابي في كلية القرآن بالسنة الرابعة في الجامعة الإسلامية كتابة مقالة الدوافع التي حفزتهم إلى حفظ القرآن الكريم ؛ فأجمع أكثرهم أن من أسباب د مشاركتهم في مثل هذه البرامج والاحتفالات والملتقيات سواء في بلادهم أو خارجها .

الرحلات والزيارات الميدانية :

تعد الرحلات والزيارات من الحاجات الاجتماعية الأساسية للطلاب التي تسهم في تفاعل الطلاب مع برامج الحلقة القرآنية ، وتدفع عنهم السآمة التي قد تطرأ على بعضهم ؛ فتأتي هذه الرحلات فتجدد نشاطهم ، وتروح عن نفوسهم وتقوي عزائمهم .

لذا فالرحلات والزيارات التي تقوم بها الحلقات سواء داخل المنطقة التي توجد فيها الحلقة أو خارجها ، تثمر آثاراً تربوية وسلوكية واجتماعية نافعة ، حيث يتعلم الطلاب من خلال هذه الرحلات بعض الآداب والمهارات مثل آداب السفر ومساعدة الآخرين، والمسابقات المتنوعة، واختيار الرفقة ، وزيادة الحرص على المواظبة على الحلقة ، والعناية بالحفظ والتسميع ، ومعرفة معاني المفردات وأحكام التجويد .

أما الزيارات لاسيما التي تكون للحلقات أو لبعض المرافق العامة أو حسب ما ترى الجهة المشرفة على الحلقات القرآنية ، فإن لها أبعاداً تربوية وتكسب الطالب التنظيم وآداب الحديث ، والعناية بالحفظ وتطبيق أحكام التلاوة ، وغير ذلك من المهارات الاجتماعية والآداب السلوكية .

إلا أن هذه الجوانب تحتاج إلى الدعم المتواصل لكي تقام وتستمر ، ولن يتم ذلك في ظل الظروف الاقتصادية الحالية ، فلا بد من وقف بعض المشاريع عليها حتى يستمر عطاؤها ، فهي ذات أثر فعال على نجاح الحلقات القرآنية في رسالتها التربوية والتعليمية والأخلاقية ، وبدون هذه الأوقاف لن يستطيع القائمون على هذه الحلقات توفير كل مستلزمات هذه الرحلات والزيارات التي تساعد على تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية والاجتماعية .

توفير المستلزمات والتجهيزات المادية للحلقات القرآنية :

نظراً لقلة الموارد المالية المعينة للقائمين على العلم التربوي داخل الحلقات القرآنية أصبح الضعف التعليمي ظاهراً في هذه الحلقات من حيث الحفظ والفهم وعدم التمسك بأخلاق القرآن وأهله عند التلاميذ ؛ وعلى هذا فالحاجة ماسة إلى مبادرة أهل الخير لتوفير هذه المستلزمات المادية أو تخصيص أوقاف خاصة يوفر منها كل ما تحتاجه هذه الحلقات ؛ بهدف تطويرها وتفعيل دورها في المجتمع بصورة إيجابية .

ومن أبرز المستلزمات المادية لذلك ما يلي :

١ - الوسائل التعليمية المعينة على التعلم والحفظ والمراجعة .

٢ - الكتب والدراسات المعينة لمدرسي ومشرفي حلقات التحفيظ التي تساعد في قيامهم بدورهم التربوي والدعوي والتعليمي بصورة صحيحة .

٣ - توفير المصاحف والجوائز والهدايا المناسبة للمتميزين .

٤ - توفير الحراس والخدم لدور القرآن ، لاسيما المدارس النسائية التي بدأت تنتشر في بلاد الحرمين وغيرها من بلاد المسلمين والبلدان التي يوجد بها أقليات مسلمة .

٥ - تأثيث المدارس القرآنية والدور المخصصة للتعليم القرآني أو الفصول الدراسية الملحقة بالمساجد بما تحتاجه من فرش وأثاث .

٦ - شراء برادات الماء والمكيفات أو أجهزة التدفئة .

٧ - إقامة مكتبات خاصة للمدارس القرآنية وتزويدها بالكتب النافعة لطلاب القرآن الكريم

٨ - توفير الحقائب التدريبية والتربوية للمدرسين والمشرفين في ميدان التعليم القرآني

٩ - توفير العلاج لمن يحتاج إلى ذلك من الطلاب خاصة من عجز عن شرائه .

١٠- صيانة ونظافة المدارس والحلقات القرآنية بصفة مستمرة .

١١- توفير وسائل المواصلات التي تنقل التلاميذ من وإلى المدارس والحلقات القرآنية.

١٢- الاستمرار في تأسيس الحلقات القرآنية لا سيما في الأحياء المزدحمة بالسكان.

زيادة الحراك الاجتماعي في الحلقات القرآنية :

إن المتأمل لطلاب الحلقات القرآنية يستوقفه الإقبال الشديد على هذه الحلقات ورغبة أفراد المجتمع بإلحاق أبنائهم بهذه البيئات التربوية المهمة - سواء الذكور أو الإناث - إلا أن هناك نقصاً في المعلمين والإمكانات المادية ، وهذا يضعف ما يسمى عند علماء الاجتماع [الحراك الاجتماعي] داخل المجتمع وداخل جمعيات تحفيظ القرآن بخاصة ، والمقصود بالحراك الاجتماعي : "انتقال الأفراد من مركز إلى آخر ، ومن طبقة إلى أخرى ، وقد يكون الانتقال أفقياً ؛ وهو تحرك الأفراد من مركز اجتماعي إلى آخر في نفس الطبقة ، وقد يكون رأسياً ؛ وهو انتقال الأفراد من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أعلى"(١) ، ولا شك أن الوقف على الحلقات القرآنية وتوفير احتياجاتها المختلفة وإعداد المعلمين المؤهلين كل ذلك سوف يغير من طبقة المستفيدين من هذه الحلقات أفقياً ورأسياً وفق مفهوم الحراك الاجتماعي ؛ حيث يتم تحسين المستوى الاقتصادي لطلاب الحلقات والمدرسين ، وكذلك الجانب العلمي والثقافي ؛ فالتعليم الجيد يهيء هؤلاء التلاميذ في المستقبل للقيام بمهام تربوية واجتماعية وإدارية التي قد لا تتاح لهؤلاء ؛ لولا أن أموالاً موقوفة على هذه الحلقات القرآنية قد ساعدته على هذا الارتقاء، وسهلت سبل ووسائل تعليم القرآن وحفظه ، وتعلم أساليب ووسائل تدريسه ، وتوفير كل ما يلزم هذه الحلقات من الإمكانات المادية والبشرية .

---

(١) انظر أحمد زكي بدوي . **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** .- بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٨٦م ، ص٢٧١ .

الوقف على إنشاء المباني الخاصة بالتعليم القرآني :

ويتمثل الوقف في هذا المجال من خلال إقامة المباني والمدارس والدور التي يمكن أن يتم فيها التعليم القرآني أو الفصول الدراسية التي يمكن أن تلحق بالمساجد بحيث يتم إنشاؤها ووقفها على التعليم القرآني مباشرة ، ويدخل في ذلك مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات ؛ حيث إن من الأسباب التي تقف حيال زيادتها في المجتمع الإمكانات المادية ، فيتم بناء هذه المدارس ثم تسلم لهم بشرط أن تكون مدارس للقرآن الكريم ، أو تقام عليها مشاريع استثمارية لدعم الحلقات القرآنية .

ويلحق بهذا الأمر وقف الأراضي الواسعة الصالحة لإقامة المدارس القرآنية وكذلك المكتبات ومساكن الطلاب والمعلمين لاسيما المحتاجين منهم[1]، حيث نلحظ قلة الرواتب التي تدفع لمعلمي القرآن التي لا تكاد تكفي الطعام والشراب ؛ فضلاً عن أجرة السكن ومتطلبات الحياة الأخرى .

يضاف إلى ما سبق بناء المعامل الخاصة بتعليم القرآن الكريم عن طريق الحاسب وأماكن التدريب والتعليم لمعلمي القرآن الكريم وتجهيزها بكل مستلزمات التعلم والتدريب.

ومما يدل على عظيم أثر الوقف في انتشار التعليم القرآني ماذكره ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: "فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة ، يجعلون فيها شركاء لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والصلاح والتماس الأجور في المقاصد والأفعال

---

(١) من النماذج المشرقة لهذه المساكن تلك المجمعات السكنية لمعلمي الحلقات القرآنية بمكة؛ حيث يضم هذا المجمع أربع عمائر بشارع المنصور بمكة المكرمة التي تبرع بإقامتها بعض المحسنين على جزء من الأرض التي أوقفها السيد حسن عباس الشربتلي على الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بمكة المكرمة. (التقرير السنوي التاسع والعشرون للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بمكة المكرمة ١٤١٦هـ .

فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلموه بكثرة جرايتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم"[1].

دعم المسابقات والبرامج والأنشطة التشجيعية :

لا يخفى ما للتشجيع من أثر على نفس المتعلم ، فهو يدفعه إلى الحفظ والمراجعة ، وفهم مفردات الآيات القرآنية ؛ وعليه فالحاجة ماسة إلى دعم هذه المسابقات مادياً ومعنوياً ؛ تشجيعاً للمتعلمين في الحلقات القرآنية ، وإذكاء روح التنافس بين الطلاب ، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم ؛ ترغيباً لهم في الاستمرار في ميدان الحلقات ، والتحلي بالأخلاق والآداب الإسلامية ، والظهور بالمظهر الحسن والسمت القويم ؛ لأن الترغيب التربوي للتلاميذ على الحفظ يتم بعدة وسائل منها : المسابقات والبرامج والأنشطة التشجيعية ، فالنفوس البشرية تتطلع إلى التشجيع والتنويع في الوسائل التربوية المختلفة .

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :

توصل الباحث إلى عدة نتائج من أبرزها :

١ - أن الوقف في المنهج الإسلامي أحد جوانب تقدم المجتمع ونهضته في مجالات الحياة المختلفة ، ويأتي في مقدمتها المجال التربوي والتعليمي المتمثل في تعليم القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والفقه الإسلامي .. وإن نظام الوقف كان من الأسباب القوية في بروز النهضة العلمية الشاملة في حياة المسلمين عبر العصور.. حيث اتضح أن الوقف هو بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون .

٢ - إسهام الوقف في دعم حلقات ومدارس التعليم القرآني في الحضارة الإسلامية

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٥ .

من خلال المساجد ، والمدارس ، والمكتبات ، والأربطة ، ودور رعاية الأيتام ، القرآن .. حتى غدا الوقف على التعليم من الصور الإسلامية المشرقة العصور .. حيث تسابق إلى ذلك الخلفاء والملوك ، والعلماء والسلا والأغنياء وأهل الخير واليسار في المجتمع .

٣ – يعد الوقف من الموارد الأساسية للوسائط التربوية التعليمية ، ومنها : ح ودور تعليم القرآن ، وإليه يرجع الفضل في ازدهار الحركة الثقافية عبر ع التاريخ الإسلامي المختلفة .

٤ – مشروعية الوقف على الحلقات القرآنية والتأسي بالسلف الصالح في العمل التربوي الجليل .

٥ – إن الوقف سوف يسهم في نشر القرآن الكريم وعلومه في مختلف بقاع ا بصفة عامة ، والمملكة بصفة خاصة ؛ باعتباره أهم مورد لدور تحفيظ الـ الكريم .. يتميز بالاستمرارية وعدم الانقطاع ، بل ومواجهة دعاة المـ والأفكار الهدامة ، والنحل الباطلة التي ترصد لها الأموال بالمليارات ، ويوجـ الدعاة والمعلمون بالآلاف ، ونظام المدارس والملاجئ في كل مكان ؛ لتبـ المسلمين عن قرآنهم ، وسنة نبيهم ﷺ .

٦ – أن التجربة الإسلامية التي رصد الباحث بعض جوانبها في مجال التـ القرآني يمكن تكرارها اليوم بصورة أوسع مع الأخذ في الاعتبار فوارق الز وتغير الآليات ، وتجدد الأساليب ، وتنوع الوسائط .. حيث إن خصائص الـ الإسلامي تجعله مناسباً للإنفاق على المدارس والحلقات القرآنية في الع الحاضر .. ويغدو الوقف المخصص للتعليم القرآني رافداً كبيراً وضرورياً الحلقات المخصصة لتعليم القرآن الكريم لأبناء المسلمين .

٧ – إن الواقفين المخلصين، والمتبرعين الأسخياء على هذه الحلقات القرآنية؛ ..

ينالون - بإذن الله - الأجر والمثوبة المضاعفة ؛ لتشجيعهم تعليم القرآن الكريم ، ونشره في المجتمعات .. من خلال دعمهم جمعيات ومدارس وحلقات القرآن الكريم. بل وتشملهم الخيرية والأفضلية التي خص بها الله أهل القرآن «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفي رواية أخرى «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»(1) .

٨ - تعدد مجالات الوقف على الحلقات القرآنية في العصر الحاضر .. الأمر الذي يعكس حاجة الحلقات القرآنية إلى الدعم المادي من خلال الأوقاف الخاصة على هذه المجالات .

ثانيا : التوصيات :

يوصي الباحث في نهاية بحثه بالتوصيات التالية :

١ - أن يخصص جزء من ريع الأوقاف الخيرية كلها للتعليم القرآني .. ينفق منه على المعلمين والمتعلمين ، واحتياجات الحلقات القرآنية ، وتطبع منه المصاحف والكتب المطلوبة لهذه الحلقات أو المدارس القرآنية المهتمة بالتعليم القرآني .

٢ - أن يخصص جزء من هذه الأوقاف ليتم دعم المعلمين في الحلقات والمدارس القرآنية على هيئة قروض لمن يحتاج منهم إلى قرض في زواجه ، أو شراء وسيلة مواصلات ، أو لمن يضطر للقرض.. حتى لا ينقطع عن هذه الحلقات ، أو يتركها بحثاً عن مجال عمل آخر .. لا سيما وإن المجتمعات الإسلامية تعيش ندرة في أمر المعلمين في الحلقات القرآنية .

٣ - إنشاء إدارة خاصة ملحقة بمجلس الإشراف العام على الجمعيات الخيرية بالمملكة ؛ لتقوم هذه الإدارة على تفعيل الوقف في العملية التربوية والتعليمية والدعوية في الحلقات والمدارس القرآنية، وتتولى هذه الإدارة المتخصصة استقبال الأموال الوقفية ، والصرف منها على ما تحتاجه العملية التربوية في الحلقات ..

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل القرآن (٣/٣٤٦) ح (٥٠٢٧-٥٠٢٨) .

إضافة إلى الاتصال بأهل الخير وترغيبهم في الوقف على الحلقات القرآنية

٤ - الإفادة من العلماء ، والدعاة ، وخطباء المساجد في المملكة ؛ للتعريف بأهم الوقف على التعليم القرآني ، وأنه من أبواب الخير والبر المشروعة .

٥ - أن تبين الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم لأفراد المجتمع بحاجة المادية التي يمكن سدها من خلال وقف بعض المشروعات الخيرية عليها ، . طريق العلماء والدعاة وأئمة المساجد .

٦ - عقد اللقاءات والمؤتمرات والندوات بين فترة وأخرى .. يتولى المسئولون الجمعيات وبعض الدعاة، والباحثين مناقشة مجالات الوقف على التعليم القرآ وكيفية الاستفادة من الأموال الوقفية في مجال دعم الحلقات القرآنية .

٧ - إعداد الدراسات والبحوث التي من شأنها المساهمة في بيان أثر الوقف العملية التربوية ، والدعوية ، والتعليمية في الحلقات القرآنية بخاصة ، وكل يعزز العملية التعليمية للقرآن الكريم.

٨ - دراسة وحصر الاحتياجات التربوية والدعوية والتعليمية للحلقات القرآنية ا يمكن الإنفاق عليها من الأموال الوقفية لدى وزارة الشئون الإسلامية والأوق والدعوة والإرشاد، وترتيبها وفق أولويات معينة ، وضوابط محددة ، يتولا فريق عمل يخصص لهذا الأمر المهم .

٩ - ينبغي على الميسورين من المسلمين التأسي بالنبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم الإكثار من مصارف الوقف ، وحبس بعض أموالهم على وجوه البر المختلفة، وتس ذلك رسمياً عن طريق المحاكم الشرعية ، وبخاصة على الحلقات القرآنية.

١٠- تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الأغنياء فيما يتعلق بحصر الأوقاف في المساجد فقط، وإيضاح أن مجالات الوقف لا حصر لها ، ومن أمثلة ذا العناية بحلقات القرآن ، وإقامة دور للمسنين والعجزة ، وبناء المصح

الخيرية ، وإقامة المكتبات العلمية ودعمها ، وشق الطرقات .. إلى غير ذلك من مجالات الخير المتنوعة .

١١- إنشاء صندوق وقفي لدعم حلقات القرآن الكريم ؛ لأن المتأمل للوضع المالي لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم داخل المملكة يلحظ ضعفه ، وقد لمست ذلك بنفسي من خلال اتصالي ببعض المسؤولين عن هذه الجمعيات ، وعن طريق الخطابات التي توزعها هذه الجمعيات على العلماء ، والدعاة ، وطلاب العلم ، والمحسنين في شهر الصيام كل عام .. تطالب التبرع لبرامج ، وأنشطة ، ورواتب معلمي القرآن الكريم بالحلقات القرآنية ؛ وبناءً على ذلك ، فإن الجمعيات المشرفة على الحلقات القرآنية لا يمكن أن تنهض برسالتها التربوية إلا في ظل موارد مالية ضخمة ، ودائمة باستمرار ، وهذا لن يتحقق إلا بإقامة مثل هذا الصندوق ، والأوقاف على هذه الحلقات .

١٢- إنشاء أماكن ومدارس خاصة بالنساء ؛ إذ أصبح الإقبال على تعلم القرآن في أوساط النساء كبيراً ، سواء لكبيرات السن أو الصغيرات .. وبدأت المدارس الخاصة تستقبل الأعداد الكبيرة من الراغبات في حفظ القرآن وتعلمه وفهم معانيه وأحكامه ، وأمام هذه الإقبال ، فإن الحاجة ملحة إلى زيادة في الفصول والحلقات والمدارس القرآنية النسائية في المدن والقرى والهجر، وحيث إن الإمكانات المادية لدى الجمعيات ضعيفة فالواجب دعم هذه الحلقات النسائية والعمل على استئجار المباني اللازمة لذلك سواء عن طريق ما يوقفه أهل الخير والثراء في المجتمع من مبانٍ مستأجرة ، أو شراء مبانٍ جاهزة ، ووقفها على تعلم القرآن في مجتمع النساء ؛ نظراً لخصوصية المرأة وطبيعتها .. وتزداد أهمية هذه الحلقات بالنسبة للمرأة في ظل التغيرات الجديدة التي وجهت سهامها إلى المرأة مطالبة بتحررها وإبعادها عن دينها .

المراجع والمصادر

- إبراهيم الطرابلسي . **الإسعاف في أحكام الأوقاف** .- بيروت : دار الرائد الع
- إبراهيم محمد المزيني . **الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية** ، المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية .- المدينة المنورة : مكتبة عبد العزيز، ١٤٢٠هـ .
- ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** .- بيروت : دار النفائس ١٤١٨هـ .
- ابن تيمية . **مجموع الفتاوى** ؛ جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاس بيروت : مطابع دار العربية ، ١٣٩٨هـ .
- ابن جماعة . **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم** ، دار الكتب العلمية ، د
- ابن حجر . **فتح الباري شرح صحيح البخاري** .- بيروت : دار المعرفة ، (د.ت)
- ابن خلدون . **المقدمة** .-ط٤ ، بدون دار نشر ، ١٣٩٨هـ .
- ابن قتيبة . **الإمامة والسياسة** .- بيروت : دار المعرفة ، (د.ت) .
- ابن قدامة . **المغني** .- الرياض : مكتبة الرياض المدنية ، ١٤٠١هـ .
- ——— . **المغني والشرح الكبير** ، دار الكتاب العربي ، (د.ت) .
- ابن ماجه. **سنن ابن ماجه** ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، (د.
- أحمد بن حنبل . **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، دار الفكر ، (د.ت) .
- أحمد زكي بدوي . **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** .- بيروت : مك لبنان، ١٩٨٦م .
- أحمد شلبي . **التربية والتعليم في الفكر الإسلامي** .- القاهرة : مكتبة النه المصرية ، ١٩٨٩م .
- أحمد بن علي المقريزي . **المواعظ والاعتبار** .- القاهرة : بولاق ، ١٢٧٠هـ (د.ت

- أكرم ضياء العمري . **الثقافة الإسلامية والقراءة المبرمجة** ٠- الرياض ، دار أشبيلية، ١٤١٧هـ .
- الإمام البخاري . **صحيح البخاري** ، مصطفى ديب البغا ٠- دمشق ، بيروت : دار ابن كثير ، واليمامة ، ١٤٠٧هـ .
- الترمذي . **سنن الترمذي** ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- التقرير السنوي التاسع والعشرون للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ .
- الخصاف ، أبو بكر الشيباني . **أحكام الأوقاف** ٠- ط١ ، القاهرة .
- الخطيب البغدادي . **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ؛ تحقيق محمود الطحان ٠- الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٣هـ .
- الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ .
- الزرقاني . **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت)
- السيوطي . **الإتقان في علوم القرآن** ، شركة مكتبة ومطبعة الحلبي ، ١٣٩٨هـ .
- شوقي أحمد دنيا . أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ، **مجلة البحوث الفقهية المعاصرة** ، العدد (٢٤) ٠- الرياض ، ١٤١٥هـ .
- صالح بن غانم السدلان . **أثر الوقف في الجانب التوجيهي للمجتمعات** ، بحوث ندوة مكانة الوقف ٠- مكة المكرمة : وزارة الشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ .
- صالح سليمان الوهيبي . **دور الوقف في دعم الوسائل التعليمية** ، بحوث ندوة مكانة الوقف في مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ .
- صفي الرحمن المباركفوري . **الرحيق المختوم** ٠- مكة المكرمة : مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .

- عبد الحي الكتاني . التراتيب الإدارية .- بيروت : دار الكتاب العربي (د.ت) .
- عبد الرحمن الضحيان . الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية المدينة المنورة ، مجلة العقيق ، العدد (٢٧) ، ١٤٢٠هـ .
- عبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي . الدارس في تاريخ المدارس .- القاهر مكتبة الثقافة الدينية ، (د.ت)
- عبد الله بن أحمد الزيد . أهمية الوقف وأهدافه .- الرياض : دار طيبة، ١٤١٤ه
- عبد الله بن محمد الحجيلي . الأوقاف النبوية ، ندوة المكتبات الوقفية في المم العربية السعودية .- المدينة المنورة ، ١٤٢٠هـ .
- عبد الله قاسم الوشلي . المسجد ودوره التعليمي عبر العصور .- صنعاء : مكت الجيل الجديد ، مؤسسة الرسالة (د.ت) .
- عبد الله ناصر السدحان . دور الوقف في دعم مؤسسات الرعاية والتأه الاجتماعي، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة ، ١٤٢٠ه
- عبد الملك أحمد السيد . الدور الاجتماعي للوقف .- جدة : البنك الإسلام للتنمية ، ١٤١٠هـ .
- علي بن إبراهيم الزهراني . مهارات التدريس في الحلقات القرآنية .- المد المنورة : مكتبة الدار ، ١٤١٩هـ .
- علي عبد الحليم . المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي .- القاهرة : دار المعار بمصر (د.ت) .
- الفيروأبادي . القاموس المحيط .- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٧هـ
- الكاندهلوي . حياة الصحابة .- دمشق ، بيروت : دار التعلم ، ١٣٨٩هـ .
- المباركفوري . تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي .- القاهرة : مكتبة ابن تيمي ١٤٠٧هـ.

- مجاهد توفيق الجندي . **تاريخ التربية الإسلامية** ·- القاهرة : دار الوفاء للطباعة، ١٤٠٤هـ .
- محمد أبو زهرة . **محاضرات في الوقف** ·- القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧١م .
- محمد بن أحمد جبير . رحلة **ابن جبير** ·- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٤هـ .
- محمد بن عبيد الكبيسي . **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ·- بغداد : مطبعة الإرشاد ، ١٣٩٧هـ .
- محمد صلاح الدين . **دور القرآن في دمشق** ·- بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢م.
- محمد عطية الأبراشي . **التربية الإسلامية** ·- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩٠هـ .
- محمد محمد أمين . **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر** ·- القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م.
- محمد منير مرسي . **تاريخ التربية في الشرق والغرب** ·- القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م.
- مسلم . **صحيح مسلم** ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ·- بيروت : دار إحياء التراث (د.ت) .
- المقريزي . **الخطط المقريزية** ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .
- ناصر التويم . **الوقف في خدمة البحث العلمي** ، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ·- مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ.
- النووي . **المجموع شرح المهذب** ، دار الفكر ، (د.ت) .
- يحيى بن شرف النووي . **صحيح مسلم بشرح النووي** ·- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ .
- يوسف القرضاوي. **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام** ·- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ.

جهود المملكة العربية السعودية

في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم

الدكتور:
أحمد بن
عبدالقادر
المهندس*

* بكالوريوس علوم من جامعة الملك سعود ١٣٩٠هـ .
- ماجستير في العلوم جامعة مانشستر بريطانيا ١٣٩٤هـ.
- دكتوراه في العلوم من الجامعة نفسها ١٣٩٧هـ .
- يعمل الآن أستاذاً في قسم الجيولوجيا بجامعة الملك سعود ، ومديراً لمركز الترجمة في جامعة الملك سعود سابقاً.

المقدمة :

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآل وصحبه وسلم، وبعد :

لقد أولت المملكة العربية السعودية اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم ؛ لأنه مصدر دستورها ، ومنهج حياتها، والأساس الذي يقو عليه نظام الحكم . كما أنها اهتمت بالعناية بالقرآن الكريم، نظراً لـ يمثله من قيم سامية لدى كافة المسلمين ، ولأنه يمثل كلام الله الذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا ترقى إليه الشبهات ولا مجال هنا لسرد مظاهر العناية بالقرآن في المملكة العربيـ السعودية . فقد قام الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفـ بتفصيل ذلك في بحثه : «عناية المملكة بطباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاوته وترجمة معانيه ونشره» الذي ألقاه في ندوة عناي المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه التي عقدت فـ

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ[١] .

ولا شك أن إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف كان فتحاً عظيماً في خدمة القرآن الكريم ونشره وتوزيعه إلى جميع أقطار العالم بطبعات أنيقة، بالإضافة إلى إخراجه على أسس علمية راقية من حيث الرسم والتحقيق والإتقان في الطباعة والدقة في ترجمة معانيه .

وتتميز ترجمات معاني القرآن الكريم التي يصدرها المجمع بسلامة العقيدة على منهج السلف الصالح ، وصحة الأحكام الشرعية ، وذلك لأن المترجمين والمراجعين مسلمون ، بالإضافة إلى الأسس الصارمة التي يضعها المجمع ، ويلزم المترجمين والمراجعين باتباعها بشكل دقيق[٢] .

إن الهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على جهود المملكة العربية السعودية في ترجمة معاني القرآن الكريم ، مع التركيز على جهود المنظمات والهيئات الحكومية ، وخاصة جهود مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في هذا المجال .

---

(١) العوفي ، محمد سالم (١٤٢١هـ) . **عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاوته وترجمة معانيه ونشره** ، في ندوة : «عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه» التي عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ .

(٢) الجهني ، مانع بن حماد (١٤٢١هـ) . **عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه** ، بحث مقدم لندوة : « عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه» التي عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ .

وقد قام الباحث بمراسلة جميع الجهات التي يحتمل أن يكون لها جهود بارز في مجال ترجمات معاني القرآن الكريم وتشمل هذه الجهات ما يلي :

- رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .
- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض .
- قسم اللغات والترجمة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- معهد اللغة الإنجليزية والترجمة بجامعة الملك خالد بأبها .
- معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمك المكرمة .
- رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض .
- وزارة الحج بالرياض .

وقد تلقى الباحث الرد من كل من الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض من خلال المعلومات التي أرسلها الأمين العام ، وكذلك من الأمين المساعد لشئو المساجد والدعوة والتعليم برابطة العالم الإسلامي .

أما بقية الجهات ، فقد اعتذرت لعدم وجود معلومات كافية في مجا ترجمات معاني القرآن الكريم . وقد اعتمد الباحث على المعلومات المتوافرة ف المجمع ، كما استفاد كثيراً من بحث الدكتور مانع بن حماد الجهني رحمه الله فيه يتعلق بأماكن انتشار اللغات وعدد المتحدثين بها(1) .

وقد عقدت ندوة كبرى بعنوان : «ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم : تقوي

---

(1) عنكيط ، أحمد (١٩٩٥م) . «الترجمة الشفوية بين الماضي والحاضر» ، مجلة ترجمان ، المجل الرابع ، العدد الأول ، ص٣١ - ٣٩ .

للماضي وتخطيط للمستقبل» في الفترة من ١٠ - ١٢ صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٢٣- ٢٥ أبريل ٢٠٠٢م ، في المدينة المنورة برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز ، وبإشراف معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

وكان من أهم أهداف الندوة ما يلي :

١ - الاطلاع على ما يُبذل من جهود في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم في مختلف أنحاء العالم .

٢ - البحث عن وسائل لتطوير ترجمة معاني القرآن الكريم وتحسينها والرقي بها إلى الأفضل .

٣ - إيجاد تعارف بين العاملين في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم .

٤ - توطيد الروابط بين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة والهيئات والشخصيات المعنية بترجمة معاني القرآن الكريم .

ترجمة معاني القرآن الكريم :

الترجمة هي نقل المعنى إلى لغة أخرى دون زيادة أو نقص . وتشمل الترجمة أنواعاً متعددة، منها الترجمة الحرفية والترجمة المماثلة والترجمة المختصرة. ويمكن إدراج جميع هذه الترجمات تحت مسمى الترجمة التحريرية . وهناك الترجمة الشفوية وتتفرع إلى ترجمة فورية وترجمة لاحقة وغير ذلك من أنواع الترجمة[١] .

ولقد كانت ترجمة القرآن الكريم هي السلاح الذي أشهره مجادلو التنصير

---

(١) مدكور ، عبدالحميد (١٩٩٦م) . **الترجمة والحوار مع الآخر** ، كتاب المؤتمر الأول للفلسفة الإسلامية (الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة) المنعقد بدار العلوم ، القاهرة .

لمحو القرآن أو منعه من الغلبة . ولم تتم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد ، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين ، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه ، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر القرآن وهزيمته والسيطرة عليه[١] .

والقرآن الكريم كتاب هداية ، جاء ليخاطب جميع الناس ، يخاطب قلوبهم وعقولهم ، إحساسهم ووجدانهم . يضيئ العقل ويهز القلب ويحرك الإرادة ، ويدفع إلى العمل وترك الخمول والكسل .

إنه الكتاب الذي أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين . يقول تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢] . ولا بد من التسليم بأن القرآن الكريم لا يمكن أن تترجم جميع معانيه لأية لغة ، ولا يمكن أن تكون الترجمة قرآناً باللغة الأجنبية ، لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه ، وهو كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على رسوله محمد ﷺ بلسان عربي مبين .

ولقد أثير موضوع إستحالة ترجمة القرآن الكريم ومعانيه من وجهة نظر عقائدية[٣] وكذلك من وجهة نظر لغوية[٤] .

ومن المعروف في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية أن المترجم يقو

---

(١) الصافي ، عثمان عبدالقادر (١٩٩١م) . **القرآن الكريم** : بدعية ترجمة ألفاظه ومعاني وتفسيره وخطر الترجمة على مسار الدعوة ونشر رسالة الإسلام ٠- بيروت ، ودمشق المكتب الإسلامي .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢ .

(٣) مصدر سابق .

(٤) *yas, A.L. (1982) . Lingistic and extra-linguisticproblems in the translation ᶜthe Holy Quran, Unpublished Ph. D thesis, St. Andrews University, U. K.*

بترجمة المعاني أو التفاسير . وقد استقر الرأي على جواز ترجمة معاني القرآن الكريم مع بقاء اللفظ الذي يتلى في الصلوات .

وتعد عملية ترجمة معاني القرآن الكريم حالة خاصة من الترجمة وذلك لعدة أسباب نذكر منها ما يلي :

١ - اللغة الإعجازية التي يتميز بها القرآن الكريم ، والتي جعلت ترجمته مستحيلة ، فهو كتاب لا يترجم ولكن تنقل معانيه فقط . ومن ذلك وجود الحروف الأبجدية التي تبدأ بها بعض السور ، وبعض المفردات مثل كلمة «الطاغوت» ، بالإضافة إلى النغمة الهارمونية التي تتميز بها بعض الآيات القرآنية ، وهو ما أطلق عليه المستشرق الفرنسي محمد أركون : «الإعجاز البلاغي للغة العربية» في مقدمته لترجمة كازيمرسكي للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية(١) .

٢ - إن القرآن الكريم هو كتاب شامل يتناول كل موضوعات الحياة بصورة متفرقة ، حيث إن القرآن الكريم لم يتناول كل موضوع أو كل فكرة بشكل تقليدي ، ولكن كل فكرة أو كل موضوع يمكن أن يأتي أكثر من مرة وفي أكثر من مكان في السور والآيات الكريمة .

والواقع أن لترجمة معاني القرآن الكريم إلى أية لغة أهمية كبرى وذلك لحاجة المسلمين الذين لا يتكلمون اللغة العربية إلى ترجمة صحيحة وموثوقة لكي يفهموا كتاب الله عز وجل الذي قرر فيه أوامره ونواهيه . أما الأهمية الثانية فهي أنه يعرض على غير المسلمين بشكل واضح ودقيق لكي يحصلوا على صورة صحيحة وإيجابية لكتاب الله الكريم .

---

(١) *Arkon, Mohammed, 1970. Le Coran, traduit de 'I' arabe par Kasimirski, Chronologie et preface par Mohammed Arkon ed. Garnier Flammarion, Paris.*

جهود المنظمات والهيئات الحكومية :

لقد اهتمت المملكة العربية السعودية اهتماماً خاصاً بترجمة معاني القرآن الكريم انطلاقاً من رعايتها واهتمامها بالقرآن الكريم ، وانسجاماً مع ما تقوم به من دعوة إلى الإسلام في جميع أقطار العالم وخاصة بين المسلمين الذين لا يتكلمون اللغة العربية . وكان بداية اهتمام المملكة بترجمات معاني القرآن الكريم من خلال ما يوجد في العالم من ترجمات، وخاصة تلك الترجمات التي أعدها بعض المسلمين. وكانت المملكة تشتري كميات كبيرة من تلك الترجمات وتوزعها على من يستفيدون منها من مسلمين وغير مسلمين . وقد اشترت المملكة أو طبعت ترجمة عبدالله يوسف علي باللغة الإنجليزية ، وترجمة المسلم البريطاني محمد بكتال مرمادوك بكميات كبيرة ، ووزعتها على المسلمين وغير المسلمين ، كما تم استخدامها في برامجها الدعوية الموجهة لغير الناطقين بالعربية . وقد تمت طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم لعبدالله يوسف علي من خلال الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ومن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ومن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ونظراً لما تحمله ترجمة معاني القرآن الكريم لعبدالله يوسف علي من الناحية العقائدية وبعدها عن تفسيرات السلف ، فقد تم إيقافها . وتبنى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ترجمة معاني القرآن الكريم التي أعدها الدكتوران محمد محسن خان وتقي الدين الهلالي . وتعد هذه الترجمة أفضل من ترجمة عبدالله يوسف علي من الناحية العقائدية، كما أنها خالية من الأخطاء التي وردت في الترجمة السابقة. وترجمة محمد محسن خان وتقي الدين الهلالي أكثر ملاءمة للقراء المسلمين، حيث يستعمل المترجمان العبارات العربية الإسلامية التي لا يعرفها إلا المسلمون .

ونذكر من جهود المملكة في هذا المجال إنشاء إذاعة متخصصة في القرآن

الكريم تذيعه بعدد من التلاوات ، وتقدم الكثير من البرامج لفهمه وتفسيره وقراءة معاني ترجماته المختلفة .

وقد تبرع الملك فيصل - رحمه الله - بطباعة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوربا التي يتحدث بها أكثر من سبعة عشر مليوناً في أفريقيا ، وقد طبع خمسة وعشرون ألف نسخة من هذه الترجمة على نفقته الخاصة(١) .

وجاء في مجلة المنهل(٢) : أن إحدى الصحف العربية نشرت ما يلي : «تم توزيع معاني القرآن الكريم التي طبعت على نفقة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز المفدى ، بمختلف اللغات ، وذلك على جميع المراكز والمؤسسات والمكاتب التابعة لرابطة العالم الإسلامي ، وكذلك تم توزيعها على مراكز الدعاة التابعين للرابطة . ولم تشر المجلة إلى اسم الصحيفة وكذلك اللغات التي ترجمت إليها معاني القرآن الكريم .

وقد اهتمت رابطة العالم الإسلامي بإعداد الترجمات ، وطلبت من المكاتب والمراكز الإسلامية التابعة لها في الخارج تزويدها بما يقدم لها من ترجمات لمعاني القرآن الكريم من المتخصصين في الدول التي توجد بها تلك المكاتب والمراكز الإسلامية. وبعد ورود تلك الترجمات إلى الرابطة، قامت اللجان المختصة بمراجعتها، ثم إرسالها بعد ذلك إلى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

وقد بلغ عدد الترجمات التي أسهمت الرابطة في إعدادها ومراجعتها والحصول على حقوق طبعها وإخراجها ستاً وعشرين ترجمة لمعاني القرآن الكريم كما هو موضح في الجدول رقم (١) .

---

(١) **مجلة المنهل** ، ج٦ ، جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ / يوليو ١٩٧٣م .

(٢) **مجلة المنهل** ، ج٤٠ ، ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٩/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٧٩م .

الجدول رقم (١)

بيان بترجمات القرآن الكريم بمختلف لغات في العالم التي قامت بإنجازها رابطة العالم الإسلامي

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
١	البرتغالية	د . حلمي نصر	أستاذ الدراسات العربية والإسلامية (المترجم) في جامعة سان باولو - البرازيل
٢	البنغالية	الشيخ محمد محيى الدين خان	المراجع: الشيخ محمد محيى الدين خان
٣	الأمهرية	الشيخ بشير داود عبدالقادر	-
٤	الصينية	الشيخ محمد مكين	المراجع هو : د . إبراهيم جاو مكتب الممثل الاقتصادي والثقافي لتايبيه
٥	الصومالية	الشيخ محمد عبده	مدير مكتب الرابطة في كينيا
٦	الألبانية	-	-
٧	الهوسا	الشيخ أبو بكر جومي	-
٨	الكورية	د . حامد تشوى يونغ كيل - المترجم	-
٩	القازاقية	الشيخ خليفة الطائي	-

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
١٠	الأردية	الشيخان محمود الحسن وشبير عثماني المراجع سيد عناية الله شاه	إدارة شؤون المساجد رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة
١١	البرماوية	-	-
١٢	البشتو	مجموعة من علماء أفغانستان راجعها الشيخ سيد عبيدالله شاه	خطيب المسجد الجامع باب الإسلام ايف سيون - مركز إسلام أباد - باكستان
١٣	البروهية	د . عبدالكريم مراد	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٤	البلوشية	د . عبدالغفور بلوش	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (قسم الكتاب والسنة)
١٥	اليابانية	الشيخ عمر ميتا والشيخ أرشد	-
١٦	التاملية	-	-
١٧	الأندونيسية	الشيخ محمد يونس	-
١٨	البوسنة والهرسك	الشيخ نسيم كوركوت	-
١٩	التركية	-	-
٢٠	الإيغورية	عبدالرحيم احقون بالحرف العربي والروسي	الطائف
٢١	الأذبكية	-	-
٢٢	الرومانية	-	-
٢٣	الغجرية	-	-
٢٤	الكشميرية	-	-
٢٥	المقدونية	-	-

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
٢٦	الشترالية	قاري يزرك شاه	-
٢٧	الملايالم	-	-
٢٨	الأرومية	الشيخ محمد رشاد عبدالله	-

وقد قام مجمع الملك فهد بطباعة هذه الترجمات خلال العشرين عاماً الماضية.

المجمع وترجمة معاني القرآن الكريم :

أسهم المجمع في تيسير فهم القرآن الكريم على ملايين المسلمين الذين لا يتكلمون اللغة العربية في جميع أنحاء العالم ، وذلك من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الكثير من اللغات العالمية . ودعماً لجهود المجمع في ترجمات معاني القرآن الكريم ، فقد أنشئ في المجمع في عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م مركز متخصص للترجمات ، وتتلخص أهدافه فيما يلي :

١ - القيام بأعمال ترجمات معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى لغات العالم.

٢ - دراسة المشكلات المرتبطة بترجمات معاني القرآن الكريم ، وتقديم الحلول المناسبة لها .

٣ - إجراء البحوث والدراسات في مجال الترجمات .

٤ - تسجيل ترجمة معاني القرآن الكريم في أشرطة صوتية وإسطوانات الليزر .

٥ - ترجمة ما يحتاج إليه المسلمون من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم .

٦ - القيام بالمشروعات البحثية التي تخدم أعمال الترجمات مثل :

أ - إعداد المعاجم الخاصة بالقرآن الكريم ، والتي تساعد في ترجمة معانيه مثل : معجم الألفاظ القرآنية ، ومعجم المصطلحات الإسلامية .

ب - إصدار دليل ببليوجرافي للترجمات التي تمت في العالم لمعاني القرآن الكريم والاستفادة من الجهود السابقة في هذا المجال .

ويتكون مركز الترجمات من الوحدات البحثية التالية : وحدة اللغات الأوربية ، وحدة اللغات الأفريقية ، وحدة اللغات الاسيوية ، وحدة المعاجم اللغوية للألفاظ القرآنية والإسلامية ، وحدة المعلومات ، وحدة النشر والتوزيع . ويوجد في المركز مكتبة متخصصة في الترجمات لمختلف اللغات ، وفيها مصادر أصلية وأعمال مرجعية ومعاجم لغوية في كثير من لغات العالم ولهجاته . وبنيت قاعدة معلومات مناسبة عن الترجمات ، وأشهر المترجمين ، ولغات العالم ولهجاته ، وعدد سكانه . وللمركز مجلس علمي يضم عدداً من المختصين في علوم الشريعة ، واللغات الأجنبية ، يقوم بالتخطيط ووضع البرامج والمشروعات العلمية ، ويتلقى الاقتراحات في مجال الترجمات ، لدراستها ، وتقديم توصياته بشأنها .

اختيار ترجمات معاني القرآن الكريم :

لا شك أن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف قد استفاد من جهود رابطة العالم الإسلامي في توفير كثير من ترجمات معاني القرآن الكريم في عدد من اللغات ، ويتبع المجمع منذ إنشائه بعض الإجراءات والأسس الصارمة في اختيار ترجمات معاني القرآن الكريم ونشرها ، وتشمل ما يلي :

١ - يتم تحديد اللغة التي ينوي المجمع نشر ترجمة لمعاني القرآن الكريم بها وذلك حسب الأولويات التي تحددها أهمية اللغة ومدى انتشارها ، وعدد المتكلمين بها وحاجة المسلمين الناطقين بها إلى ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، أو لأن الناطقين بهذه اللغة عرضة للتنصير .

٢ - مخاطبة الجهات التي يمكن أن تتوافر لديها ترجمة اللغة المطلوبة . وفي حالة وجود الترجمة تطلب نسخة منها للدراسة .

٣ - يمكن لبعض الجهات أو الجمعيات الإسلامية أن ترشح ترجمات معينة يقوم المجمع بدراستها واختيار الصالح منها .

٤ - تشكل لجنة متخصصة ممن يجيدون لغة الترجمة المطلوبة مع إجادة اللغة العربية والعلوم الشرعية لدراسة الترجمة وإبداء الرأي فيها من جميع النواحي ، وخاصة ناحيتي العقيدة والأحكام الشرعية . وتقدم اللجنة تقريراً مفصلاً تبين فيه الأخطاء الواردة في الترجمة مع بيان الصواب .

٥ - بناء على توصية اللجنة المكلفة يتم قبول الترجمة أو رفضها .

٦ - في حالة قبول الترجمة يزود المترجم بملاحظات اللجنة عليها ، ويطلب منه تعديل الترجمة في ضوء ملاحظات اللجنة .

٧ - عند موافقة المترجم على تعديل الترجمة حسب ملاحظات المجمع ، تتخذ الإجراءات اللازمة لطباعة الترجمة بعد التعديل .

ويعرض الجدول رقم (١) بياناً بترجمات معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات التي قامت بإنجازها رابطة العالم الإسلامي . أما الجدول رقم (٢) فهو بيان بترجمات معاني القرآن الكريم بمختلف لغات العالم ، والتي تم نشرها بواسطة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . وفيما يلي عرض لهذه الترجمات التي نشرها المجمع باللغات الاثنتين والثلاثين مع بعض الملاحظات الضرورية أمام كل ترجمة ، وعدد الناطقين بها ، وأنواع إصدارات المجمع من تلك الترجمة ، وقد اعتمدت هنا على بحث الدكتور مانع الجهني رحمه الله .

الجدول رقم (٢)

بيان بترجمات معاني القرآن الكريم بمختلف لغات في العالم التي تم نشرها بواسطة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
١	الأردية	محمد الجوناكرهي	صدرت عام ١٤١٧هـ
٢	الأسبانية	عبدالغني ميارانابيو	صدرت عام ١٤١٧هـ
٣	الألبانية	شريف أحمدي	ترجمت في أبريل ١٩٧٨م
٤	الأمهرية	–	ترجمة صوتية لمعاني سورة الفاتحة وجزء عم
٥	الأندونيسية	شريف أحمدي	معتمدة من وزارة الشؤون الدينية الأندونيسية
٦	الإنجليزية	محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان	صدرت عام ١٤١٧هـ
٧	الأنكو (البمبارا)	فوده سليمان كانتر	صدرت عام ١٤١٩هـ
٨	الأورومية	محمد رشاد الهرري الطرطري	ترجمة صوتية كاملة (من لغات أثيوبيا)
٩	الأيغورية	محمد بن صالح ومراجعة عبدالحميد الأبادي والدكتور عبدالرحيم الكاشغري	صدرت عام ١٤٠٥هـ
١٠	الإيراتونية	ترجمة كاملة	من لغات جزيرة مندناو في الفلبين
١١	البراهونية	عبدالكريم مراد الأثري	صدرت عام ١٤١٥هـ
١٢	البشتو	مجموعة من علماء أفغانستان، راجعها الشيخ سيد عبيدالله شاه	–

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
١٣	البنغالية	محمد محيى الدين خان	صدرت عام ١٤١٣هـ
١٤	البورمية	مجموعة من العلماء وراجعها الشيخان عبدالحميد المظاهري الندوي وعبدالخالق عبدالولي	صدرت عام ١٤١٩هـ
١٥	البوسنية	نسيم كوركوت ، مراجعة يوسف راميتش ومحرم أوميروتش ومحمد مراهور فتش	صدرت عام ١٤١٢هـ
١٦	التاميلية	محمد إقبال مدني بمساعدة عبدالحميد مبارك	صدرت عام ١٤١٤هـ
١٧	التايلندية	جمعية خريجي الجامعات والمعاهد العربية بتايلند مراجعة عبدالله نومسوك وسوتي كلاي خام دي	صدرت عام ١٤١٩هـ
١٨	التركية	علي أوزك ، خير الدين قرامان وعلي تورغوت	صدرت عام ١٤١٢هـ
١٩	التغالوغ	أبو الخير تراسون وبديع الزمان ساليا ومحمد الأمين رودريجيز راجعها محمد نذير إبل وإبراهيم عبدالله	صدرت عام ١٤٢٠هـ ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عم فقط
٢٠	الزولو	عمر موليليكي، راجعها جميل كوبس وإسماعيل كمانا	صدرت الترجمة الجزئية عام ١٤١٩هـ
٢١	الصومالية	محمود محمد عبده وراجعها لجنة من المشايخ	صدرت عام ١٤١٢هـ

الرقم	اسم الترجمة	اسم المترجم/المراجع	ملاحظات
٢٢	الصينية	محمد مكين	صدرت عام ١٤٠٧هـ
٢٣	الفارسية	الشاه ولي الله الدهلوي	صدرت عام ١٤١٧هـ
٢٤	الفرنسية	محمد حميد الله	صدرت عام ١٤١٥هـ
٢٥	القازاقية	خليفة آلطاي وراجعها دليل خان جان آلطاي	صدرت عام ١٤١١هـ
٢٦	الكشميرية	مير واعظ محمد يوسف شاه راجعها عبداللطيف شيخ عبدالرشيد وعبداللطيف غلام الكشميري	صدرت عام ١٤١٨هـ
٢٧	الكورية	–	صدرت عام ١٤٢٠هـ
٢٨	المقدونية	حسن جلو ، وراجعها لجنة متخصصة من المجمع	صدرت عام ١٤١٨هـ
٢٩	المليبارية	–	صدرت عام ١٤١٨هـ
٣٠	الهوسا	أبو بكر محمود جومي	صدرت عام ١٤١٧هـ
٣١	اليوربا	لجنة من العلماء وراجعها إبراهيم عبدالباقي وعبدالرزاق عبدالمجيد ألارو	صدرت عام ١٤١٨هـ
٣٢	اليونانية	مجموعة من علماء الأزهر وراجعها جهاد بلال خليل	صدرت عام ١٤١٨هـ

١ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردية :** ويتحدث باللغة الأردية أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة في شبه القارة الهندية وعدد من دول العالم التي هاجر إليها بعض أبناء هذه اللغة .

والترجمة باللغة الأردية ترجمة كاملة قام بها محمد الجونا كرهي ، وكذلك ترجمة سورة الفاتحة وجزء عم ، وقد طبعها المجمع بالمقاسين العادي والصغير، وصدرت الترجمة عام ١٤١٧هـ .

٢ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإسبانية :** ويتحدث بهذه اللغة حوالي ٣٠٠ مليون نسمة في إسبانيا والأمريكتين . وقد أصدر المجمع ترجمة كاملة ، وترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عم . وقام بالترجمة الشيخ عبدالغني ميلارا نابيو . وقد طبعها المجمع بالمقاسين العادي والصغير ، وصدرت الترجمة عام ١٤١٧هـ .

٣ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألبانية :** ويتحدث بهذه اللغة حوالي سبعة عشر مليوناً في ألبانيا وبعض المهاجرين الألبان في عدد من دول العالم . وقام بالترجمة شريف أحمدي ، وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي .

٤ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمهرية :** ترجمة صوتية لمعاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ فقط .

٥ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأندونيسية :** ويتحدث بهذه اللغة حوالي ٢٥٠ مليون نسمة في أندونيسيا وخارجها ، وقد أصدر المجمع الترجمة الكاملة، وكذلك ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ عام ١٤١٨هـ ، وكلا الإصدارين بالمقاس العادي . ولم يذكر اسم المترجم ولكنها معتمدة من وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية .

٦ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية :** ويتحدث بهذه اللغة أكثر من ٥٥٠ مليون نسمة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإيرلندا وأستراليا وكندا وعدد من الدول في جميع أنحاء العالم . وقد طبع المجمع الترجمة كاملة

بالمقاسين العادي والصغير مع النص القرآني وبدونه ، وكذلك ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ . وقام بالترجمة الدكتوران محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان وقد صدرت الترجمة عام ١٤١٧هـ .

٧ - **ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة الأنكو** : وهي لغة غينيا كوناكري ، ودول أخرى في غرب أفريقيا ، ويتحدث بها حوالي مليونين من البشر . وقد سارع المجمع بإصدار ترجمة بهذه اللغة عندما وضع حرف جديد لكتابة هذه اللغة ، فاستغله المنصرون لترويج كتبهم ومطبوعاتهم بهذا الحرف لتنصير المسلمين . وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي من إعداد الشيخ فودة سليمان كانتي عام ١٤١٩هـ .

٨ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأورومية** : وهي لغات أثيوبيا ، ويتحدث بها حوالي ٣٠ مليوناً في منطقة الحبشة . ولأن هذه اللغة غير مكتوبة ، ولانتشار الأمية بين أبنائها ، فقد أصدر المجمع الترجمة على أشرطة مسموعة بترجمة الشيخ محمد رشاد الهرري الطرطري .

٩ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأيغورية** : وهي لغة تركستان الشرقية المعروفة باسم سنكيانج في الصين . وقام بالترجمة الشيخ محمد بن صالح وراجعها عبدالمجيد صادق الأبادي والدكتور عبدالرحيم الكاشغري تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي . وقد صدرت الترجمة عام ١٤٠٥هـ بالمقاس العادي .

١٠ - **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإيرانونية** : وتعد اللغة الإيرانونية من لغات جزيرة مندناو في الفلبين . وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي.

١١- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البراهوئية** : واللغة البراهوئية هي لغة بلوجستان في باكستان ، ويتكلمها حوالي مليونين من الناس . وقام بالترجمة

الشيخ عبدالكريم مراد الأثري ، وأقرتها رابطة العالم الإسلامي . وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٥هـ .

١٢- **ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة البشتو :** ولغة البشتو هي لغة معظم سكان أفغانستان وبعض سكان باكستان ، والمناطق المجاورة لأفغانستان في الشمال . وهذه الترجمة أعدها باللغة الأردية فضيلة الشيخ محمود الحسن . وأعد التفسير فضيلة الشيخ شبير أحمد عثمان ، وترجم التفسير وترجمته الأردية إلى لغة البشتو جماعة من علماء باكستان ، وراجعها من قبل رابطة العالم الإسلامي سيد عبيد الله شاه، وقد أقرت الترجمة رابطة العالم الإسلامي . وصدرت الترجمة والتفسير في جزءين كبيرين ، ولم تذكر طبعة المجمع سنة الطباعة .

١٣- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البنغالية :** ويتحدث باللغة البنغالية أكثر من ٢١٥ مليون نسمة ، وقام بالترجمة من اللغة الأردية فضيلة الشيخ محمد محيى الدين خان معتمداً على تفسير الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان الأسبق . وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٣هـ .

١٤- **ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البورمية :** واللغة البورمية هي لغة المسلمين في بورما والمناطق المتاخمة لبورما من بنغلاديش . وقام بالترجمة مجموعة من العلماء وراجعها من المجمع الشيخان عبدالحميد المظاهري الندوي وعبدالخالق عبدالولي .

وقد صدرت الترجمة الكاملة والتفسير في مجلدين كبيرين عام ١٤١٩هـ .

١٥- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة التاميلية :** واللغة التاميلية هي لغة ولاية التاملنادو في جنوب الهند ، ولغة بعض سكان سريلانكا ويتحدث بها حوالي ٥٥ مليون نسمة . وقام بالترجمة الشيخ محمد إقبال مدني وساعده الشيخ

عبدالحميد مبارك ، وراجعها عدد من مبعوثي الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء . وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٤هـ .

١٧- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة التايلندية :** وتنتشر اللغة التايلندية في تايلند وبعض المناطق المجاورة مثل فيتنام والصين ولاوس ، ويتحدث بها حوالي ٥٠ مليون نسمة ، والترجمة من إعداد جمعية خريجي الجامعات والمعاهد العربية بتايلند ، وراجعها الدكتور نومسوك والشيخ سوتي كلاي خام دي من المجمع . وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاس الكامل عام ١٤١٩هـ .

١٨- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة التركية :** ويتحدث باللغة التركية المسلمون في تركيا وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وبعض الجمهوريات المستقلة استقلالاً ذاتياً في روسيا الاتحادية مثل بشكيرستان وترستان والمسلمون في بلغاريا ، ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغة حوالي ٥٠ مليون نسمة .

وقام بالترجمة مجموعة من الدكاترة هم : د . علي أوزك ، د . خير الدين قرامان ، د . علي تورغوت ، د . مصطفى شاغريجي ، د . إبراهيم كافي دوغز، ود. صدر الدين كوموش ، وقد أقرت الترجمة رابطة العالم الإسلامي . وصدرت الترجمة بالمقاس العادي عام ١٤١٢هـ .

١٩- **ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة التغالوغ :** لغة التغالوغ هي اللغة الرسمية للفلبين ويتحدث بها حوالي ٥٠ مليون نسمة.

والترجمة التي صدرت عن المجمع هي ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ فقط.

وقام بهذه الترجمة الجزئية الشيخان أبو الخير تراسون وبديع الزمان ساليا والأستاذ محمد الأمين رودريجيز وراجعها من المجمع الشيخان محمد نذير إبل وإبراهيم عبدالله بن عبدالله .

وصدرت الترجمة الجزئية بالمقاس العادي عام ١٤٢٠هـ .

٢٠ - ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة الزولو : ولغة الزولو هي إحدى لغات جنوب أفريقيا ، ويبلغ عدد المتكلمين بها حوالي ٦ ملايين نسمة . وتقتصر الترجمة الصادرة عن المجمع على ترجمة آيات مختارة تتعلق بتفنيد عقائد النصارى لوجود النشاط التنصيري بين متحدثي لغة الزولو ، وقام بالترجمة الشيخ عمر موليليكي وراجعها من المجمع الشيخان جميل كوبس وإسماعيل كمانا . وصدرت الترجمة بالمقاس العادي عام ١٤١٩هـ .

٢١- ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصومالية : ويتحدث باللغة الصومالية سكان الصومال وعدد من القبائل التي تسكن القرن الأفريقي في جيبوتي وأريتريا وكينيا .

قام بالترجمة الشيخ محمود محمد عبدالله وراجعها لجنة من المشايخ هم : نور الدين علي السلفي ، وشريف عبدالنور حسن ، وعبدالرحمن يوسف آدم ، وعبدالرحمن شيخ عمر أحمد دنيله الذي قام بالمراجعة النهائية ، والتعليق على بعض الآيات . وقد أقرت هذه الترجمة رابطة العالم الإسلامي .

وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٢هـ .

٢٢- ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصينية : ويتحدث باللغة الصينية أكثر من مليار وربع المليار نسمة من سكان الصين وتايوان وهونج كونج . قام بالترجمة الشيخ محمد مكين وأقرتها الجمعية الإسلامية الصينية ورابطة العالم الإسلامي . وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي ، وكذلك ترجمة معاني جزء عمَّ ، وجزء تبارك بالمقاس الصغير عام ١٤٠٧هـ .

٢٣- ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفارسية : والفارسية هي لغة إيران وطاجكستان ، وهي إحدى اللغتين السائدتين في أفغانستان ، ويتحدث بها

حوالي ٥٠ مليون نسمة . قام بالترجمة الشاه ولي الله الدهلوي ، وراجعها الشيخان عبدالغفور عبدالحق البلوشي ومحمد علي داري . وقد صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٧هـ .

٢٤- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية** : واللغة الفرنسية هي لغة فرنسا وبلجيكا وسويسرا ، وعدد من الدول الأفريقية مثل السنغال ومالي وغيرهما ، ويتحدث بها حوالي ٢٢٠ مليون نسمة ، وتأتي بعداللغة الإنجليزية من حيث الأهمية وعدد المتكلمين بها .

والترجمة مبنية على ترجمة الدكتور محمد حميد الله ، وقد تمت مراجعتها من عدة لجان في الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد قبل أن يتولى مجمع الملك فهد طباعتها .

صدرت الترجمة الكاملة ، وكذلك ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ بالمقاس العادي عام ١٤١٥هـ .

٢٥- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة القازاقية** : واللغة القازاقية هي لغة مسلمي قازقستان إحدى الجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن روسيا ويتحدث بها حوالي ٦ ملايين نسمة .

قام بالترجمة الشيخ خليفة آلطاي ، وراجعها الأستاذ ح . دليل خان جان آلطاي، ووافقت عليها رابطة العالم الإسلامي . صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١١هـ .

٢٦- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الكشميرية** : واللغة الكشميرية هي لغة مسلمي كشمير وجامو والذين يتجاوز عددهم أثني عشر مليوناً . قام بالترجمة الشيخ مير واعظ محمد يوسف شاه ، وراجعها الشيخان عبداللطيف شيخ

عبدالرشيد وعبداللطيف غلام الكشميري . صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس الكامل عام ١٤١٨هـ .

٢٧- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الكورية** : واللغة الكورية هي لغة كوريا الشمالية والجنوبية ويتحدث بها عدد من سكان الصين واليابان، ويبلغ عدد الناطقين بها حوالي ٦٠ مليون نسمة . قام بالترجمة الدكتور حامد شوي يونغ كيل .
وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاسين العادي والصغير عام ١٤١٧هـ .

٢٨- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة المقدونية** : ويتحدث باللغة المقدونية حوالي مليوني شخص في ألبانيا واليونان بمنطقة البلقان . قام بالترجمة الشيخ حسن جلو ، وراجعها لجنة متخصصة من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
وصدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٨هـ .

٢٩- **ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة المليبارية** : واللغة المليبارية هي إحدى لغات الهند ، وتنتشر في ولاية كيرلا في جنوب الهند، ويتحدث بها حوالي ٢٦ مليون نسمة . وقد صدرت الترجمة الكاملة ، وترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ بالمقاس العادي عام ١٤١٨هـ .

٣٠- **ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة الهوسا** : ولغة الهوسا هي إحدى لغات أفريقيا، ويتحدث بها حوالي ٥٠ مليوناً من سكان نيجيريا والنيجر وشرق أفريقيا . قام بالترجمة الشيخ أبو بكر محمود جومي، وراجعها الأساتذة : أبو بكر عثمان (صكتو) ، وأحمد بلو ، ومحمد إنواديكو بن آدم باكو ديكو ، كما راجعها من مجمع الملك فهد الشيخان بشير علي عمر ومحمد ثاني عمر والدكتور أحمد أبو بكر محمود جومي .

وصدرت الترجمة الكاملة ، وكذلك ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ

بالمقاس العادي عام ١٤١٧هـ .

٣١- **ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة اليوربا** : ولغة اليوربا هي إحدى اللغات المهمة في نيجيريا وبنين والتوغو ، وبعض القبائل الأفريقية . ويتحدث بها حوالي ١٧ مليون نسمة . قام بالترجمة مجموعة من العلماء ، وراجعها الشيخان إبراهيم عبدالباقي وعبدالرزاق عبدالمجيد ألارو من مجمع الملك فهد . صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٨هـ .

٣٢- ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اليونانية : واللغة اليونانية هي لغة اليونان وقبرص ، وبعض المهاجرين في أمريكا وغيرها، ويتحدث بها حوالي ١١ مليون نسمة. قام بالترجمة مجموعة من علماء الأزهر، وراجعها الشيخ جهاد بلال خليل من مجمع الملك فهد . صدرت الترجمة الكاملة بالمقاس العادي عام ١٤١٨هـ .

الترجمات المتوقع صدورها :

أما الترجمات المتوقع صدورها قريباً بإذن الله تعالى فتشمل ما يلي :

١ - الترجمة الكاملة باللغة الروسية .

٢ - الترجمة الكاملة باللغة الألمانية .

٣ - الترجمة الكاملة باللغة البرتغالية .

٤ - الترجمة الكاملة باللغة السندية .

٥ - الترجمة الكاملة باللغة الفيتنامية .

٦ - الترجمة الكاملة بلغة المندرية ، وهي لغة جزيرة سلويسي في أندونيسيا .

٧ - الترجمة الكاملة باللغة الشيشو ، وهي لغة ملاوي في أفريقيا الجنوبية ، والدول المجاورة لها .

٨ - ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عمَّ فقط باللغة الغجرية .

الخاتمة والتوصيات :

يمثل مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف مفخرة تضاف إلى مفاخر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - في خدمة الإسلام والمسلمين ، كما أنه علامة بارزة للدور الرائد للمملكة في خدمة كتاب الله الكريم وسنة نبيه محمد ﷺ . ولا تكمن أهمية المجمع في امتلاكه واحدة من أكبر المطابع المتخصصة في العالم فقط ، ولكنها تكمن أيضاً في طبيعة عمله التي تجعله واحداً من أهم مراكز البحث العلمي للقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية المطهرة في العالم الإسلامي .

ويقوم المجمع بمهمة جليلة رائدة وهي ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات الحية التي يتكلمها المسلمون ، وذلك من أجل توفير ترجمات صحيحة ودقيقة لمعاني القرآن الكريم ، ودرءاً لأخطار الترجمات المحرفة التي تقوم بإعدادها وطبعها ونشرها بعض الفئات الضالة مثل القاديانية والباطنية ، أو مراكز الاستشراق والتنصير المنتشرة في كثير من أقطار العالم الإسلامي ، وذلك لزعزعة العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين .

وفيما يلي أورد بعض التوصيات التي يمكن أن تسهم في نشر وتوزيع ترجمات معاني القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم ، بالإضافة إلى توضيح أهمية هذه الترجمات :

١ - اقتراح نشر جميع ترجمات القرآن الكريم الصادرة عن مجمع الملك فهد على الإنترنت .

٢ - الاستفادة من القمر العربي الصناعي (عربسات) في بث ترجمة معاني القرآن الكريم ، وخاصة باللغات العالمية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها .

٣ - إعداد معاجم ألفاظ القرآن الكريم بجميع اللغات التي أعدت لها ترجمات معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤ - إجراء دراسة حول أهمية وفائدة ترجمات معاني القرآن الكريم للمسلمين وغير المسلمين .

٥ - توزيع ترجمات معاني القرآن الكريم بصورة تخدم الدعوة الإسلامية ، وتوضح مدى ما تقوم به المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين .

٦ - إجراء دراسة حول مدى تحقيق ترجمات معاني القرآن الكريم للكفاية اللغوية والإعجازية والثقافية للقارئ الذي لا يتقن اللغة العربية .

٧ - التعاون مع المختصين في اللغات المختلفة في الجامعات السعودية والجامعات العربية وذلك لمراجعة وترجمة معاني القرآن الكريم .

٨ - عمل ترجمات خاصة لمعاني القرآن الكريم لذوي الاحتياجات الخاصة، مثل المكفوفين على طريقة برايل .

٩ - أن تتضمن كل ترجمة لمعاني القرآن الكريم ما يفيد بأن هذه الترجمة إنما هي : تفسير لمعاني آيات الله الكريم ، وليست ترجمة حرفية له .

١٠- إنتاج أقراص مدمجة CD لترجمات معاني القرآن الكريم حتى يمكن تداولها بسهولة بين المسلمين في جميع أقطار العالم .

١١- عدم التوسع في ترجمات معاني القرآن الكريم إلا بقدر الحاجة الداعية ، وبكمية مناسبة من النسخ المطلوبة .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .